

رمضان

شهر العزيمة والجهاد



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ٢٠١ ● رمضان ١٤٠١ هـ ● يوليو ١٩٨١ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة



صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٢٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

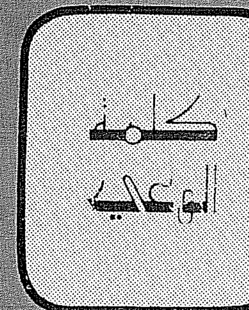
● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي





مناقب شهر رمضان

الله تعالى الذي خلق الزمان والمكان جعل عدة شهور العام اثني عشر شهرا ، واختص من بين هذه الشهور شهرا ميزه بميزات جليلة ، وذكر اسمه صريحا في القرآن الكريم ، تنويها بشأنه ، ودعوة لاغتنام خيره ، وهو شهر رمضان ، فقد ابتدأ الله فيه نزول القرآن الكريم حيث حمل جبريل عليه السلام أول آيات القرآن نزولا ، الى قلب محمد عليه الصلاة والسلام وهو يتعبد في غار حراء (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) ..

وكان شهر رمضان بذلك أول ميقات لاشراق الكتاب المبارك الذي أنزله الله ليخرج به الناس من الظلمات الى النور ويهديهم الى صراط العزيز الحميد ، ولهذا جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شعار شهر رمضان الاحتفال بمولد هذا الكتاب الذي أشرقت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة .. وكان هذا الاحتفال يتجلى في مناجاة الله بكلامه ، وفي مدارسة كتابه ، فكان رسول الله المصطفى من

البشر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتدارس القرآن مع جبريل عليه السلام في شهر رمضان من كل عام .. وقد نوه بهذه الصلة الوثيقة بين شهر رمضان وبين القرآن ، وجعلها أولى المناقب والمزايا التي اختص الله بها هذا الشهر العظيم فقال جلت حكمته (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) ..

ولما كانت رسالة الاسلام التي جاء القرآن تعبيرا صادقا عنها ، تحتاج في تطبيقها الى سمو الأرواح وصحة الأبدان ، وقوة الارادة ، وتقدير النعمة ، ومشاعر الحنان والشفقة ، وكمال التسليم لله في أمره ونهيه فرض الله على المسلمين في شهر رمضان من كل عام العبادة التي تكفل لهم وسائل التطبيق وهي (الصيام) فقال تعالى : (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) .. فبالصيام ينطلق الانسان من سلطان غرائزه ، ويتغلب على نزعات شهواته فترتقي روحه وتقترب من الملأ الأعلى ، فاذا دعا ربه استجاب له ، وقد بين رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام أن من بين الثلاثة الذين لا ترد دعوتهم الصائم فقال : (ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر والامام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويقول الله وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين) ..

وللصيام أثره في صحة البدن ، فهو يقيه من كثير من الأمراض ، ويعالج فيه كثيرا من العلل .. أما تقوية الارادة : فالصائم يتحمل آلام الجوع والطعام في متناول يده ، ويصبر على حرارة العطش وبين يديه الماء العذب ، ويلجم شهوته الجنسية وبجانبه زوجته ، ولا سلطان عليه في ذلك كله سوى سلطان الضمير ، وبذلك تتربى في نفسه الارادة القوية التي لا تهزمها الشهوات ، ولا تعصف بها الميول والنزوات .. واذا كان العلماء النفسيون قد أثبتوا في بحوثهم أن أعظم وسيلة لتقوية الارادة هي الصوم ، فان الاسلام قد سبقهم في ذلك بأزمنة طويلة . ويكفينا أن نسمع نداء

النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى الشباب (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) ..

والصيام يعلمنا بمقدار ما لدينا من نعم ، فبعناء الجوع وقسوة العطش نعرف قيمة الطعام والشراب ، فنشكر الله على نعمه ، وقد قال النبي العظيم : (عرض على ربي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب : ولكن أشبع يوما وأجوع يوما ، فاذا جعت دعوتك وذكرتك ، واذا شبعت ذكرتك وحمدتك) .

وصوت المعدة في الصيام يذكر الانسان بجوع الجائعين وبؤس البائسين ، فتتربى فيه مشاعر الحنان فيجود ويعطف .. وقد ورد أن يوسف عليه السلام كان يكثر الصيام وهو على خزائن الأرض ، فسئل في ذلك فقال : (أخاف اذا شبعت أن أنسى جوع الفقير) .

ومن هنا يتبين أن شهر رمضان في كل عام تذكير للأمة الاسلامية أن تستمسك بكتاب ربها تطبيقا لأحكامه واهتداء بهدايته ، لأن في ذلك بقاءها وعزها ومجدها (فاستمسك بالذي أوحى اليك انك على صراط مستقيم . وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) .

ويتبين كذلك أن واجب المسلمين أن يغتنموا الخير في شهر رمضان ، وأن يعدوا أنفسهم لنوال فضله وبركته ، وأن يحرصوا على صيامه وقيامه ذاكرين ما وصفه به الرسول الكريم بقوله : (أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار) وبقوله : (أتاكم رمضان شهر بركة . يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، وينظر الى تنافسكم فيه ، ويباهي بكم ملائكته فأروا الله من أنفسكم خيرا فان الشقي من حرم رحمة الله عز وجل) نسأل الله التوفيق والهداية .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



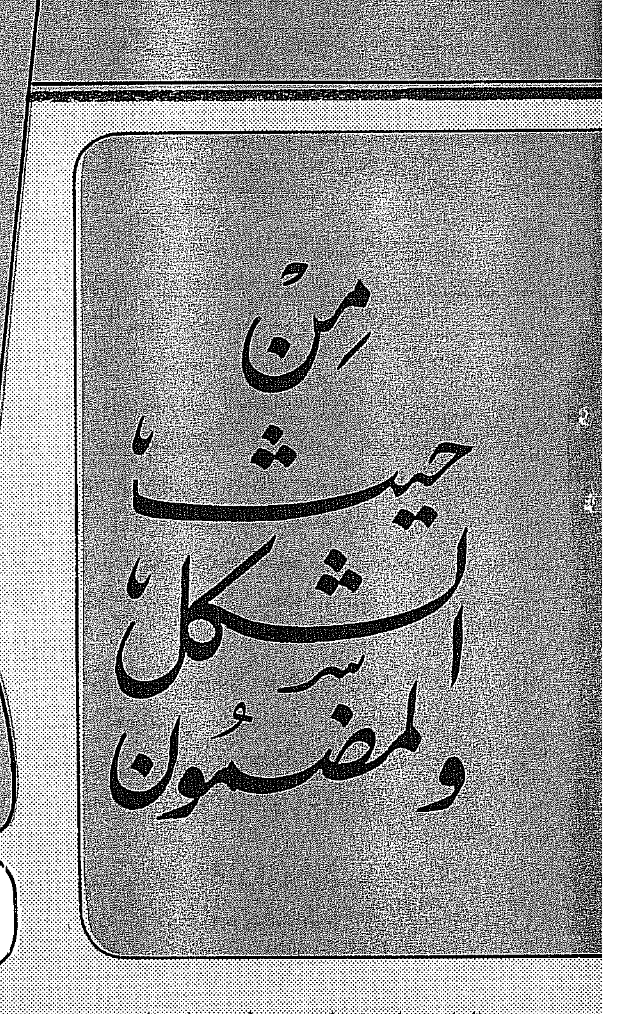
١ ـ مقدمة تبين بعض معاني التراسل بين القرآن والسنة

السنة تطبق مقاصد القرآن ، على مواضعها من حياة البشر ، حيث تدعوهم إلى طاعة الله ورسوله ، وتدعوهم الى تذكر كل ما جاءهم من العلم ، وتدعوهم إلى أن لا يكذبوا بالحق الذى جاءهم به دين الله .

فلما كانت أهواء البشر كثيرة ، تؤدي إلى اختلاف أفكارهم ، وتداعي كلماتهم على ذاتها ، وتفرق أعمالهم وتضاربها ، إذا انقطعوا إلى ظنونهم البشرية .

فلذلك كانت السنة ، هي التي تصل بين أفكارنا وأقوالنا وأعمالنا وبين آيات القرآن ، حتى تكون حياتنا ، تطبيقا عمليا حيا ومتجددا بمقدار ما ننهل من كلام الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

فهذا الجمع بين اليقين الثابت في الوحي من قرآن وسنة ، وبين أحوال



للاستاذ محمد العفيفي

التلقي لهذا الوحي في حياة البشر ، هو المقصود بالتراسل بين القرآن والسنة .

ومن التراسل بين القرآن والسنة ما هو خاص بالشكل والمضمون .
وسنبدأ الآن به .

ثم يلي ذلك فصل من التراسل بين القرآن والسنة من حيث التجدد الذاتي .

وأخيرا نصل إلى التراسل بين القرآن والسنة وصلته بالنسخ وأسباب النزول .

٢ ـ ترتيب مقاصد السنة واتفاقه مع ترتيب مقاصد الآيات

ـ لو نظرنا في أى حديث من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، لوجدنا ترتيب مقاصده ، موافقا تماما لترتيب هذه المقاصد ذاتها في الآيات الخاصة بها في القرآن الكريم .

ومن دلائل ذلك ، وهي كثيرة ، أن قوله

تعالى :
(الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون)
(٣) البقرة .
مرتبة مقاصده بحيث نجد الايمان اولا ثم الصلاة بعده ، ثم الانفاق الذي يشمل كل أنواع الزكاة في نهاية الآية .
وننظر في قوله صلى الله عليه وسلم : (بنى الاسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله ! وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان) رواه البخاري ومسلم .
وهكذا نجد هذا الحديث الصحيح مرتبة مقاصده الثلاثة الاولى على مقتضى الترتيب القرآني في الآية السابقة .
ثم نجد الحج هو الركن الرابع في سياق الحديث بينما الصوم هو الركن الخامس فذلك مرتبط أعظم الارتباط بترتيب آيات القرآن ، كما نجدها في المصحف .
وأكبر الأدلة على ذلك ، أن قوله تعالى : **(الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون)** قد جاء ترتيبه في أوائل الآيات بسورة البقرة ، حيث عرفنا أنها هي الآية الثالثة في سورة البقرة .
وهكذا تكون هي الآية الأولى في ترتيب المصحف التي تجمل لنا القول في الايمان ثم الصلاة ، ثم الزكاة .
أما الحج فقد جاء ذكره ضمنا بقوله تعالى **(واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا)** وهذا في الآية الخامسة والعشرين بعد المائة من سورة البقرة ، وهي أول آية في ترتيب الآيات بالمصحف ، تحدثنا عن الحج بوجه عام .
أما ذكر الحج بوجه خاص فقد كانت اول آية تحدثنا عنه ، هي الآية (١٥٨) من سورة البقرة ، وهي أول آية عن هذه الفريضة في ترتيب الآيات بسورها في القرآن كله . ومنها قوله تعالى : **(إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما)** البقرة/١٥٨ .
وهكذا كان الحج هو الركن الرابع في ترتيب الفرائض بالحديث السابق الذي جاء بترتيبه ، هكذا في أمهات كتب الحديث كما سبقت الاشارة إلى ذلك .
أما الصوم فقد جاء ذكره أول ما جاء في ترتيب آيات المصحف كما هي في سور القرآن كله ، بالآية (١٨٣) ومنها قوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام)** البقرة/١٨٣ .
فلما كنا نجد هذه الآية قد جاءت ببيان فريضة الصوم ، بعد آيات كثيرة ، تسبقها الآية التي جاء بها ذكر الحج ، فلذلك كان ترتيب الحج في الحديث السابق ، قبل الصيام .
وقد يكون بعض رواة هذا الحديث لم يهتموا بهذا الترتيب ، وانما أدوا معناه بوجه عام .
ولكن الحقيقة أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، قد ثبت عنه أنه كان

عظيم العناية بترتيب أقواله وأعماله ، بما يتفق تماما مع ترتيب مقاصد القرآن كما هي مرتبة في الآيات والسور .

وهذا وجه عظيم من وجوه تفسير السنة للقرآن وبيانه ، من طريق التطبيق العملي لآياته وسوره إجمالا وتفصيلا ، على الحياة كلها في جملتها وتفصيلها .

ـ وكذلك نجد السنة العملية ترتبط مقاصدها مع ترتيب المقاصد الخاصة بها في آيات القرآن وسوره .

فمن ذلك ما جاء في صفة الوضوء في الآية السادسة من سورة المائدة كما نجد ذلك بقوله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأمسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) المائدة/٦ .

إن ترتيب أعمال الوضوء ، فرض من فرائضه ، ودليله قوله صلى الله عليه وسلم ، للصحابة في شأن الوضوء : (ابدءوا بما بدأ الله به) رواه مسلم .

والأمر نفسه نجده في ما جاء عن ترتيب أعمال الحج .

فقد جاء في حديث جعفر بن محمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دنا من الصفا في حجه فقرأ قوله تعالى : **(إن الصفا والمروة من شعائر الله)** ثم قال : (أبدأ بما بدأ الله به) فبدأ بالصفا فرقى عليه) رواه مسلم .

فهذا الجزء من الحديث يبين لنا أن ترتيب الرسول في عباداته وأحكامه التي هي تطبيق عملي للقرآن ، إنما هو ترتيب وثيق الصلة باحكام القرآن وتفصيله ، وترتيب آياته في سوره ، وكلماته في آياته .

٣ ـ السبق إلى الحقيقة ، أهم نتائج الترتيب الصحيح :

والرسول صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن كل نعمة من نعم الله علينا في معرفتنا ووجودنا وكل أعمالنا ، إنما هي مرتبة ترتيبا ، ينبغي على المؤمنين أن ينظروا في جملته وتفصيله ، وبذلك ، يسبق السابقون ، إلى كل فهم سديد ، وقول صادق ، وعمل صالح ، وعلم نافع .

ونجد هذه الحقيقة الكبرى من حقائق العلم والعمل ، في قوله صلى الله عليه وسلم :

(سبق المفردون . قالوا : وما المفردون يا رسول الله . قال : الذاكرون الله كثيرا والذاكرات) رواه مسلم .

ان في هذا الحديث سر المعنى الشامل ، للتجدد الذي يحرص عليه الناس ، في كل أفكارهم وأقوالهم وأعمالهم ومنتجاتهم .

والتجدد في حقيقته التي جاء بها هذا الهدى الذي تمدنا به السنة ، هو فهم الارتباط بين أجزاء آيات الله القرآنية أو آياته الكونية ، فاذا هذا الارتباط يخص كل نوع بحقيقته الشاملة ، كما يبين لنا أن أجزاء الآيات في كلام الله أو خلق الله ، قد جعل الله كلا منها جديدا في ذاته ، كما هو متفرد بموضعه بين سائر أفراد نوعه .

ولو نظرنا إلى آيات الخلق الالهي لوجدناها خاضعة في جملتها وتفصيلها لقوله تعالى :

(إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) مريم/٩٣ ـ ٩٥ .

فتقديم الاحصاء على العد فيه بيان الشمول في الارتباط بين أجزاء الخلق ، فاذا هم في جملتهم خلق واحد ، تجمعهم صفتهم الجامعة ، وهي أنهم عباد الله وحده لا شريك له .

أما تأخير العد على الاحصاء ، ففيه بيان التفصيل الذي يخص كل نوع من أنواع الخلق ، بثباته على خصائصه ، وتجدده الذاتي بحكم كونه متجدد المواضع التي تتكاثر فيها أفراده ، حتى يبحث الباحثون بآلات البحث العلمي ، فلا يخطئهم أن يجدوا الخلايا أو الذرات في مظانها ، كما يتصل كل نوع منها بأفراد نوعه .

ثم يقول الله تعالى : **(وكلهم آتيه يوم القيامة فردا)** .

أى أن حركة الكون كله من الدنيا الى الآخرة ، لا تنفصل عن ثبات خصائص كل أحد من مخلوقات الله تعالى ، وبذلك يظل كل منهم متفردا في صلاته بمجتمعه الذي وصله الله به .

فقوله تعالى : **(فردا)** يتسع للكون كله في جملته وتفصيله .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (سبق المفردون) الى نهاية الحديث يأتي تابعا لهذه الآيات وما هو في حكمها في كل سور القرآن ، ليطبقها تطبيقا عمليا .

فالتراسل بين القرآن والسنة هنا ، هو هذا التنسيق الذي خص الله به آيات كتابه بالأحكام العامة ، ثم خص السنة بعد ذلك بالجانب العملي من كل قضية بذاتها .

وهكذا ننظر في بناء كل آية قرآنية ، فنجد لها تنوعا في وحدة ، وحركة في ثبات ، وتقدما في عدل ، وتجددا في استغناء ، عن أى مدد خارجي ، يأتي من أى مصدر آخر غير الوحي الالهي .

والرسول صلى الله عليه وسلم في كل أحاديثه يأتي بما هو شامل ثم يبين فروعه بعد ذلك ، فيختم بما هو خاص ، بعد أن بدأ بما هو عام .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « أمركم بخمس ، الله أمرني بهن ، السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة فانه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه إلا أن يراجع . ومن دعا بدعوى الجاهلية فانه من جثى جهنم .

فقال رجل يا رسول الله : وان صلى وصام .

قال : وان صلى وصام .

فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين والمؤمنين عباد الله » رواه احمد والترمذي .

وفي هذا الحديث نجد ما هو عام أولا وهو الخمس التي أمره الله بها .

ثم اكد ذلك قوله :

فانه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه إلا أن

يراجع .
ثم توالت بعد ذلك الفروع التي سبق بها الحديث .
وواضح هذا التراسل بين القرآن والسنة ، من حيث ترتيب المقاصد في قوله صلى الله عليه وسلم : الذي سماكم المسلمين والمؤمنين .
فقد قال الله تعالى :
(قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) ١٤ : الحجرات .
وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش : « إن رحمتي غلبت غضبي » رواه البخاري .
وواضح هنا ـ كذلك ـ أن تقديم ذكر الخلق ، إنما هو تقديم لما هو عام من حيث المعنى الذي يريده صلى الله عليه وسلم .
الخلق هم الذين يحتاجون دائما إلى رحمة الله تعالى .
فهذا هو العام هنا .
أما الخاص فهو ذكر الرحمة والغضب ، لأن أعمال العباد هي التي يستحقون بها هذا او ذاك .
ولكن الله تعالى يعافي عباده ويرحمهم ، وقد جعل رحمته مقدمة على غضبه .
لذلك جاء ذكر الرحمة في الحديث ، سابقا لذكر الغضب .
وهذا كله من تقديم العام على الخاص .
وبهذه اللمحة من أنوار النبوة التي تدلنا على كثير من الأحاديث التي هي صحيحة في ذاتها ، وان ضعفت بعض شروط اسنادها ، فلو أننا عرضنا أمثال هذه الأحاديث على كتاب الله تعالى لوجدنا أن القرآن كله يقدم العام على الخاص ، كقوله تعالى :
(كتاب أحكمت آياته ثم فصلت) هود/١ .
فالأحكام هو ارتباط كل الآيات وأجزائها بمواضعها من السور ، هو العام الذي يشمل فروعه ، التي تأتي في قوله تعالى : **(ثم فصلت)** .
ذلك أن التفصيل هو فروع المعاني ، التي تكثر وتتنوع بمقدار ما يستطيع كل أحد ان يبذل الجهد في قراءة القرآن وفهمه ، ولن يحيط البشر بمعاني القرآن أبدا ، لأنها هي الحق الذي يريده الله تعالى ، وانما حسبنا أن نسدد ونقارب بقدر ما نستطيع .
ولقد فهم عامة الناس هذه المعاني في أحوال المادة ، التي خلقها الله تعالى وسخرها لهم ، فهم يقولون ان نور شمعة واحدة ، لا يغلبه ظلام العالم كله . فما بالنا بأنوار المعاني التي جاء بها كلام الله .
ومن هذه الأحاديث السابقة الذكر ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
« يا رسول الله : أى العمل أحب إلى الله ؟
قال : الحال المرتحل .
قال : وما الحال المرتحل .
قال : الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره ، كلما حل ارتحل » رواه الترمذي .

فهذا الحديث لم يبلغ درجة الصحة من حيث إسناده حسن به على كلمة ضعيف فقال هو حديث حسن .

والحقيقة أن أنوار النبوة لا تخفى بحال من الأحوال .

ولكن هذه القاعدة المتقدمة فيها خير كثير إن شاء الله تعالى .

فكما نجد القرآن يبين لنا كل حكم في كل وجوهه العامة ، ثم يأتي بعد ذلك بفروع هذا الحكم فكذلك السنة الصحيحة تفعل ذلك .

وفي الحديث السابق جاءت كلمة (الحال المرتحل) تشمل التلاوة الصحيحة للصالحين من الناس جميعا .

وتقديم هذا الأمر يقوم على أن الناس هم المحتاجون إلى ذلك ، فهو من أعم أمورهم وأشملها في هذا المعنى الذي جاء من أجله الحديث ثم يفسر الرسول هذه الحقيقة ويكشف دقائقها فيقول :

(الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره) .

وفي هذا تقديم لما هو عام أيضا لأنه تطبيق عملي لما جاء حكمه العام في قوله (الحال المرتحل) .

أما الذي هو خاص هنا ، والذي يبين لنا الفروع التفصيلية لكل ما سبق من المعنى والتطبيق ، فهو قوله صلى الله عليه وسلم : (كلما حل ارتحل) أى كلما وقف عند حرف او كلمة أو جملة أو آية ، ارتحل معها إلى مواضعها الجديدة ، التي تفتح لها أبواب العلم ، على كثرتها التي لا يحيط بها إلا الله تعالى ، فكل من أخذ من هذه المعاني بطرف ، فهو موصول بنور على نور ، كما تكفي الانسان لمسة عطر ، ويكفي القارورة أن تملأ عطرا ، ويكفي الورود بكل أنواعها ، أن يسطر الشذى حروفه في أوراقها ، ولا يحيط بذلك كله في جملته وتفصيله إلا الله وحده .

وسنرى بعد ذلك بعض النماذج الهامة ، التي تبين لنا أن كل حقائق العلم جاءت في القرآن ابتداء ، ثم اكتشفها الناس بعد ذلك بوقت طويل ، فهذا من ترتيب الله تعالى لمراحل كشف هذه الحقائق .

١ ـ مع حقيقة الثبات والحركة :

جعل الله الثبات والحركة ، وجهين لحقيقة واحدة ، يقوم عليها بناء الحياة الانسانية كلها ، فتظل حياة دائبة التجدد ، مع أنها لم تخرج في جملتها وتفصيلها عن التقدير الالهي الشامل ، لكل ما يرتبط بها من فصول الزمان والمكان ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ولو ذهبنا نتقصى كل الأصول العلمية للثبات والحركة لطال بنا الكلام ، أكثر مما نستطيع .

فحسبنا هنا أن نقف ـ معا ـ عند أكثر من مثل بسيط ، وثيق الصلة بحياتنا العملية ، ونجد فيه بيانا لارتباط الثبات بالحركة .

أولا ـ لولا ثبات أسنان المفتاح الذي يفتح لصاحب السيارة باب سيارته ، وثبات صلته بأسنان القفل الذي يدور فيه .

ما تجددت وكثرت المرات التي يتم فيها فتح باب السيارة .

ثانيا ـ لولا ثبات الماء والتربة على خصائص كل منهما بكل مكان وزمان ، وثبات كل نوع من أنواع النبات على خصائصه كذلك ، ما وجدنا القمح قمحا بكل العصور ، وكل البلاد ، وما وجدنا الورد وردا ، والقثاء قثاء إلى ما لا نستطيع إحصاءه من جميع أنواع النبات .

فثبات الخصائص في كل شئ ، هو الذي يبين لنا حركته المتجددة ، التي يتم بها تكاثره ، أو تكاثر وظائفه بكل مكان وزمان .

هكذا شاء الله أن يبين لنا كل شئ ، بما يختلف معه شكلا ، وإن كانت الغاية من ذلك ، هي تحقيق الانسجام والتوافق في كل حقائق الحياة .

وهكذا تسقط كل أصول الفكر المادي الالحادي التي تقوم على أن المادة يحكمها الصراع أو التناقض ، والحقيقة أن المادة وكل مخلوقات الله ، مركبة تركيبا يقوم على رحمة الله بخلقه كما يقول سبحانه : **(ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما)** غافر/ ٧ .

فليس في الأمر أى صراع ، وإنما الصراع في عقول أصحاب الفكر المادي ، وقد أملته عليهم نفوسهم المريضة .

ولعلنا نذكر هنا ، ما سبق عن وحدة نظام التركيب في الوحي الالهي ، وفي مخلوقات الله جميعا .

وقد بين الله ذلك بأن وحد لنا الكلمات القرآنية التي تدل على التنزيل ، وجعل هذه الكلمات خاصة بالوحي ، كما هي خاصة بالخلق .

ونجد ذلك كله في أمثال قوله تعالى :

(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) النحل / ٤٤ .

وقوله تعالى :

(والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها) النحل/ ٦٥ .

فهذا من الدلائل الكبرى على أن الثبات والحركة والتجدد الذاتي ، أصل من أصول النظام الواحد الذي ربط الله به بين معرفتنا ووجودنا وبين كل نعم الله علينا ، ومنها الوحي الذي أتمه الله على لسان خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم ، ومنها كل نعم الله الكونية .

وهكذا ندرك أن التجدد الذاتي ، يعني أن تركيب القرآن بشكله ومضمونه ، وكذلك تركيب السنة من حيث مقاصدها المرتبطة بمقاصد القرآن ، في إحاطة دائمة بأحوال الحياة الانسانية ، فمهما تتقدم حياة البشر بكل مكان وزمان ، فالقرآن والسنة أساس كل نية صحيحة وقول صادق ، وعمل صالح ، وسعادة دائمة في الدنيا والآخرة .

٢ ـ من الحدود الفاصلة بين التجدد الذاتي في وحي الله وخلق الله

خلق الله الانسان ، وخصه بنوع من

الحرية ، يترتب عليه التكليف في الدنيا والحساب في الآخرة .
لذلك كان تقدير الله لحاجات الانسان إلى نعم الله الكونية ، قائما على نظام شامل تتكاثر فيه أنواع الخلق وفق خصائص ثابتة ، لكل شئ بذاته .
ويتضمن هذا التقدير الالهي الشامل ، أحوال الحياة الانسانية في الدنيا ثم في الآخرة .
وبذلك ندرك أن التجدد الذاتي في آيات الله الكونية ، مرتبط بثبات خصائص المخلوقات بكل أنواعها ، مع تكاثرها ، ثم موتها ، في دورات تدلنا دائما على حقيقة بعث الانسان بعد موته ، وتجعل ما هو جديد بالنسبة للناس ، مرتبطا بحالة كل إنسان وهو يكتشف من معالم الأشياء ما هو ثابت على تجدده ، إلى حين ، فعندما يكتشف أحد العلماء دواء جديدا ، فان هذا الدواء يظل جديدا بالنسبة لكل مريض يحتاج إليه ، حتى يتم اكتشاف ما هو خير منه فينتزع منه مكانته أما التجدد الذاتي في القرآن والسنة ، فهو يدلنا على ثبات البناء اللغوي للقرآن بلا تبديل ، وكثرة المعاني والمقاصد بلا حدود .

ثم ننظر فنجد السنة مترابطة المعاني ، في وحدة وتنوع ، لا مثيل لهما في غير كلام النبوة .
ذلك أن كلامنا البشري الخارج عن نطاق كلام النبوة ، تتداعى معانيه على ذاتها ، حتى نجد النظريات العلمية ، بحاجة دائما إلى حذف أو إضافة ، مع توالي الاكتشافات وتقدم البحث العلمي .
فاذا عدنا إلى القرآن وتذكرنا كيف أن كل ما تعددت مواضعه من أجزاء الآيات كالحرف أو الكلمة أو الجملة ، فانه يكون كالأبواب الكثيرة التي تفضي بنا إلى حقيقة واحدة في جملتها ، ولكنها كثيرة الوجوه في تفصيلها .
فهكذا يؤدي ثبات هذه الأجزاء على نصوصها إلى حركة متجددة ، تبينها لنا المشاهد الكثيرة التي تتصل بها في الآيات والسور .
وهذه الحركة ، هي أعظم دليل على التجدد الذاتي ، في كلام الله ، فهو بجملته وتفصيله جديد ، في جديد ، مهما تتقدم بنا فصول الزمان والمكان ، في الدنيا والآخرة .
* ـ ولكننا كلما نظرنا في ارتباط هذه الحركة بمدلولاتها في الواقع العملي في كل وجه من وجوه الحقيقة على إطلاقها ، تبين لنا أن أى ابتكار علمي في حياة البشر ، أو أى إنتاج متعلق بهذا الابتكار ، يفقد استحقاقه لكلمة الجديد شكلا ومضمونا ، بمقدار ما يظهر فيه من النسيان أو الخطأ ، وما يتبع ذلك من انفصاله أو انفصال مصطلحاته العلمية ، عن مصالح الناس ، مع استمرار تقدمهم في الحياة .
* ـ إن القرآن يستوعب كل حاجاتنا إلى القراءة .
فلو أننا قرأناه قراءة متواصلة بمقدار ما نتذكر من أجزاء آياته ، وما تجدده لنا في مواضعها من المشاهد ، نحصل على وجوه علمية كثيرة ،

ولكنها مرتبة ترتيبا معجزا متفقا مع الواقع العملي في الكون والحياة ، كما شاء الله أن يكون التركيب والثبات والحركة في آياته الكونية .

* ــ ذلك أن البشر ، لا ينشئون الأشياء أو المصنوعات أو المصطلحات العلمية ، أو الأحكام الدينية إنشاء ، ويخلقونها خلقا وانما هم يركبون المصنوعات أو الكلمات الدالة عليها ، والأحكام الخاصة بتنظيم الانتفاع بها ، في حدود ما يسر الله لذلك من الأسباب ، في وجودهم ومعرفتهم .

ولقد جعل الله هذه الأسباب خاضعة لأحكامه هو ، وليست خاضعة لأحكام خلقه .

* ــ فلما كان البشر ، يتهافتون دائما على ادعاء التجديد ، ولا قدرة لهم عليه ، إلا بمقدار خضوعهم ، لفطرة الله في خلقه ، ونظامه في كتابه وسنة رسوله ، فقد بين الله لهم بالواقع العملي أن نظام بحثهم العلمي في القرآن والسنة ، هو نفسه نظام بحثهم العلمي في كل أمورهم المادية ، في الكون والحياة .

وأكبر الدلائل على ذلك ، أن أجزاء الآيات القرآنية تقوم على ثباتها على نصوصها بلا تبديل ، وحركتها في مواضعها بلا تحريف ، وأن هذا النظام ، يقدم لنا وجوه الحقيقة مرتبة وفق حاجاتنا إليها كلما سعينا لذلك سعيه ، سواء نظرنا إليها نظرا عاما أو خاصا .

والمقصود بالنظر العام هو القراءة المتواصلة لآيات القرآن وسوره كما هي مرتبة في المصحف .

والمقصود بالنظر الخاص البدء بقياس الاشباه والنظائر من أول احتياجنا إلى معنى أى كلمة قرآنية إلى نهاية النظر في حركتها الموصولة ، بسياقها من مواضعها في الآيات والسور ، كما سبق بيان ذلك ، فاحتجنا ــ معا ــ إلى تأكيده هنا ، عندما وجدنا له مناسبة جديدة .

فأما النوع الأول ــ فهو النظر العام حيث ننظر في آيات الله الكونية بكل أنواعها ، ونحن نعيش في رحابها . وذلك أمر يتفق مع حاجاتنا إلى النظر في جمال الكون والحياة ، أو يتفق مع النظر في الوحدة والتنوع بآيات الله الكونية ، على ما هي عليه في ظاهرها العام .

وفي ذلك يقول الله تعالى :

(قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) الأنعام/١١ .

وكلمة **(قل)** من الكلمات القرآنية الدالة على ارتباط مضمون السنة ، بمضمون القرآن . وكيف لا يكون الأمر كذلك وقد تضمنت هذه الكلمة ارتباط الرسول والرسالة بما أوحى الله إليه في القرآن والسنة ، وعاقبة المكذبين هي أنهم بادوا وبادت معهم كل منتجاتهم وصناعاتهم ، والسموات والأرض على حالهما ، ينطلقان إلى حيث قدر الله من نهاية الدنيا واقبال الآخرة .

والآيات في ذلك كثيرة ، تفصل لنا وجوه العلم المتنوعة ، التي نحتاج إلى ترتيبها القرآني ، لتتقدم أفكارنا مع

تقدم صناعاتنا ، وتتجدد سعادتنا مع تجدد مبتكراتنا في كل فكر وقـول وعمل ، وإنتاج ، ومنتجات .

وأما النوع الثاني ـ فهو النظـر الخاص ، في كل وجه بذاته من وجوه البحث العلمي ، في الكون والحياة .

* ـ وواضح أننا لا نصل إلى أى نتائج علمية قابلة لأداء المنافع التي يحتـاج إليهـا البشر في حياتهـم العملية ، إلا وقد عرفنا خصائص نوع بذاته من الذرات أو الخلايا ، أو نوع بذاتـــه من الأحيـــاء ، أو الأشجار .

والشكل في كل من ذلك ، هو سبيلنا إلى المضمون . والله تعالى هو الذي ثبت شكل كل ما كثر أو قل من آياته الكونية ، لنستدل بذلك ، على حركة كل نوع من الأنواع في مواضعه ، الكثيرة بين مخلوقات الله تعالى . فهذا النظام نفسه ، هو نظام التدبر في آيات القرآن ، وأجزائها ومواضعها وارتباطاتها ، وما يتحقق بذلك من تجديد المعاني والمقاصد المرتبة ، في نظامها المعجز ، الذي أمـر الله به وحيا ، وطبقته السنة عملا ، وبيانا وتفسيرا .

فكيف يكون العلم البشري ، خاضعا لمنهج الله في آياته القرآنية ، وآياته الكونية هذا الخضوع ، ثم يتكبـر صغار العقول من الباحثين في العلوم البشرية المختلفة ، فيظنون أنهم لم يعودوا بحاجة إلى القرآن والسنة .

* ـ والحقيقـة أن البشر ، كلمـا ازدادوا تقدما ، وتجديدا في الصناعة والعلوم التي يسرها الله لهم ، كلما كانوا اكثـر حاجـة ، إلى أمريـن أساسيين :

الأمر الأول : هو احتياجهم إلى التدبر في تركيب القرآن في شكله المعجز ، ثم في ارتباط مقاصد السنة بمقاصده ، وبذلك يكتشفون النظام الواحـد في منهج البحث العلمي كما يسره الله تعالى لهم في آياته القرآنية ، وآياته الكونية .

والأمر الثاني : هو أنهم بحاجة إلى أن يتعلموا كيف يربطون بين معنى التجدد والتقدم ، ومعنى السعـادة الانسانية التي لا تقوم لها قائمة ما لم نستلهم روح القرآن والسنة ، وروح الكون الذي سخره الله لنا ، حيث وصلنا الله بنعمه على أفهامنا ، كما تمت بذلك شريعته ، واكتمل دينه ، ووصلنا بنعمه على أجسامنا كما يسر لنا أنواع الرزق ، في كون متحـد متآلف ، لا تناقض فيه ولا تفاوت ، ولا صراع ، ولا حيرة ولا ضلال ، إلا بالبعد عن طاعة الله ورسوله .

هكذا يتبين لنا بعض معاني التجدد الذاتي في القرآن . فكيف يتبين لنا التجدد الذاتي في السنة .

* ـ إن السنة لها من خصائصها الكثيرة أنها مرتبطة بالقرآن من حيث كونها صادقة وعادلة وثابتة في كل مقاصدها .

ولكن الجديد هنا أن السنة تبين لها بتكوينهـا الشـكلي أن مقاصدهـا مرتبطة بتفسيـر القـرآن وبيانـه ، وتطبيقه تطبيقا عمليا على كل أحوال الحياة الانسانية .

وسنضرب لذلك ثلاثة أمثلة تدل على

تجدد السنة تجددا ذاتيا ، يربطنا بمقاصد القرآن ربطا متواصلا باقيا لا سبيل إلى نقضه أو توهين عروته الوثقى .

فأما المثل الأول : فهو من احتواء الأحاديث التي صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على كلمات تربطنا بالقرآن ، لنستطيع دائما أن نكتشف تفسير السنة ، في جملتها وتفصيلها ، للقرآن في جملته وتفصيله .

ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه .

ألا لايحل لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذى ناب من السبع » رواه ابو داود (والحديث طويل وفيه أحكام اخرى)

وقد فسر الخطابي شارح سنن أبي داود هذا الحديث ، ونختار لكم شيئا من هذا التفسير .

قوله صلى الله عليه وسلم : (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه) يقول في تفسيره الخطابي رحمه الله : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آتاه الله الكتاب وحيا يتلى ، كما آتاه الله من البيان أى أذن له أن يبين ما في الكتاب ، ويعم ويخص ، وأن يزيد عليه فيشرع ما ليس له في الكتاب ذكر ، فيكون ذلك في وجوب الحكم ولزوم العمل به ، كالظاهر المتلو من القرآن » .

وهذا الحديث يتضمن التطبيق العملي لدور السنة في زيادة أحكام لم يرد نصها في القرآن .

وذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم : ألا لايحل لكم لحم الحمار الأهلي .. ولا كل ذى ناب من السبع .

فمن التجدد الذاتي من حيث المضمون ، أن الله خص السنة بأمور نحتاج إليها في حياتنا العملية ، ولم يجعل الله هذه الأمور في القرآن ، لتتجدد حاجاتنا إلى سنة عبده ورسوله ، كما تتجدد حاجاتنا إلى كتابه المتلو في المصحف .

ولكن الذي يعنينا هنا هو ما سبقت الأشارة إليه من احتواء الكثير من أحاديث الرسول على كلمات تربطنا بالقرآن ، وتردنا إليه ردا جميلا ، كلما كنا بحاجة إلى ذلك ، في الكثير والقليل من أمور حياتنا .

ألا نرى إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « إني أوتيت القرآن ومثله معه » .

إن كلمة (**مثله**) من هذه الكلمات التي تردنا إلى القرآن ردا جميلا كما قلنا ــ معا ــ قبل ذلك .

فلننظر في قوله تعالى :

(قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) الكهف/ ١٠٩ .

ان التماثل بين البحر وبين ما جاء عنه بقوله تعالى يقوم على أمور كثيرة نذكر منها ثلاثة أمور في حدود ما نعلم من ذلك ، وما نستطيعه من البيان .

الأمر الأول : هو وحدة المصدر لأن

الله هو خالق كل شئ .

الأمر الثاني : تفرق البحار في مواضعها بين السماء والأرض والزمان والمكان .

وهذا التفرق ، وان كان تباينا وليس تماثلا ، إلا أنه يجمل معنى التماثل من حيث الصفة العامة ، التي تجعل التفرق الشكلي ، دليلا للحياة الانسانية ، تعرف به كل نوع بذاته بين نعم الله تعالى .

الأمر الثالث : ان التفرق الشكلي في مواضع البحار بين السماء والأرض ، التي تتباعد فيها مناطق البحار الكثيرة ، هذا التفرق الشكلي ، هو الذي يتم به معرفتنا لمضمون الماء ، وهو مضمون واحد ، كلما تحركت بنا دوافع الحياة ، فعرفنا ما حضر من البحار ، بما غاب منها ، ولم يبق منه في عقولنا غير التذكر .

فقوله صلى الله عليه وسلم : (ألا واني أوتيت القرآن ومثله معه) يبين لنا معنى التماثل كما هو مبين في القرآن العظيم ، هو أن استقلال كل حقيقة بشكلها ، لا يمنع ارتباط كل أمر واحد ، بمصدره الواحد ، ومضمونه الواحد ، وغاياته الواحدة .

والقرآن يؤكد لنا هذا المعنى في مقاصد كثيرة ، منها التفرق في أشكال العمل البشري ، وان كان ذلك لا يمنع التماثل المتجدد ، لكل نوع واحد من الأعمال .

وذلك كما يقول الله تعالى :

(يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين) النور/١٧ .

ومثل ذلك يبينه لنا القرآن عن التماثل بين المضمون العام للقرآن ، وما سبقه من الكتب في لغاتها ، وفي أمكنة نزولها ، وأزمنته . كما يقول الله تعالى :

(وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم) الأحقاف/١٠ .

فلننظر كيف تربطنا هذه الكلمة ـ من كلمات هذا الحديث ، بمضمونها القرآني ، المتنوع ، الكثير في معانيه ودلالاته .

ولنبحث في مثل ذلك ..

في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو كثير جدا ، ولكن الجهود المبذولة في معرفته جد قليلة .

وأما المثل الثاني : فنجده في تركيب السنة ذاتها تركيبا دالا على التجدد الذاتي الذي لا سبيل إلى مثله إلا في كلام النبوة .

ومن دلائل هذا البناء المعجز في السنة ، أننا ننظر في الأحاديث فنجد لمعانيها وحدة وتنوعا ، كما نعد لبنات بيت واحد ، فنجد كل لبنة متفردة بموضعها وحركتها ، بين اللبنات جميعا .

وبذلك تكون السنة كالبنيان يشد بعضه بعضا ، فلا سبيل إلى الاستغناء ، عن السنة كلها في قليلها وكثيرها ، كما لا ينبغي أن يستغني أحد عن القرآن كله في قليله وكثيره .

فلننظر على سبيل المثل لا الحصر إلى باب البر وصلة الرحم في الحديث الشريف :

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

قال :
« سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أي العمل أحب الى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها . قلت : ثم أي ؟ قال : بر الوالدين . قلت : ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله » رواه البخاري ومسلم .
فهذا الحديث يربط بين بر الوالدين وبين الصلاة والجهاد .
* وروى عبد الله بن عمر وابن العاص أن رجلا جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال :
« جئت أبايعك على الهجرة ، وتركت أبوي يبكيان ؟ قال ارجع إليهما ، فأضحكهما كما ابكيتهما » رواه أبو داود .
وهذا الحديث يبين لنا أهمية إرضاء الوالدين .
* وعن أنس رضي الله عنه قال :
« أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :
أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه .
قال : هل بقي من والديك أحد ؟
قال : أمي .
قال : قابل الله في برها فاذا فعلت فأنت حاج ومعتمر ومجاهد » رواه أبويعلى والقيراني .
وهذا الحديث يرفع بر الوالدين ولا سيما الأم ، إلى مستوى الحج والعمرة والجهاد .
* وعن ثوبان رضي الله عنه قال :
« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ، ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر »
رواه ابن ماجه وابن حبان .
وهذا الحديث يبين لنا البر في عمومه لكل أحد من خلق الله ، وواضح أن رد الدعاء للقدر ، يدخل في القدر ، لأن الدعاء نفسه من القدر .
وواضح أن العمر يزيد بعد موت صاحبه إذا بقي من آثار بره ما ينفعه ، كالعلم النافع ، الذي لا يبتغي به غير وجه الله ، والولد الصالح يدعو له ، والصدقة الجارية ، وكل ذلك مستفاد من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .
* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
« يا رسول الله : من أحق بحسن صحابتي ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟
قال : أمك .. قال : ثم من ؟ قال أمك . قال : ثم من ؟ . قال : أبوك »
رواه البخاري ومسلم .
وهذا الحديث يبين لنا ما يمتاز به بر الأم بصفة خاصة ، من وجوب تقديمه على كل ما عداه .
* وروى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما . قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« رضا الله في رضا الوالد وسخط الله في سخط الوالد » رواه الترمذي
وهذا الحديث يبين أن رضا الله تعالى في رضا الوالد .
* وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال :

« أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال : إني أذنبت ذنبا عظيما ، فهل لي من توبة ؟ فقال : هل لك من أم ؟ قال : لا . قال : فهل لك من خالة ؟ قال : نعم . قال : فبرها » رواه الترمذي .

وهذا الحديث يبين أن بر الأم ينوب عنه بعد موتها بر أختها .

* وعن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال :

« بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل من بني سلمة ، فقال : يا رسول الله ، هل بقي من بر أبوي شئ أبرهما به بعد موتهما ؟

قال : نعم « الصلاة عليهما » والاستغفار لهما ، وانفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، واكرام صديقهما » رواه ابو داود وابن ماجه .

وهذا الحديث يبين لنا كيف يتجدد بر الوالدين بعد موتهما .

اننا أمام ثمانية أحاديث عن باب واحد من أبواب السنة ، هو البر وصلة الرحم .

* والحديث الأول يربط البر والصلة بالصلاة والجهاد .

* أما الحديث الثاني فهو يربط البر والصلة بادخال السرور على الأبوين .

* وأما الحديث الثالث فهو يربط البر والصلة بالحج والعمرة والجهاد .

* وأما الحديث الرابع فهو يربط البر والصلة بالدعاء ثم يربطه بالقدر ، ثم يربطه بزيادة العمر .

* وأما الحديث الخامس فهو يربط البر والصلة بالأم وتقديم حقها في ذلك على حق الوالد .

* وأما الحديث السادس فهو يربط البر والصلة برضا الوالد ، وما يؤدي اليه ذلك من رضا الله تبارك وتعالى .

* وأما الحديث السابع فهو يربط البر والصلة بالخالة ، ويجعله توبة من الذنب .

* وأخيرا نصل إلى الحديث الثامن حيث يبين الرسول صلى الله عليه وسلم أن البر والصلة ، لا ينتهيان بموت الأبوين ، وانما يتصلان بالدعاء والاستغفار لهما وصلة رحمهما واكرام صديقهما .

إننا أمام بناء متواصل ، من المعاني والمقاصد التي لا تتوقف عن التقدم ، ولا تكف عن الزيادة في الحركة والاستيعاب ، مع تجدد يرتبط بوحدة متنوعة ، لكل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

وهذا بعض معالم الوحي الالهي في السنة المطهرة .

فلما كان التجدد الذاتي في القرآن يقوم على الوحدة والتنوع في أدق دقائق النصوص القرآنية كالحروف والكلمات فما فوقها من الجمل والآيات ، فان الحديث يتجدد تجددا ذاتيا من حيث المعاني والمقاصد ، وهي مبنية هذا البناء العجيب الذي لا مثيل له في غير كلام النبوة .

أما المثل الثالث : فهو يقوم على وجهين أساسيين للتجدد الذاتي في القرآن والسنة :

الوجه الأول : خاص بالعمل

بالقرآن ، كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« نزل جبريل فأخبرني بوقت الصلاة فصليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ، يحسب بأصابعه خمس صلوات » رواه البخاري .

والأحاديث الخاصة بالصلاة لها وحدتها وتنوعها من حيث معانيها كما هو الشأن في كل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم » رواه احمد وابو داود .

ولو ذهبنا نتقدم مع كل الأحاديث الصحيحة ، في باب الصلاة لوجدنا تجددها الذاتي مطردا في تنوعه ، حتى يكتمل البناء العملي لكل آيات الصلاة في القرآن .

وعلى هذا الأساس ضرب الطبري أحسن مثل لتفسير القرآن بالسنة في المقام الأول ، والمأثور عن الصحابة والتابعين ، وكلهم ملتمس من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما الوجه الثاني : فهو أن التجديد الذاتي ، إنما هو في اتساع القرآن والسنة لكل حقائق الكون والحياة ، وما بعدهما من أمور الآخرة ، في تقدم متواصل ، لا سبيل إلى العلم به ، والعمل على مقتضاه إلا باتباع كلام الله وسنة رسوله ، إذ ان كل محاولة للتجديد مع البعد عن هذا النور المبين ، إنما هي سقوط وانقطاع ، وحيرة وضلالة . ولا يتفق شيء من ذلك مع التجديد في حقيقته .

ذلك أن التجديد لا يتم في أى حقيقة ما لم تكن هذه الحقيقة ، متصلة بالوحي الالهي من قرآن وسنة ، على أساس من أحكام القرآن وتفصيله ، ومن تجدد السنة في بنائها المحكم ، وتنوعها المتجدد .

وكلام البشر يختلط به الصواب بالخطأ والحق بالباطل والصدق بالكذب .

فكيف يمكننا أن نعتمد عليه ونصف ما شئنا من أجزائه بأنه جديد ، بينما الحقيقة أن ما يستحق هذه الصفة ، هو كل كلام صادق وعادل وثابت ، كما تبين لنا ذلك من قبل . ذلك أن أى كلام جديد ، يشبه صكا يكتبه أحدنا على نفسه ليصرف بمقتضاه مبلغا من المال من أحد المصارف . فلو أن المبلغ المذكور في هذا الصك ، قد صرف من قبل بمقتضى صك غيره ، لكان الصك الأخير ساقطا من الحساب ، ولا مكان له في ان يعتبر له وجود حقيقي ، فضلا عن جدارته لتحقيق الفعل الجديد الذي كان ينبغي ان يترتب عليه .

فكذلك الكلام ، يظل جديدا أبدا ، بمقدار ما يكون قادرا على الفعل والتأثير بصفة مستمرة ، وهذا هو البيان العملي للصدق والعدل والثبات .

والوحي الالهي من قرآن وسنة ، هو الذي يتجدد تجددا ذاتيا بهذا المعنى ، لأنه قادر دائما على أن يبرر لنا ارتباطه العملي الذي لا ينفصل أبدا بجملة الحقائق المرتبطة به .

رَدٌّ عَلى رَدٍّ

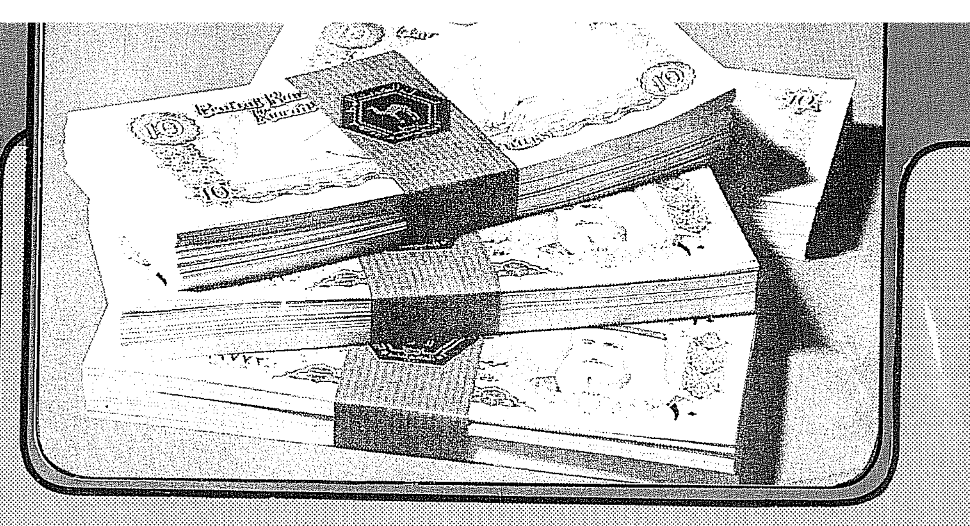
الأوراق المالية والبنكية والصرف

حمدا لله رب العالمين وصلاة وسلاما على خير المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وبعد .

فإني أشكر الدكتور أحمد السالوس للمرة الثانية على اهتمامه بموضوع الأوراق المالية البنكية ، كما أشكر له غيرته الاسلامية التي أرجو أن تكون خالصة لوجه الله تعالى وألا تشوبها شائبة من اتباع للهوى أو رغبة في حب الظهور ، أو وقوع في براثن الحقد الذي يصيب الكثيرين حين لا يجدون سعة في صدورهم للنقاش الهادف المعتمد على الحقائق العلمية الناصعة الواضحة وضوح الشمس للمبصرين . ولقد طلبت منه ومن جميع العلماء الأفاضل المهتمين بالأمور الاسلامية أن يدلوا بدلوهم لتبيان الحقيقة في أمر له خطورته وأهميته ، وهو التعامل بالأوراق المالية « وهل تعامل هذه الأوراق معاملة الذهب والفضة أو تعامل معاملة عروض التجارة ؟ »

وقلت رأيي في الموضوع « وهو انني أرى أن تعامل الأوراق المالية معاملة عروض التجارة » فلا تخضع للشروط التي يجب تحققها في التعامل بالذهب والفضة من التماثل في الوزن ومن القبض في المجلس لكليهما إن كان مبادلة ذهب بذهب أو فضة بفضة ، ومن قبض في المجلس مع جواز التفاضل إن كان ذهبا بفضة أو فضة بذهب .

واستدللت على ذلك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر أصنافا ستة في عدة أحاديث هي الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح ولم يزد عليها مما يدل على أن الربا يقع في هذه الأصناف فقط ولا يتعداها الى غيرها إلا بنص لقوله تعالى : (**وقد فصل لكم ما حرم عليكم**) الأنعام/١١٩ كما انني أرى أن ذكر هذه الأصناف دون غيرها غير معلل بعلة وبناء على ذلك لا يقاس غيرها عليها ، فلا تقاس الفلوس التي هي من نحاس أو غيره ولا تقاس الأوراق المالية على الذهب والفضة في اشتراط المثلية والتقابض في المجلس .



للشيخ/حسن محمد أيوب

ورد علي الدكتور الفاضل والأخ العزيز الحبيب بأن الظاهرية وحدهم هم الذين قالوا بعدم العلة في ذكر هذه الأصناف فرددت عليه بأن الظاهرية ليسوا وحدهم القائلين بذلك فقد قال بهذا الرأي من القدماء طاوس وقتادة وعثمان البتي وأبو سليمان كما ذكر ابن حزم في المحلي ج٨ ص ٤٦٨

واختاره ابن عقيل : « وهو قمة في فقه الحنابلة » مع قوله بالقياس كما ذكر ابن القيم في اغاثة اللهفان ج٢ ص١٥٦ حيث قال : إن علل القياسيين ضعيفة واذا لم تظهر فيه علة امتنع القياس .

ومعهم أبوبكر الباقلاني كما قال ابن رشد حيث لم يلحق بالأصناف الستة المذكورة في الحديث الا الزبيب لأنه أخذ بقياس المعنى ولم يأخذ بقياس الشبه الذي أخذ به جمهور الفقهاء لضعفه عنده ، وقال به من المحدثين الصنعاني في سبل السلام ج٣ ص٣٦ حيث ذكر أن الفقهاء اختلفوا في العلة اختلافا كثيرا يقوي للناظر العارف أن الحق ما ذهبت اليه الظاهرية .

وقال به أيضا من المحدثين أبو الطيب صديق بن حسن القنوجي البخاري في كتابه « الروضة الندية » حيث قال : أما اختلاف مثبتي القياس في علة الربا فليس على شيء من هذه الأقوال حجة نيرة انما هي مجرد تظننات وتخمينات انضمت اليها دعاوى طويلة بلا طائل ، فما أحسن الاقتصار على الشريعة وعدم التكلف بمجاوزتها والتوسع في تكليفات العباد بما هو تكليف محض الخ ج٢ ص١١٠ .

وقلت ان القائلين بالعلة من أصحاب المذاهب الأربعة .

هم الأحناف : وعلة الربا عندهم في الذهب والفضة هي الوزن والأوراق لا توزن فلا تخضع للربا . وهم الامام أحمد وله آراء ثلاثة منها رأي كرأي الأحناف . وهم المالكية والشافعية ولكن العلة عندهم « وهي الثمنية » قاصرة على الذهب والفضة فلا

تتعداهما الى غيرهما فتكون الأوراق المالية عندهما غير داخلة في أحكام الربا التي يخضع لها الذهب والفضة . وهذا هو رأي القائلين بعدم العلة فلا خلاف في النتيجة . والخلاصة هي : أن الأوراق المالية البنكية لا يشترط في التعامل بها ما يشترط في التعامل بالذهب والفضة ويستوي في ذلك القائلون بعدم العلة وأكثر القائلين بها .

هذه خلاصة ما ذكرته بالنسبة للعلة في ردي المنشور في مجلة الوعي الاسلامي عدد رقم ١٩٦ بتاريخ ربيع الثاني ١٤٠١ هـ .

وهذا هو الأساس في مناقشة موضوع الأوراق المالية وهل تعامل معاملة الذهب والفضة لعلة الثمنية التي تلحقها بهما أم لا تعامل معاملتهما لعدم العلة أو لأن العلة قاصرة على الذهب والفضة أو لأن العلة فيهما هي الوزن والأوراق لا توزن .

والأمر حينئذ في منتهى الوضوح ومن أراد الرد فعليه أن ينكر ما ذكرته هنا ولا يستطيع ذلك لأنني نقلته من كتب الفقهاء بنصه وحددت رقم صفحاته .

أو يرد على الظاهرية ومن قال برأيهم وهم كثيرون ولهم وزنهم في الفقه الاسلامي . أو يدعي أن الظاهرية ومن قال معهم بعدم العلة لا وزن لهم عند الفقهاء ولا يعبأ بهم . أو يعترف بأن القائلين بعدم العلة لهم رأيهم ولكنه يخالفهم في الرأي .

ولكن الدكتور الفاضل أحمد السالوس لم يفعل شيئا من ذلك كله ، وبعد بعدا شاسعا عن هذا الأصل الذي هو أساس المناقشة ما عدا كلمات تفيد أن الظاهرية لا يعبأ أحد بقولهم وذلك في رده علي في عدد جمادى الآخرة رقم ١٩٨ وراح يحشو أربعين صفحة في مجلة الوعي بكلام للفقهاء لا صلة له بهذا الأصل ، وادعى أنه يرد علي . وأنا أقول له : يا أخي الحبيب : في أي واد مشيت ؟ ولم تركت هذه الأصول كلها فلم ترد عليها ؟ ولم لم تتعرض للرد على الظاهرية ولا على الباقلاني ولا على ابن عقيل ولا على الصنعاني ولا على القنوجي ؟ ولم أهملت الجميع إهمالا تاما كما سبق ؟ كما أنك قلت في العلة القاصرة كلاما لم يقله أصحاب المذاهب القائلون بها فان العلة القاصرة لو تعدت الى الأوراق المالية لتعدت الى الفلوس الرائجة ولو تعدت الى الفلوس الرائجة ما حدث فيها خلاف ، وأنت ذكرت أنهم اختلفوا فيها ، وما ذكرته عن الامام مالك لا يصلح دليلا لك لأنه لم يذكر علة الحكم ، والعبرة بالأصول ، فان جاء في المذهب ما يخالفها نظر في ذلك ، وقد عرفت أصول المالكية كما ذكرها أحد فقهائهم ، وهو ابن رشد وقد ذكرت في الرد عليك من أقوال الأحناف ومن أقوال صاحب المغني الصريحة ما يدل على أن أكثر العلماء لا يرى أن تعامل الفلوس معاملة الذهب والفضة « فجئت أنت وقلت : مرادهم الفلوس الرائجة » وعملت من نفسك شارحا لهم ثم جئت بأقوال

للأحناف لتستدل بها على مذهبك وهي غير صالحة أبدا ، وكان يجب أن تدرك أن علة الربا عند الأحناف في الذهب والفضة هي الوزن فحتى لو قالوا : ان الفلوس فيها ربا لكان على أصل مذهبهم باعتبار أن الفلوس توزن كما يوزن الذهب والفضة ، والأوراق المالية لا توزن ، ولو تدبرت ما قاله ابن عابدين لأدركت هذا المعنى والا فكيف تفهم الأمور ؟ واذا كان أكثر العلماء لا يخضع الفلوس للربا فالأوراق المالية لا تخضع له في التبادل العادي من باب أولى ، وان قلت ان البعض يقول بخضوعها والآخر يقول بغير ذلك قلت لك أنا مع من يقول بغير ذلك فهل علي لوم أن أتشبه بهم ؟

كما أنك أتعبت نفسك في نقل كلام مجمع البحوث وكبار العلماء في السعودية ورئيس المحاكم الشرعية بقطر وهؤلاء قائلون بالعلة فليسوا حجة على من لم يقل بها في الصرف وأنا منهم ، ولم حاولت تجريحي وغمزي ولمزي أكثر من مرة لأنني لم أقل بقولهم ؟ هلا جرحت وغمزت ولمزت وطلبت توبة جميع من لم يقل بالعلة أو لم يقل برأيك ومنهم البعض الذي ذكره رئيس محاكم قطر ، حيث أن هذا البعض اعتبر الأوراق البنكية عروض تجارة ؟

ومنهم كبار علماء السعودية حيث أن أكثر هيئة كبار العلماء بها هم الذين قالوا بأن الأوراق المالية تعامل معاملة الذهب والفضة والقلة لم تقل بهذا الرأي فلماذا لم تسلط عليهم سوطك كما سلطته علي ؟ ولماذا لم تطلب منهم جميعا التوبة لأنهم أذنبوا ووقعوا في كبيرة من الكبائر على حد زعمك ؟ أليس القائلون بعدم العلة والقائلون بها ولكن لا تنطبق على الأوراق المالية أكثر عددا من القائلين بالوصية الواجبة ؟ ومن القائلين بأن الطلاق المعلق لا يقع ؟ ومن القائلين بأن الطلاق الثلاث في لفظ واحد يقع واحدة ؟ ومن القائلين بأن الطلاق المخالف لما أمر الله لا يقع ؟ كأن طلق الرجل امرأته وهي حائض أو طلقها بعد الطهر والاتصال بها الخ ؟ راجع زاد المعاد لابن القيم .

فهل أقمت الدنيا ولم تقعدها على هؤلاء جميعا ؟ وهل الأمر اتباع هوى أم اتباع دليل وأصول فقهية متفق عليها ؟

كان الأولى أن تطلب التوبة بشجاعة من نفسك ومن القائلين بأن الشيك يكفي عن قبض الأوراق المالية وقد طلبت أنا من الجميع أن يأتوا بدليل واحد من الكتاب أو السنة أو كلام السلف على أن الربا الذي شدد الرسول صلى الله عليه وسلم علينا فيه لا يحدث اذا قبض الانسان شيكا بدلا من المبلغ المطلوب قبضه في الصرف . قد تقول ان الضرورة تبيح المحظورة كما فعلت فأقول لك : ان هناك من يقول ان ربا الفائدة ضرورة ، وان تعامل البنوك به ضرورة ، وان وقوع الدول فيه ضرورة ، وان حاجة الأفراد اليه ضرورة ، وكلها أقوال تقال فهل كل ما يقال يؤخذ به ؟ وهل قيل لك انه لا حل عند الاقتصاديين الا هذا ؟

ثم اذا كان الشيك ضرورة

فبمقتضى هـذا انك اعتـرفت بـأن التعامل به ربا وحرام لكن الضرورة أباحته ، ولكنك تقول في موضع آخر انه يكفي عن القبض فليس ربا ولا حراما أليس هذا خلاصة ما ذكرته وفيه تناقض واضح ؟

أما ما حشوت به المقال من كلام الفقهـاء فمع أنـه ليس أصلا في المناقشة فهو يرد عليك أنت لأنك خرجت منه الى أن المالكية يمنعون التعامل بالفلوس الا على أساس المثلية والقبض في المجلس وان للأحناف في الفلوس رأيين وكذلك للشافعية وكذلك الحنـابلة : اذا فليس هنـاك رأي واحد ، وهذا دليل على أن الفلوس ليست كالذهب والفضة لأن الربا في الذهب والفضة لا خلاف فيه فلماذا اذا تتهجم علي وتتهمني بالعظائم ؟ وهل سبق مني ما يخدش كرامتك أو يجرح شعورك ؟ ثم لماذا هذا الكلام يا دكتور عن رأيي ورأي الأكثرية معي ؟ تقول : فيه تعطيل لكتاب الله وتذكر آية : (**والذين يكنزون الذهب**) التوبة/ ٣٤ هل يفهم أحد غيرك هذا الفهم ؟ وهل هكذا يـرمي العلماء بعضهم بعضا ؟ وتقول : وفيه تعطيل لسنة رسول الله « لأنني سأعطل الزكاة في الأوراق المالية » أهكـذا يسبح بك الخيال وترمي إخوانك بغير رحمة وأنت قرأت قولي بأن الأوراق المالية تجب فيها الزكاة وكذلك سمعت من الشريط ؟ وهل المسلم يتصيد لأخيه الأخطاء بدون أدنى مبرر وبهذا الشكل ؟ وهل هذه مناقشة علمية موضوعية ؟

وتقول : وأصبحنا في عصر يستحل فيه الربا لأن الشيخ حسن لا يقول بالحاق الأوراق المالية بالذهب والفضة « خلاصة كلامك » اذا فجميع الفقهاء الذين لم يقولوا بالعلة والذين قالوا بالعلة القاصرة وجميـع الذين لم يلحقوا الأوراق المالية بالذهب ومنهم سعوديون وغير سعوديين . جميعهم أحلوا الربا في نظرك ؟ يا لها من داهية دهياء وفتنة عمياء ورمية شنعاء لم يتق اللـه راميها . وذكـرت أن الناس سيستغلون رأيي هذا ويقعـون في أنواع من الربا « خلاصة قولك » فهل هو رأيي فقط ؟ وهل استغلال الناس لفتوى عالم استغلالا بعيدا عن مرمى الفتوى يوجب على العالم أن يغير الفتوى ويقول بما لا يراه ولا دليل عليه عنده ؟

ان الناس استغلوا فتاوي لابن تيمية ولابن القيم ولابن عبد الوهاب وغيـرهم استغلالا فـاحشا ، كمـا استغلوا فتاوي لمحمد عبده ومحمد رشيد رضا وغيرهما فماذا فعل كل هؤلاء ؟ هل راجعوا عن فتاواهم ؟ ؟ ثم : ألا ترى معي أن القائلين بالقياس على الأمور الستة المذكورة يترتب على قولهم وقوع كثير من المسلمين في الربا ؟

ان كل ما يكال وما يوزن يقع فيه الربا عند الأحناف ولو كان مبادلة حديد برصاص ، أو جبس بتبن ، أو علف ببرسيم جاف ، أو دقيق بـأرز أو سكر .

وكل ما هو طعام للاقتيات والادخار يقع فيه الربا عند المالكية .

وكل ما هو طعام يقع فيه الربا عند الشافعية ولو كان فجلا بجرجير أو خبزا بكراث أو كزبرة بحلبة وهكذا .

فهل ترى الناس الآن أو قبل الآن بقليل فهموا هذه الأمور وتركوا الوقوع في الربا المترتب على التعامل فيها ؟ ان طلبة العلم أنفسهم قليل منهم من يفهم هذه الأمور فضلا عن أن يطبقها أما رأيت الكثيرين يذهبون الى البقال وأمثاله لفك دينار وتحويله الى فلوس فلا يجدون عنده قيمة الدينار من الفلوس فيقولون للبقال سنمر عليك بعد قليل لأخذ الباقي منك ؟

وهذا ربا حسب قولكم في التعامل بالأوراق المالية ، والناس يقعون في كل ما سبق أمام أعين العلماء فهلا أنكرت أنت وغيرك على هؤلاء ؟

هل قامت حملة من وزارات الأوقاف غيرة على دين الله فحذرت الناس من الوقوع في هذه الأنواع من الربا ؟ ان ذلك كله مفروض على العلماء أن يقوموا به حتى لا يقع الناس في أنواع الربا التي قال بها أهل القياس .

ماذا بالله يحدث لو رفعنا عن المسلمين الحرج ووقفنا عند الأصناف الستة ولم نقل بالعلة التي لا تطمئن النفس اليها في هذه الأمور ؟؟؟

وتقول « إن قضايا العصر لا تحل « باجتهاد فردي » وهذا حق ولكن هل ذلك رد أم اتهام بأنني وحدي أقول بهذا الرأي ؟ وأين اذا جميع العلماء والفقهاء القائلين بهذا الرأي ؟ هل صاروا هباء في نظرك يا دكتور ؟

وأكثرت من قولك أخطأ الشيخ - ومن الخطأ قول الشيخ وما ذكرت خطأ لي الا وجئت بكلام يدل على أنني على صواب ، وأنا أرضى لجنة تحكيم للنظر فيما كتبت حتى ترى بعدك عن الحقيقة وإسرافك في التشنيع والتهم ووضع نفسك موضع المدافع وحده عن الاسلام ضد إنسان يعتدى عليه .

سامحك الله يا دكتور أحمد وردك الى الصواب فيما تقول وفيما تكتب وسدد الله خطانا أجمعين .

تذكر أنني ذكرت في مقالي السابق أنني أريد رد العلماء الأفاضل ولم أقل أريد التهجم والغمز واللمز والتهم الجارحة فإن هذا ليس أسلوب العلماء .

وقبل أن أنهي كلامي في موضوع لن أعود للكتابة فيه أقول لك : حاول أن تقرأ ما كتبته أنت للرد علي في هدوء واسأل نفسك هل حقيقة أنت رددت علي أم شط بك القلم ، وبعدت عن أصل الموضوع واعتمدت على أسلوب التجريح والتهويش والتلفيق واتهامي بأنني بترت الكلام والله يعلم أني بريء من كل ما كتبت ؟؟؟

لا « ثم لا » « ثم ألف لا » يا أخي الحبيب : وأقولها بصدق لأني أحب فيك إيمانك وان كنت لا أحب فيك تجريحك الشنيع لأخ لك في الله يعرف الناس عنه أنه لا يخشى في الحق لومة لائم ، ولا يريد الا الحق المبني على الدليل ، ولا يرضى لنفسه أن يكون مقلدا ، أو متعصبا مذهبيا ، أو أسيرا لكلمة « الجمهور » هدانا الله سواء السبيل .



التقوى - وقد وردت في القرآن الكريم بجميع مشتقاتها نحو مائتين وخمسين مرة - كلمة جامعة لخصال الخير والبر في الدنيا والآخرة ، فهي وان أطلقت في الكتاب العزيز على عدة معان لا تخرج في مدلولها العام عن معنى خشية الله ومراقبته ، والالتزام بما كتبه على عباده ، حتى تكون النفس في وقاية مما تخاف يوم يقوم الناس لرب العالمين .

وتشير بعض الآثار الى أن من تمام التقوى أن يدع الانسان بعض الحلال ، مخافة الوقوع في الحرام ، فالمؤمن التقي ورع لا يحوم حول الحمى ، ولا يدنو من الشبهات ويترك ما يريبه الى ما لا يريبه ، ومن ثم يحيا مخبتا لربه يخشاه في السر والعلن ، يرجو رحمته ، ويشفق من حسابه وعذابه .

ان التقوى لباس الخير ، وطريق الفوز في العاجلة والآجلة ، فالأتقياء يغدق الله عليهم النعم الجزيلة ما ظهر منها وما بطن : (**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض**) الأعراف/٩٦ : (**ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**) النحل/١٢٨ .

ولا يتقبل الله عملا الا من الأتقياء ؛ لأنهم وحدهم الذين يعملون العمل الطيب الخالص لبارئهم ، فلا يشركون به شيئا : (**انما يتقبل الله من المتقين**) المائدة/٢٧ .

ولا غرو ان أثاب الله الأتقياء جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين .

والصيام - وهو عبادة كتبها الله على المؤمنين به في كل دين - فرض

علينا لغاية مقدسة كسائر الفروض والتشريعات ، وهي تربية التقوى في نفس المؤمن ، وبعث الشكر لربه الذي أنعم عليه بكل شيء : (**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**) البقرة/١٨٣ .

قال أبو حيان : « للصوم فائدتان : رياضة الانسان نفسه عما تدعوه اليه من الشهوات والاقتداء بالملأ الأعلى على قدر الوسع » (البحر المحيط ٢ صـ ٣٠) .

ان الصيام يبعث على التقوى ، ويحض على الاخلاص لله في السر والجهر ، وقد ذكر بعض العلماء أن التعبير بـ « لعل » في الآية الكريمة فيه معنى الاعداد والتهيئة ، وأن الصيام يعد النفوس لتقوى الله وطاعته ، وأن هذا الاعداد يظهر من وجوه كثيرة أهمها ما يلي :

أولا : أن الامتناع عن أهم رغبات الجسد وحاجاته الضرورية امتثالا لأمر الله وتقربا اليه يحمل على التقوى ، ومراعاة حدود الله في كل وقت ، كما أن هذا الامتناع من ناحية أخرى يضعف تحكم القوى الشهوانية في الانسان فلا تسيطر عليه ، وقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن عمر قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحفظ للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » والمعنى من قدر منكم على أعباء الزواج فليتزوج ، ومن لم تكن له قدرة على ذلك فليصم ، فان الصوم جنة ، أي وقاية ، وهي في معناها الشامل وقاية من كل شر ، فالصوم لذلك وقاية من كل ما يسوء الانسان ويسوء المجتمع ، لأنه يكسر الشهوة ويضعف الاتجاه اليها ، ويخلص الانسان من عبودية الجسد وسيطرة الغرائز .

ولكن كيف يكسر الصوم الشهوة ويضعف الاتجاه اليها ؟ يرى كثير من الباحثين أن الامتناع عن أهم حاجات الجسد من طعام وشراب ، يضعف الانسان ، فيعجز عن المعاصي ، فالصيام لديهم بطبعه يؤثر في قدرة الانسان على العبث والمجون ، ولا يتيح لقواه الشهوانية فرصة الانطلاق ؛ لأنه يحرمها من مصدر النشاط والحركة ، وهو الغذاء ، بيد أن الصيام لا يضعف الشهوة ؛ لأنه حرمان من أهم حاجات الجسد ، والا كان لونا من العقوبة لا لونا من العبادة والطاعة ، والله أرحم بعباده من أن يكتب عليهم ما فيه إعنات لهم أو ضعف لقوتهم .

ان ما افترضه الله على عباده من صلاة وصيام وحج وزكاة ليس له بذاته أثر في تقوى القلوب ، ولكن لأنه عبادة تصل الانسان بخالقه ، وتشعر بسلطان الله عليه فلا يضل ولا يشقى ، فالصلاة مثلا كما جاء في القرآن الكريم تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وهي في ذاتها من حيث القيام والركوع والسجود وتلاوة بعض آيات الله لا تنهى عن الفحشاء والمنكر ،

ولكن من حيث كونها عبادة تتكرر كل يوم خمس مرات ويستشعر الانسان في كل مرة خشية الله ومراقبته ، لأنه بين يديه ، فان هذا يعصمه من الزلل ، وتحول الصلاة بذلك بينه وبين الفحشاء والمنكر .

والصيام يكسر الشهوة لا بالجوع والعطش ، ولكن لأنه عبادة سلبية ليس لها مظهر خارجي ، وهذه السلبية تمثل عنصر المراقبة الصادقة في ضمير المؤمن ، بحيث يصبح مالكا لنفسه يصرفها حسب الشرع لا حسب الشهوة « تفسير المنار ٢ صـ ١٦١ » .

« ان الجوع ليس مخ الصوم نفسه ، وليس من الصواب أن يكون الجوع طابع الصوم الظاهر عند المتكلمين في الحكمة وفضل الصوم ، وحبذا الصوم امساكا عن جميع الأهواء والأخطاء ، ليكون رياضة مصلحة للنفوس ، مجدية على الفرد والجماعة ، مروضة على ما لا يسهل الارتياض عليه في سائر الأوقات لضعف أو اهمال أو عدم رقابة ، فيكون رمضان وسيلة الى التقوى التي رجاها القرآن » . « من هدي القرآن في رمضان للشيخ أمين الخولي صـ ٤٧ » .

ويرى بعض المعاصرين أن الصائم حين يمتنع عن حاجاته البشرية من طعام وشراب وما الى ذلك فانه يشعر برغبة تثير انتباهه الى تلك الحاجات ، فكأن الصيام تذكير بمادية الكيان ، وبشرية الوجود وحاجة الانسان فلا يستعلي ولا يستبد ، ولا يتجاوز حدود بشريته في كل تصرف من تصرفاته .

إن كل فرد ـ مهما يكن مركزه ـ معرض في بيئته للون من الطغيان ، يجاوز فيه قدره نوعا من المجاوزة ، فاذا ما رده الصوم بتنبيهه المكرر الى حاجة الانسان الى أكل الطعام ، عاد بالصوم انسانا سويا (المصدر السابق صـ ١٦) .

وهذه نظرة عميقة خليقة بالتدبر والتأمل ، لأنها لا تجعل الامتناع عن أهم رغبات الجسد مجرد حرمان مؤقت يؤتي ثماره في مجال الحد من طغيان الشهوات ، ولكنها تجعله مع هذا آية العبودية ودليل الضعف البشري ، فيعرف الانسان قدر نفسه ، ورسالته في الحياة .

ثانيا : اذا كانت بعض العبادات كالصلاة والحج والزكاة يمكن أن يدخلها الرياء والنفاق ، لأن القيام بها يتمثل في أمور يطلع عليها الخلق غالبا ، ويستوي في أدائها من الناحية الشكلية المخلصون والمنافقون والصالحون والطالحون ـ فان الصيام عبادة لا يلحقها الرياء ، ولا يتحقق فيها النفاق ، فالقيام بها يتمثل في أمور لا يطلع عليها سوى الحق تبارك وتعالى ، ومن ثم كان سرا بين العبد وربه ، وفريضة يرجو الصائم من ورائها مرضاة الخالق بعيدا عن أعين المخلوقين ، فأداء هذه الفريضة على وجهها المشروع لا يمكن أن يكون إلا ابتغاء لمرضاة الله وامتثالا لأوامره ، ومن امتثل أمر الله في صدق ، وتغيا من الطاعة والعبادة رضوان ربه فقد

اتقى خالقه حق تقاته .

ولأن الصيام هكذا اختصه الله بنفسه ، ونسبه لذاته مع أن كل العبادات كذلك ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث قدسي مخبرا عن ربه : « يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي ... الصوم لي وأنا أجزي به » وفي رواية أخرى : « كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا أجزى به » . (رواه الامام مسلم)

وجاء في تفسير المنار ٢ صـ ١٥٩ :

« فاذا ترك الانسان شهواته ولذاته التي تعرض له في عامة الأوقات لمجرد الامتثال لأمر ربه والخضوع لارشاد دينه مدة شهر كامل في السنة ملاحظا عند عروض كل رغبة له من أكل نفيس وشراب عذب بارد وفاكهة يانعة وغير ذلك ، أنه لولا اطلاع الله تعالى عليه ومراقبته له لما صبر عن تناولها وهو في أشد التوق اليها ، لا جرم أنه يحصل له من تكرار هذه الملاحظة المصاحبة للعمل ملكة المراقبة لله تعالى والحياء منه سبحانه وتعالى أن يراه حيث نهاه ، وفي هذه المراقبة من كمال الايمان بالله تعالى والاستغراق في تعظيمه وتقديسه أكبر معد للنفوس ومؤهل لها لسعادة الروح في الآخرة » .

ثالثا : ان الصيام يقوي الارادة الانسانية ، ويجعل من المسلم رجلا ماضي العزيمة حر الارادة لا تلعب به النزوات أو الشهوات ، وذلك لأن من ينتصر على رغبات الجسد ولذاته يسيطر عقله على هواه وارادته على شهوته ، ومن كان كذلك فقد أصبح مالكا لزمام نفسه ذا ارادة قوية لا يميل مع هوى النفس الامارة بالسوء ، ولا ينحرف عن جادة الطريق . وليست التقوى في جوهرها الا ارادة قوية تكبح الأنفس عن غيها وتسلك بها طريق الحق والهدى والرشاد .

ولأثر الصيام في شحذ الارادة وجهاد النفس ومقاومة نزعات الشر والمنكر ، كان واجبا شهرا من كل عام ، ليظل الانسان حرا قوي الارادة نقي السريرة ماضي العزيمة ، لا تسترقه شهوة ، ولا تفسد فؤاده قالة منكرة أو هاجسة أوحى بها شيطان من شياطين الانس والجن ، ولا يرضى بالدنية في دينه ودنياه ، فهو دائما عالي الهمة يكره سفاسف الأمور وينشد بدلا من حياة العقبان والنسور ، حياة القمم والكرامة والعزة والاباء ، لا يركع الا لفاطره ، ولا ينام على باطل أو ضيم أبدا . وذلك لأن تكرر الشهر يجدد آثار الصيام التي قد تنال منها مرور الأيام ، وما أشبه الصيام للنفس بالمصل للجسم ، فكما أن المصل يكسب الجسم قوة تقدره على أنواع خاصة من الجراثيم ، كذلك الصيام يكسب النفس قوة تقدرها على مقاومة الرغبات الهابطة والشهوات الحيوانية المسفة ، وكما أن المصل يجب تكرار التطعيم به كلما مرت فترة معينة حتى تتجدد قدرة الجسم ولا يفقد مقاومته ، كذلك صيام رمضان يجب تكرار مزاولته مرة في كل عام حتى تتجدد قدرة النفس ولا تفقد مقاومتها (انظر الصوم الأضحية للدكتور علي

عبد الواحد وافي صـ ٣٢) .

ان الاسلام دين العزة والقوة والكرامة ، ومن ثم كان الجهاد في هذا الدين ماضيا الى يوم القيامة ، وكانت تعاليم الاسلام وعلى رأسها الصيام تدريبا عمليا ونفسيا لاعداد المسلمين للحياة العزيزة الكريمة في دنيا يذهب فيها الزبد جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ، ان الصيام يمنح الصائمين ارادة صلبة تقهر الشهوات المسيطرة ، والنزوات المتحكمة ، ارادة لا تنال منها شدائد الحياة ، وتزيدها الصعاب مضاء وقوة ، وحين فقه المسلمون معنى الصيام كما ينبغي أن يكون كانوا أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين كانوا قوة تهاب ، وعزيمة تجتاح كل الصعاب .

ان القيام بفريضة الجهاد في الاسلام على وجهها المشروع يحتاج الى رجال ذوي عقيدة وارادة وشخصية ، والصيام يسهم بحظ كبير في اعداد الرجال للجهاد والقتال ، اذ هو مجال تقرير الارادة الانسانية والشخصية الانسانية بالاستعلاء على ضرورات الجسد جميعا ، كما أنه مجال لاختبار مدى الطاعة لله ، والاستسلام لفرائضه أيا كان فيها من الحرمان ، وهذان عنصران لازمان في اعداد النفوس لاحتمال مشقة الجهاد في سبيل الله (في ظلال القرآن ٢ / ٧٤) ومن المصادفات الغريبة أن تقع أشهر المعارك الحربية التي خاضها المسلمون في بسالة وحققوا فيها أروع الانتصارات ، ورفعوا فيها راية الاسلام ، في شهر رمضان .

رابعا : لما كان ظرف الصيام يمتد من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، فان الصائم يظل طول يومه في عبادة وطاعة لله ، ومن شأن هذا أن يرسخ في ضمير الصائم شعور المراقبة لخالقه في وقت الصيام وغيره ، وبذلك تحقق هذه الفريضة التقوى في النفوس والخشية في القلوب ، والاقبال على الله في السراء والضراء ، ومن هنا لم يكن الصيام المبرور مجرد امتناع عن الطعام والشراب وما اليهما ، ولكنه مع هذا امتناع عن كل عمل يفسد روح هذه العبادة أو يحول دون رسالتها كما ينبغي أن تكون ، وان كان من الناحية المادية عملا لا أثر له في صحة العبادة وجوازها .

لقد رويت الآثار في النهي عن الكذب والغيبة والرفث ، وبينت أن من لم يأخذ نفسه في رمضان بالكف عن الرذائل والمناقص فان الله غني عن ترك الطعام والشراب ، ان هذا الترك أهون الصيام وأدناه ، أما أعلاه وأشقه فهو الصيام عن كل منكر من الأقوال والأفعال ، وما ذلك الا وقاية لهذه الفريضة من أسباب الانحراف بها عن حكمتها الأولى ، وهي تقوى الله والاعتصام بحبله في كل حال .

تلك في اجمال ، الوجوه التي يكفل بها الصيام للصائمين التقوى بمفهومها الشامل الكامل ، التقوى التي تحول بين المرء وما يسخط ربه ، وتجعل منه عبدا عابدا لخالقه في كل ما يأتي ويذر ، وتسلكه في عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا

سلاما ، والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ، والذين يسألون ربهم أن يصرف عنهم عذاب جهنم ، ان عذابها كان غراما ، والذين لا يعرفون في حياتهم الافراط أو التفريط في كل شيء ، فهم اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ، انه القصد والتوسط والاعتدال ، والذين يؤمنون بخالقهم ايمانا صادقا لا يخالطه شرك من أي لون ، ولا يأتون منكرا أو كبيرة تورد فاعلها موارد التهلكة والخلود في العذاب المضاعف يوم القيامة .

ان التقوى هي غاية الصيام الأولى وحكمته الأساسية ، وما عداها من الحكم والفوائد التي يفيض في الحديث عنها بعض الباحثين فتبع لها أو منبثقة عنها ، بيد أن ما يذكره هؤلاء من حكم أو فوائد لا يرقى الى درجة الغاية من هذه الفريضة ، وربما أثار غبار الشك حولها ، ومن هذا ما يذهب اليه البعض ، أن من حكمة الصيام أنه منهج صحي يشفي الجسم من بعض الأمراض ، كما أنه وسيلة لأن يحس الأغنياء قسوة الجوع فيعطفوا على الفقراء ، وهذا الرأي لا سند له من الكتاب أو السنة الصحيحة ، وتخرج عبادة الصيام عن طبيعتها وتنقص من قدسيتها وجلالها ، وتهوى بها الى مستوى العادات ، وتجردها من أغراضها الروحية السامية ، وتلصق بها مقاصد مادية تافهة تتعلق بالجسم وحاجاته ، ثم ان هذه الأغراض عرضة للشك واختلاف الرأي حولها ، فقد يرى بعض الباحثين في الطب وعلوم الأغذية أن ليس للصوم في صورته الاسلامية الفوائد الصحية التي ينسبونها اليه ، وقد يرى البعض أنه لا يحقق ما يرتبونه عليه من عطف الأغنياء على الفقراء ، وأنه لو كان المقصود منه هذا لاقتصر على ذوي اليسار ، واذا سرى الشك الى الغاية والمقصد فانه لا يلبث أن يسري الى العبادة نفسها فتتزعزع عقائد الناس في العبادات ويضعف ايمانهم بها .

وقد يقال : ان الجوع يخلص الجسم من الفضلات والأخلاط الضارة ، فينشط ويصح ، وقد ورد في الأثر : « جوعوا تصحوا » ولهذا يفيد الصيام الجسم صحيا فوق ما فيه من فوائد نفسية وروحية .

ومع التسليم بأن الصيام في صورته الاسلامية يفيد الجسم صحيا فإن الذي يجب الاهتمام به في هذا الموضوع أن الاسلام يحرص أبلغ الحرص على حماية الجسم من كل عوامل الضعف ، ويدعو الى تقوية الأبدان والايمان ، ولذا نهى عن الاسراف في المأكل والمشرب ، وأمر بما يسمى في العصر الحديث بالطب الوقائي ، كما أمر بالنظافة والرياضة ... الخ ، وهذا الحرص البالغ ينسحب على حياة المسلم كلها في أطوارها المختلفة لا على شهر أو فترة معينة ، وان كان لها دورها في هذه الحماية والوقاية .

ان الصيام في جوهره تربية روحية سامية ، وليس عادة صحية أو منهجا غذائيا ، ومن هنا يكون الرأي الذي

يذهب الى الافاضة في الحديث عن فوائد الصيام الصحية ويجعل هذه الفوائد في مرتبة الحكمة من فرضية الصيام رأيا يبعث على الشك في الغاية من هذه الفريضة ، ويكون الرأي الذي يذهب الى أنه ليس من حكم الصيام وأغراضه فوائده الصحية رأيا له منطقه الذي يسوغه ، وهو رأي ينأى بهذه الفريضة الجليلة عن كل ما يسيء اليها ، ولا مراء في أن النظر الى الصيام بهذا المعنى يربأ به عن أن يكون لونا من العادات الصحية التي تفيد في بعض الأحيان دون بعضها الآخر .

ان الجوع نقمة ومحنة ، وليس لجوع الصوم القصير ذلك الأثر الذي تحدث عنه الفقهاء والصوفية ، وما جوع الصائم في حقيقته الا ضرب من الأخذ بالاعتدال وعدم السرف في الشهوات ، ولو عمم هذا الاعتدال في صنوف الشهوات جميعا لتحققت التقوى المرجوة بالصيام (من هدي القرآن في رمضان صـ ٤٩) فالقول بأنه فرض ليحس الأغنياء قسوة الجوع فيعطفوا على الفقراء قول لا يخلو من شبهة تفسده ، والأولى أن تظل هذه العبادة بعيدة عن كل ما قد يضعف الايمان بها وان جاز أن يكون أثرا من آثارها .

وبعد فان التقوى هي العروة الوثقى ، وهي الفارقة بين الكفر والاسلام ، وقد جعلها الله يسرا لكل عسر ، وبابا لكل خير : (**ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا**) الطلاق/٢و٣ .

والصيام - وهو عبادة كتبها الله على المؤمنين به في كل دين - يربي التقوى في النفوس والخشية في القلوب ويدفع الى الجهاد بالنفس والمال ، وهو - فضلا عن هذا - مظهر رائع من مظاهر وحدة المسلمين ، وقوتهم ، فهم في مشارق الأرض ومغاربها ، يعيشون شهرا كاملا وكأنهم في معسكر واحد ، يفرض عليهم ألوانا من السلوك لا مناص من الحفاظ عليها ان شاءوا لأنفسهم فترة تدريبية تعود عليهم بالخير في الدنيا والآخرة .

وما أحوج الأمة الاسلامية في هذا العصر الذي يواجه فيه الاسلام أخطر المؤامرات للقضاء عليه ، أو لجعله غريبا بين أهله ، أو جعل أهله غرباء عنه ، الى أن يكون صيامها سبيلا لتقوى الله ، حتى لا تخشى فيه لومة لائم ، وحتى تعتصم دائما بحبله ولا يكون بأسها بينها شديدا ، وحتى لا ترضى بالدنية في دينها ودنياها ، وحتى تبذل كل ما تملك فداء لعقيدتها وكرامتها ، لتظل كلمة الحق لها السيادة والقيادة في عالم يحكمه منطق القوة الباغية ، الذي يسمى الاغتصاب حقا والاحتلال والارهاب حماية ، والاستغلال ونهب ثروات الشعوب تعاونا ، وبذلك نحيا خير أمة ونعيش أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين : (**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون**) المنافقون/٨ .

من أدب القرآن :

دعائم القوة في سورة الأنفال

للأستاذ : عبدالغني احمد ناجي

لأمر جليل له أثره وخطره ، مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم – القوة والأقوياء بقوله : « المؤمن القوي خير ، وأحب الى الله من المؤمن الضعيف .. » رواه مسلم . والقوة ذات شعب أو دائرة منداحة ، تضم القوة المعنوية والقوة المادية ، وتشمل قوة الفرد والجماعة ، والاسلام الحنيف – دين القوة العادلة – ينشد في نهجه الحصيف ايجاد الأقوياء الأسوياء من البشر ، ليكونوا لبنات قوية صالحة في مجتمع قوي سوي ، وإن شئت فقل في مجتمع فاضل ، وبيئة مثالية ، فالمثالية المبتغاة لا يمكن تحقيقها إلا مدعومة بالقوة ، إذ الدعاة إليها أو المتمسكون بها ربما يتعرضون للأذى الذي يفتن عن الحق . فلو لم تكن معهم قوة مادية ولو لم تكن بداخلهم قوة معنوية ممثلة في قوة الروح والايمان واليقين – لاضطروا اضطرارا الى ترك النور تحت وطأة الأذى من جانب الظلام .

لقد اتخذ الاسلام أساليب عدة في تربية المسلمين على القوة العادلة ، أو في دعم قوة المسلمين حتى تسمق فوقها دعوتهم إلى الحق ويثمر نداؤهم الى الصراط المستقيم . والذي يقرأ القرآن الكريم بتبصر وتدبر يجد فيه هذه الأساليب التربوية التي ألمحنا اليها . يجدها في عرض باهر معجز ينبىء عن حسن النتيجة ، ونبل الهدف وهذه

الأساليب قد توجد مبثوثة حسب المناسبة والمقام وقد توجد مركوزة في سورة من سور القرآن الكريم ، إذا كانت السورة برمتها في مناسبة تستدعي تربية القوة لدى المسلمين والذي يعيش في أنوار سورة الأنفال ربما يجد ما يدعم هذا القول الذي نذهب اليه .

ولنعش في رحاب السورة الكريمة مستلهمين الله صواب الرأي وصحة الدليل .

تبدأ السورة بحكاية المؤمنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النصر على الكفار في يوم بدر ، فقد حار المسلمون يومئذ في كيفية قسم الغنائم وكادوا يختلفون ، وأوشك الخلاف أن يؤثر في وحدتهم الجامعة ، والوحدة قوة لا تدانيها قوة ، فنزلت الآية الأولى من سورة الأنفال تدرك المسلمين قبل أن يحدث الخلاف ما يحدث في وحدتهم ، وترشد المسلمين إلى أمثل الطرق لفض الخلاف وحسم النزاع ، والحفاظ على القوة والتآلف ، وكان ذلك في الارشاد الى حكم الله العزيز الحكيم عند كل خلاف أو نزاع ، ففي حكم الله تعالى والرضا به راحة للقلوب والضمائر ، وفيه قطع لدابر الخلاف والتدابر ، فتظل قوة الصف متينة ، ووحدة الهدف ثابتة راسخة .

يسألونك عن الأنفال قل الانفال لله والرسول ..) ـ الأنفال لله والرسول ـ جملة مفحمة مسكتة ، اخالها غطاء ثقيلا ، وسميكا غطى مرجلا يوشك ان يغلي أو إخالها ماء باردا سكب على نار فأطفأها وأخمد أوارها ثم توالى السكب حتى تبدلت بؤرة النار والرماد روضة فيها الزرع والنبات .

ولما كانت وحدة المسلمين هي أقوى الدعائم التي تعتمد عليها دعوتهم ، وترف بها سعادتهم في معايشهم فقد الحت الآية في سد ثغرة الخلاف بينهم ، حتى لا يتصدع صفهم او تخدش وحدتهم ، فتأتي أفعال الأمر متوالية متواكبة تلح على المسلمين أن يرعوا هذه الوحدة بالدعم والتقوية ، وأن يدعوا كل ما من شأنه الخلاف والنزاع ، ولنستمع الى بقية الآية المتضمنة هذه الأفعال :

(**.. فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ..**) فهذه الأفعال في تواليها وتواكبها ـ توحي بالحرص الشديد على وحدة المسلمين وقوتهم حتى لكأن المراد بالتقوى هنا الخوف من عقاب الله تعالى على التمادي في الخلاف والنزاع ، وكأن الغرض من طاعة الله ورسوله ـ في هذا المقام ـ طاعتهما في الحفاظ على الاتحاد والتواد ، ثم يأتي اسلوب الحفز التربوي الحامل على فعل الخير الذي يراه الناصح للمنصوح ممثلا في قوله تعالى للمؤمنين يومئذ .. : (**.. إن كنتم مؤمنين**) اي ان كنتم كاملي الايمان فدعوا الخلاف والنزاع ، واحسموا الأمر بالرجوع إلى حكم الله ورسوله ، وفي تعليق كمال الايمان على تآلف القلوب ، ووحدة الصفوف إيحاء وأي إيحاء بشدة اهتمام الاسلام بتلك الوحدة لأثرها الخطير في دعم قوة المسلمين ، وإني لاخال الآية حارسا يقظا امينا على بلد ساحلي يطل على بحر مائج ، وبين البلد والبحر سد منيع ، ولكن ثقبا في السد حدث ، وليس معه من خطر لصغره ، ولكن الحارس لأمانته وغيرته على بلده لم يسكت

حتى يتسع الثقب او يتصدع السد ، فهاله الثقب الصغير ، لأنه بالسكوت وعدم العلاج والاصلاح سيصبح كبيرا وخطيرا ، فهب الحارس الأمين ، واتخذ لسد الثقب كل وسيلة ممكنة ، وعالجه بصنوف عدة من العلاجات ودعا الى الحذر والحرص من حدوث غيره ، حتى يظل البلد آمنا مطمئنا ذلك مثل الآية الكريمة مع المؤمنين يوم بدر ، وعند الحيرة في تقسيم الغنائم ، والغنائم مال ، والمال حبيب الى النفوس ، وربما يودي التشبث به إلى معاداة من يقف دون الحصول عليه ، فكانت الأوامر الشديدة المتلاحقة : (**اتقوا الله ــ اصلحوا ذات بينكم ــ اطيعوا الله ورسوله** » ثم كان الحفز بتعليق كمال الايمان على اطاعة تلك الاوامر .. « **.. ان كنتم مؤمنين** » .

وبعد التحذير والتنبيه الى التمسك بالوحدة ونبذ الخلاف لما في ذلك من قوة الفرد والمجموع ــ تأتي الآيات متضمنة اهم وسائل التقوية المعنوية للمسلمين ، في أسلوب يتضمن الحفز التربوي ايضا ، وذلك بعرض ابرز سمات المؤمنين الصادقين الذين وصلوا عند الله الى أعلى الدرجات فهم الذين لا تخاف قلوبهم الا من الله ، وكلما تليت عليهم آيات الله تعالى زادتهم ايمانا ويقينا ، وهم الذين لا يعتمدون في كل أمورهم الحيوية إلا على ربهم ، ثم هم الذين يحافظون على صلتهم بخالقهم باقامة الصلاة والمحافظة عليها ، حتى يظل اتصالهم بخالقهم مستمرا وقلوبهم بالله موصولة ، فهذه السمات : عدم الخوف الا من الله ، وقوة الايمان عندما تتلى آيات الله ، والتوكل في كل الأمور على الله تعالى ، والمحافظة على الصلاة ــ هذه السمات من شأنها ان تقوى الروح والقلب ، وتجعل الانسان ــ وإن كان ضعيف البدن ــ أقوى من الطود ، وأصلب من الحديد ، ثم تختم الآية الثالثة بثمرة من ثمار القوة المعنوية التي حدثت ونمت وترعرعت لدى المسلمين باتخاذ أسبابها ، هذه الثمرة هي الانفاق ، والانفاق دون كزازة او شح ثمرة طبيعية لقوة الروح والقلب ، وقد جاء ذكر الانفاق مطلقا إيحاء بان هذا المسلم بعد تقوية قلبه وروحه اصبح لا يخشى فقرا او فاقة لصلته الدائمة بالله الرزاق ، وأصبح منبع خير ، فهو ينفق في كل جهات الخير ، على النفس ، وعلى الغير : (**.. ومما رزقناهم ينفقون**) ولكون القوة المعنوية أساسا وركيزة للقوة المادية بدليل الواقع الملموس ، فقوى الروح قوى حقا وإن كان ضعيف الجسم ، وقوي الجسم ليس بقوي حتى تعتمد قوة جسمه على قوة روحه ، فقد يجبن الضخم العملاق ، الخواء روحه ، وقد يثبت القزم الضئيل ، لقوة قلبه وروحه ، نقول : لكون القوة المعنوية بهذه المثابة كانت دعوة الاسلام اليها ملحة وشديدة حتى ترتكز عليها القوة المادية التي ستأتي الدعوة اليها في هذه السورة بعد قليل من الآيات ، وقد جاءت الدعوة الى القوة المعنوية في أسلوب تربوي ايضا تمثل في مدح المؤمنين الصادقين الذين ينصاعون لتلك الدعوة ، فيقوون قلوبهم وأرواحهم باتخاذ الأسباب التي أرشدت اليها الآيات السابقة ، وقد تركز المدح في آية قصيرة لا تتعدى الجملة الواحدة ولكنها تحمل المدح بأجل ما يتمناه المسلم وهو الايمان

الكامل :

(.. **اولئك هم المؤمنون حقا**) ثم يجيء في بقية الآية الجزاء والمكافأة للحفز والتشجيع : (**لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم**) وذلك كمعلم امين يقول عن صفوة تلاميذه الذين استجابوا لنصحه وإرشاده : هؤلاء أفضل تلاميذي وهم الممتازون حقا ، ولهم عندي أعلى الدرجات ، سأمنحهم أفضل المكافآت ففي مثل هذا الأسلوب مدح للكامل الممتاز ، ودعوة لغيره الى سلوك مسلكه . وانتهاج نهجه حتى يحظى بامتيازه ..

ثم يجيء دور الدعوة الى القوة المادية بعد تأصيل القوة المعنوية فيما سبق ، وتبتديء تلك الدعوة في السورة بمعاتبة المسلمين الذين ودوا المال والتجارة دون الحرب التي ستكسبهم القوة والنصر : (.. **وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ..**) وفي الكناية عن التجارة والمال بغير ذات الشوكة ايحاء بأن الأولى سلوك ما يكسب الشوكة والمنعة ، وإنذار بأن عملهم سيفقدهم الشوكة والمنعة ، وفي ذلك خطر عليهم وأي خطر .

ثم يأتي مراد الله تعالى من القوة العادلة التي يريدها للمسلمين : (**ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين**) وما دام المؤمنون قد استجابوا لله ورسوله فقاموا بكل ما من شأنه تقوية الروح ، والقلب كما ارشدت الآية الأولى من هذه السورة فالله تعالى سيكافئهم بأسباب القوة المادية ممثلة في كل شيء تراه العين ويقبله العقل ، حتى التأييد بالملائكة ، مردفين في الحروب والغزوات : (**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين . وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم . اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام . إذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا ..**) ولا يحسبن أحد في ظلال هذا التأييد الالهي للمؤمنين ان الله منزل نصره وتأييده دون جهاد من هؤلاء المؤمنين فبعد سلوك المؤمنين مسالك التقوية المعنوية كما أسلفنا يأتي التأييد ، ومع التأييد لا بد من كفاح وعمل وجهاد ، حتى يتنزل النصر ويتم الفوز ، ولا بد ان يستعمل المسلمون ما حباهم الله تعالى من قوة في دعم الحق ، وإزهاق الباطل حتى تظل كلمة الله هي العليا لا بد أن يضربوا على يد هذا الباطل ممثلا في الكفار والملحدين حتى يتفيأ العالم ظلال حق وريف ، وسعادة حقة ، لا بد من ذلك ومن ثم جاء بعد آيات التأييد بالملائكة امر الله للمؤمنين بقوله في ختام الآية : (**فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان**) وليس في هذا الضرب ظلم او تعسف او طغيان فحاشا لله ان يأمر بذلك وحاشا للمؤمنين الصادقين ان يحدث منهم ما يصمهم بالبغي والعدوان ، ولكن الضرب للحق ، ولاعلاء كلمة الله التي فيها خير البشرية جمعاء في الدنيا والآخرة ومن لم يدرك ذلك وتسول له نفسه أن يقف حائلا دون إعلاء كلمة الله فكأنه يقف حائلا دون سعادة البشر ، ومن حق

عباد الله الواعين المدركين ان يستلهموا من الله العزة والقوة والتأييد ليجابهوا هؤلاء المعاندين ويأخذوا على أيديهم حتى يتفسح الطريق أمام النور . نور الله الحق ، ليعم الأكوان المتطلعة اليه ، ومن ثم جاء عقب الأمر بالضرب على يد الباطل بيان العلة والسبب ، حتى تطمئن نفس الضارب وتظل روحه قوية ، وقوته شديدة : (**.. ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب**) .

وإلى هنا نجد الناس وكأنهم انقسموا الى فريقين : فريق قوي الروح صلب المادة يسير في أنوار الحق مدافعا عن الحق ، وفريق ضعيف الروح ، خائر المادة يرتكس في عطن الباطل ومباءاته فتأتي الآيات التالية تحمل نهيا شديدا لأتباع الحق عن الفرار يوم الزحف ، امام غثاء الباطل ، وحزب الشيطان ، فما دام الله قد تكفل بنصر أتباع الحق ، وتكفل بتأييدهم في مواطن الكفاح والدفاع عن الحق ، فلا مجال إذن للنكوص والفرار : (**يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ..**) ثم يأتي الوعيد الشديد لكل مؤمن تسول له نفسه الفرار يوم الزحف لغير سبب سوى الجبن والهلع فالموقف خطير يتحدد فيه مصير الحق والباطل ، وساعة ثبات وصبر تقلب الوضع والموازين ، ومن ثم كان الوعيد عنيفا ومخيفا : (**.. ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير**) .

ويحدث النصر المبين للمسلمين يوم بدر ، ويتنفس المسلمون الصعداء ، ويستروحون نسمات الفوز والظفر ، ولكن وصايا السماء لا تتركهم ، فلا بد من الربط على القلب ولا بد من موالاة النصح حتى تظل أسباب القوة قائمة متينة ، ومن ثم نجد الآيات بعد ذلك تعاود التحذير والتخويف مما يؤثر في وحدة المسلمين : (**.. واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة**) وتحذر من التكالب المسرف على المال ، والولد تكالبا يصرف عن الجهاد والدفاع عن الحق : (**واعلموا أنما اموالكم وأولادكم فتنة ، وأن الله عنده أجر عظيم**) وتضيف الى ذلك ــ وبعد النصر ــ التحذير من الغرور بالنصر ، إذ الله وحده هو مانح النصر : (**.. فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ..**) ثم يأتي الترغيب المعجز في الدعوة الى الأخذ بأسباب القوة تجاه أعداء الله تعالى ، وأعداء المؤمنين : (**يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ..**) فما أحق الدعوة وما أحسن ما يدعى اليه المؤمنون ، وما أبلغ الأسلوب ! .. (**.. دعاكم لما يحييكم**) فاذا فسر المدعو اليه بالعلم فالعلم ــ لا شك ــ حياة ، وإذا فسر بالجهاد تجاه العدو فذلك حياة للمؤمنين وأي حياة وجاء التعليم رائعا وبديعا لان كل ما يدعو اليه الرسول قومه لهم فيه حياة وقوة لكيانهم ، ثم يتكرر الأمر بالثبات في مواجهة العدو ، لأن ذلك أقوى دعائم النصر : (**يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون**) وفي ذكر الله تعالى في مواطن الخطر مع الثبات والصبر قوة لا تعدلها

قوة ، ومن ثم انتصر المسلمون في قلتهم العددية على الكفار في كثرتهم العددية ، لاستجابة المسلمين الى الأخذ بأسباب القوة والنصر التي دعا إليها الاسلام الحنيف ، ولا يوهن القوة ويضعفها سوى الشقاق والخلاف ، ثم الغرور والبطر ، ومن ثم تأتي الآيات التالية محذرة من هذه الأدواء التي تبدد القوة كالرياح : **(وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين . ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله ..)** وترشد تلك الآية الى أن القوة الممنوحة من الله تعالى ينبغي أن تستعمل في الخير خاصا كان أو عاما لا في الرياء والفخر ، ولا في الصد عن فعل الخير ، فما أنبل الهدف !! والذي يتنكب ذلك فالله من ورائه محيط ، وفي هذا تهديد وأي تهديد .

وإذا توفرت للمسلمين القوتان : المعنوية والمادية ـ فلا يليق بهم التخاذل أمام عدو ، او التباطؤ عن الجهاد أمام خائن يمكر بهم ، فهنا مجال استخدام المسلمين لقوتهم التي منحهم الله اياها : **(.. وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين)** .

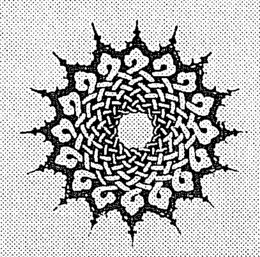
والمسلمون بعد توفر القوة ، وتحقق النصر ينبغي ألا يغفلوا عن كيد العدو ومكره ، ويجب عليهم ان يكونوا دائما على استعداد لمواجهة الخطر ، ومواصلة الكفاح ، بهذا يرهبون العدو ، ويعيشون في هدوء وينشرون الخير الذي كلفوا نشره في امان وسلام : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ..)** وجاء لفظ القوة منكرا ومطلقا لتشمل القوة جميع الانواع : المعنوية والمادية في كل جيل وعصر من الخيول الى الصواريخ .

ولما كان الاسلام دين سلام حقا ، والقتال فيه مشروع لحفظ السلام ، والدفاع عن الحق ـ فقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن معه من المؤمنين ـ بعد بلوغ قوتهم ما يكفل الدفاع والردع ـ ـ أمروا ان يجنحوا الى السلم إن جنح العدو لها وكان صادقا في ميله وسلمه ، وذلك حتى يدعم المسلمون دعوة الاسلام إلى السلام : **(وإن جنحواللسلم فاجنح لها ..)** والذي يقرأ هذه الآية الكريمة ، ويقرأ في أول السورة قوله تعالى معاتبا المؤمنين في أول عهدهم بقتال الكفار ، حينما مال بعضهم إلى العير لا النفير : **(وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم)**ـ نقول : إن الذي يقرؤها يجد فرقا في الدعوة والأرشاد ، والذي يعرف أن المسلمين حين نزول آية العتاب كانوا قلة ضعافا ، وفي حاجة الى قوة تكسر شوكة الكفار ، وأن المسلمين حين نزول الآية الثانية الداعية الى الجنوح للسلم إن جنح العدو لها ـ كانوا من القوة بحيث يرهبون العدو ، ويردعون عدوانه ، فلا حاجة الى الغلظة ما دام العدو قد خضع صلفه ، وانهار بنيانه ، وتحطمت شوكته ، وكأنها قاعدة حربية عادلة يقرها الاسلام اذ يبيح للمسلمين الجنوح للسلم إن قوى جانبهم ، وأمنوا عدوهم ، ويلزمهم باستعمال أقصى القوة في الحرب ، واستعمال شتى الأساليب لكسر شوكة العدو ـ إن كانوا في دور

التقوى والنهوض ، هذا عمل تقره الانسانية العاقلة ، والطباع السليمة ، أقول : ان الذي يعرف ذلك يدرك السبب ، ويفقه العلة في اختلاف مرمى الآيتين الكريمتين . ثم تأتي النصائح المذهبة للخوف من قلوب المسلمين حين انصاعوا لدعوة الاسلام الحنيف الى الجنوح للسلم ممثلة في الأمر بالتوكل على الله وحده ، بعد الحرص وأخذ الأهبة ، والاستعداد التام في قوة رادعة ، ومن ثم كان الأمر بالجنوح للسلم بعد الأمر بالاستعداد في قوله تعالى : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)** فلا جنوح للسلم مع ضعف أو قلة ولا جنوح للسلم مع تهاون او غفلة فالجنوح للسلم في الاسلام يكون مع قوة المسلمين الرادعة ، ومع يقظتهم التامة . وربما يأنف المسلمون ـ وهم في قمة قوتهم ـ من الجنوح للسلم حذرا من خداع العدو ، فيحرمون بهذا الامتناع انفسهم من الهدوء ، وغيرهم من الهدى ، فتأتي الطمأنة من الله مانح النصر ، وحافظ المؤمنين في قوله تعالى : **(.. وإن يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين . وألف بين قلوبهم ..)** .

ثم يأتي دور الأسرى وموقف الاسلام منهم يوم بدر بالذات ، فنجد القرآن يعتب على المسلمين عدم اثخانهم في الأرض يومئذ ، ويعتب عليهم رغبتهم في عرض الدنيا : **(ما كان لنبي ان يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة)** ونلمس العتاب موافقا للعتاب الأسبق في قوله تعالى : **(وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم)** ومن خلال العتابين نحس ان الاسلام كالوالد الرحيم ، يريد لأتباعه كما يريد الوالد لأولاده القوة والمنعة ، ولا تناقض بين هذا وبين الآية الداعية إلى الجنوح للسلم ، فآية الجنوح للسلم تحمل نصيحة عامة غير مقيدة بزمن معين ، او غزوة بعينها غاية ما تشترطه أن يكون المسلمون أقوياء وعلى استعداد تام لملاقاة العدو وردعه ، أما آيتا العتاب فهما خاصتان بغزوة بدر يوم أن كان المسلمون قلة ضعافا ، وكان عدوهم كثيرا قويا ، فالعقل يقضي حينئذ باستعمالهم كل الأساليب لكسر شوكة العدو ، وإضعافه حتى يجنح للسلم ، ويميل الى المهادنة ، وربما يكون ذلك بابا إلى الهدى ، والاعتراف بالحق الواضح .

وإذا كانت سورة الأنفال ، قد بدئت ببيان وسائل القوة المعنوية ، كركيزة لسائر القوى ، ثم مدحت الذين يأخذون بهذه الأسباب بأنهم المؤمنون حقا ـ فانها قد ختمت بمدح الذين يستعملون القوة العادلة في الدفاع عن الحق ، وفي نشر الخير حتى يرف على الانسانية العانية ـ بأنهم أيضا المؤمنون حقا : **(والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا)** وإذا كان للمؤسس نوع من الفضل على المنفذ ـ فان واضعي اسس القوة : **(لهم مغفرة ورزق كريم)** وبعد فلعلنا بعد استعراض هذه السورة الكريمة نكون قد لمسنا ركائز القوة التي توفرت للمسلمين بمنح الله وتأييده ، فأستعملوها في الحق ، فحقق الله لهم النصر المبين .



شهر الصفاء والإخاء

للأستاذ
محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

لقد مرت الأيام ، ودار العام دورته ، وطلع علينا شهر رمضان كعادته ، مهيبا جليلا ، تسعى بين يديه مواكب الحفاوة والترحيب ، في جلجلة من التهليل والتكبير ، تهفو إليه قلوب المسلمين ، وتنتظره في كل عام في لهفة الظمآن إلى الماء ، والحيران الضال إلى الطريق الموصل للهدف المنشود ، والأمل المعقود .

وشهر رمضان بما امتاز به من خصائص دينية وتاريخية ، كانت السبب في نشر الخير في العالم كله ، وتبديد ظلمات الجهل ، وعلاج الأرواح والنفوس والأجسام ، بهذه الميزات والخصائص يجمع المسلمين في مختلف بلاد العالم تحت راية المودة والصفاء والاخاء ، والحب والتضامن بأكمل صوره .

وشهر رمضان هو شهر القيام وتلاوة القرآن ، شهر العتق والغفران ، شهر الصدقات والاحسان ، شهر تفتح فيه

أبواب الجنات وتضاعف فيه الحسنات وتقال فيه العثرات ، شهر تجاب فيه الدعوات ، وترفع الدرجات ، وتغفر فيه السيئات ، شهر النصر والفوز على الأعداء ، شهر يجود فيه المولى تبارك وتعالى على عباده بأنواع المكرمات ، ويجزل فيه لأوليائه الأعطيات ، شهر جعل الله عز وجل صيامه أحد أركان الاسلام فصامه المصطفى صلوات الله عليه وسلامه وأمر بصيامه ، وأخبر أن من صامه إيمانا واحتسابا غفر الله عز وجل له ما تقدم من ذنبه ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم .

شهر فيه حكم عظيمة ، منها : تطهير النفس وتهذيبها وتزكيتها من الأخلاق السيئة ، كالبخل والبطر ، وتعويدها الأخلاق الكريمة ، كالصبر والحلم والجود والكرم ، ومجاهدة النفس فيما يرضى الله عز وجل ويقرب إليه ، ويعرف العبد نفسه وحاجته وضعفه وفقره لخالقه ، ويذكر نعمه عليه ويذكر – أيضا – حاجة إخوانه الفقراء ، فيوجب له ذلك شكر الله جل شأنه . ومن أجل نعم المولى تبارك وتعالى علينا أن يفرض علينا عبادة فيها لنا كل السعادة وكل الخير ، ويتجلى فيها شفاء القلوب والأبدان ، ونور الحق وصدق العقيدة .

وهذه المعاني نجدها واضحة في قوله عز وجل : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون**) البقرة / ١٨٥ .

ولقد قال أحد العلماء في حكمة فرضية الصيام في شهر رمضان : « إن رمضان شهر نزلت فيه هداية السماء إلى الأرض ، فناسب أن يكون زمن عبادة ترتفع بها النفوس من شهوات الأرض إلى روحانية السماء ، وتتخلص من جوانب المادية ودوافع الغرائز إلى صفاء ونقاء يضفي على النفوس البشرية نوعا من الشفافية والرقة » .

فضائل رمضان كثيرة ومتعددة

وشهر رمضان تنبثق منه عدة فضائل كثيرة ومتعددة ، فهو مدرسة يدخلها الصائمون شهرا كل عام ، يتدربون فيها على مكارم الأخلاق ، وممارسة الصفات الحميدة التي بها تصلح الحياة ، ويستقيم عليها أمر الناس .

ويمتاز هذا الشهر المبارك بالأحداث التي نشرت النور والخير والسعادة في العالم ، فهو شهر القرآن الكريم كتاب المولى تبارك وتعالى ، وسمي **رمضان** لأنه يرمض الذنوب ، بمعنى انه يحرق ذنوب الصائمين ويمحوها ، وقد قال المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، : « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الرحمة ، وغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين » رواه البخاري ومسلم .

وتصفيد الشياطين في رمضان رحمة

من الله عز وجل بعباده الصائمين ، حتى يكـــون صيامهم خاليا من وسوسة الشيطان ونزعاته ، والذي يشعر بهذه الناحية هو من يكـــون صافي القلب ، طاهر النفس ، قوي الايمان ، فلا يستطيع الشيطان أن يغويه ، أما من يجعل من رمضان شهرا للطعام والشراب ، والعناية بالجسد وإهمال الروح فهو بعيد عن هذا الصفاء وهذا الاشراق ، وكذلك من يجعل منه موسما للتظاهر والتفاخر والرياء بالأعمال ، وقد قال المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فيما يرويه عن ربه عز وجل : « كل عمل ابن آدم له يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله تعالى : **إلا الصوم فانه لي وأنا أجزي به**» .رواه مسلم .

وذلك لأن الصوم سر بين العبد وخالقه ، فلا يطلـــع عليه إلا علام الغيوب ، بخلاف بقية العبادات فانها قد يدخلها الرياء والتظاهر ، ولأن الصوم يمنع الانسان من الشهوات والملذات بخلاف سائر العبادات ، ومن هنا كانت له وحدة دون سواه هذه المنزلة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتاكم رمضان ، شهر مبارك ، فرض الله عز وجل عليكـــم صيامه ، تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه ابواب الجحيم ، وتغل فيه مردة الشياطين ، لله فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم » رواه النسائي والبيهقي وقال لامرأة من الأنصار ، « إذا كان رمضان فاعتمري . فان عمرة فيه تعدل حجة » رواه الدارمي ومعنى هذا أن ثواب العمرة جزيل لوقوعها في رمضان .

وأن من أعظم الفضائل أن يجعل الانسان هواه تبعا لعقله ، ويجعل شهواته مستسلمة لضميره الذي يخضع للقوانين الالهية ، وقد حاول بعض الناس أن يغري رجلا قوي الايمان بارتكاب معصية بحجة أنه لا يراه إلا الكواكب ، فرد عليه الرجل المـــؤمن بقوله : « أنت نظرت إلى الكواكب ، ولكن أين مكوكبها ؟ » .

جهاد النفس بالصوم

وجهاد النفس بالصوم من أرقى أنواع الجهاد ، إذ هو ردها عن غيها وغاياتها وتخليصها مما علق بها من شوائب الدنيا وآثامها ابتغاء مرضاة الله عز وجل .

ففي الصوم تعود على الصمود والصبر ، وتقوية للارادة ، وتدعيم للعزيمة ، لأن الصائم يجاهد نفسه ، ويحارب نزواته ، ويلجم أطماعه ، ويخوض معركة شرسة ضارية أمام نزعاته وأهوائه ، فبين يديه الطعام ، وتحت أمره الشراب ، وإلى جانبه زوجته ، تزين له نفسه أن يسد جوعته ، وأن يروي ظمأه وأن يقضي شهوته ، بيد أنه يغالب أهواء نفسه ، ويلتزم أمر ربه عز وجل ، ويتغلب على شيطانه ، وكلما استهواه عاود معه الصراع من جديد بدافع من دينه ومن ضميره ، فتتربى فيه الارادة القوية ، والعزيمة الصامدة ، ولا يتسرب اليأس إلى نفسه ، ولا يدب الضعف في

إرادته ، وإنما يحمل راية الكفاح ويتوجه طموحه ويواصل الجهاد يسانده صموده ، وبذلك يسهل عليه الانتصار على عدوه بعد أن انتصر على عدوه الذي يوسوس في نفسه ، لأن الانتصار على العدو أسهل من الانتصار على النفس .

وجهاد النفس والدنيا ، ومغالبة الهوى والشيطان من أعظم الجهاد ، ومغالبة الانسان للشرور المنبعثة من داخل نفسه تحتاج إلى رعاية المولى تبارك وتعالى وعنايته ، وتحتاج إلى إنارة الفكر والعقل والبصيرة وصفاء الروح ، ليعرف الانسان من أين تأتي مكائد الأعداء ، وما هي الأسلحة التي يتغلب بها عليهم وطوبي لمن وفقه الله عز وجل إلى ذلك .

ولا وسيلة إلى التغلب على عوامل الشر والفساد إلا بترويض النفس وتهذيبها وضبطها في طعامها وشرابها ، ويوضح ذلك قول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : « يا معشر الشباب : من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فانه له وجاء » رواه البخاري ومسلم فمن هذا الحديث الشريف ندرك ان الصوم سلاح قوي في أيدي الشباب للتحكم في أهوائهم وشهواتهم ، وقال لقمان الحكيم : « يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكـــرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة » .

وقال الامام الغزالي : « الصوم زكاة النفس ، ورياضة الجسم ، وداع للبر ، فهو للانسان وقاية ، وللجماعة صيانة ، وفي جوع الانسان صفاء القلب ، وإبقاء القريحة ، واتقاد البصيرة ، لأن الشبع يورث البلادة ، ويعمي القلب ، ويكثر البخار في الدماغ فيتبدد الذهن ، والصبى إذا ما كثر أكله ، بطل حفظه وفسد ذهنه » .

ويقول : « أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع ، وطهروها بالجوع تصف وترق » وهذه الكلمات الحكيمة تبين مدى تأثير الصوم في تهذيب النفس ، وتصفية القلب ، بالاضافة إلى الثواب العظيم في الدار الآخرة .

الصوم يعلم الصبر

ويعتبر الصيام من الوسائل التي تغرس في النفوس الأخلاق الحميدة فالصبر تعود ، ومن تعوده قادرا استطاعه دائما ، والصيام هو الوسيلة الوحيدة التي تخلق في نفس الانسان الصبر ، كما يكبح الصوم جماح النفس ، ويحد من شهوة الصائم ، ويكسر من حدة غضبه ، فاذا صام المـــرء وجب عليه ألا يغضب ، بل يعفو عمن يسيء إليه ويصفح عنه ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : الصيام جنة ــ اي : وقاية ــ فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فان سابه أحد أو قاتله فليقل : إني صائم ، إني صائم » رواه البخاري .

ويغرس الصوم في نفس الصائم فضائل كثيرة يحتاجها الفرد في حياته ، وتدعو إليها كل وسائل التربية ،

كغض البصر عن كل حرام او مكروه ، وحفظ اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب ، وكف السمع عن الاصغاء إلى أي مكروه ، وقد بين لنا ذلك كله الرسول صلوات الله وسلامه عليه في قوله : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » رواه البخاري ، وقد سئل عليه الصلاة والسلام عن امرأة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها بلسانها فقال :
« هي في النار » رواه احمد والحاكم وابن حبان .
وقد نوه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بمنزلة الصائمين بقوله : « أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي : أما واحدة : فانه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله إليهم ، ومن نظر الله اليه لم يعذبه أبدا . وأما الثانية فان خلوف أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك وأما الثالثة : فان الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة وأما الرابعة : فان الله يأمر جنته ، فيقول لها : استعدي وتزيني لعبادي ، أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى داري وكرامتي ، وأما الخامسة ، فانه إذا كان اخر ليلة غفر الله لهم جميعا فقال رجل من القوم : أهي ليلة القدر ؟ فقال : لا ألم تر إلى العمال يعملون فاذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم » رواه البيهقي .

شهر الكرم والجود

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استقبل رمضان استقبله بفيض من الكرم والجود ، فهو في هذا الشهر الكريم أجود بالخير من الريح المرسلة .
روى البخاري عن ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة » .
وكان صلوات الله وسلامه عليه يدرب أصحابه على أن يكونوا كرماء مثله في شهر رمضان ، فكان يحثهم على إطعام الطعام ، ويذكرهم بأن هذه نعمة ينبغي للمؤمن ان يتجه إلى المولى تبارك وتعالى بالدعاء ليوفقه فيها ويجعله من أهلها ، يقول أنس – رضي الله تعالى عنه : جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه ، فجاء بخبز وزيت فأكل ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة » رواه ابو داود .
وجاءت أحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه تعد الكرماء الذين يقدمون الطعام للصائمين بأن الله عز وجل سيعطيهم مثل أجور من أطعموهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، وعلاوة على ذلك فان الملائكة تصلي على من أكل عنده حتى

يفرغ الآكلون ، ويصافحه جبريل ليلة القدر .

الصوم راحة للجسم

وفي الصوم دروس في التربية الصحية لا يستطيع غيره تأديتها ، فان أجهزة الجسم كلها وبخاصة الجهاز الهضمي ، تعمل في الجسم طيلة العام ليل نهار ، لا تهدأ ولا تسكن عن الحركة ساعة واحدة ، وهذا العمل الدائب المتواصل مجهد لها بطبيعة الحال ، تحتاج معه إلى فترة من الراحة تتمكن بها من متابعة الطريق الطويل الممتد على مدى عمر الانسان ، وإلى سبيل يؤمنها ويؤمن لها الراحة التي تنشدها ، فليس هناك غير الصوم حيث ترتاح المعدة والأمعاء طوال النهار على امتداد شهر كامل راحة تامة ، يستحيل أن تتوفر لها بغير الصوم وقد عرف الطب الحديث الصوم علاجا ووقاية للكثير من الأمراض المستعصية ، بل لقد قرر الأطباء ان الصوم هو الدواء الوحيد لبعض الأمراض كأمراض القرح المعدية وغيرها ، فأوصوا به وأرشدوا إليه .

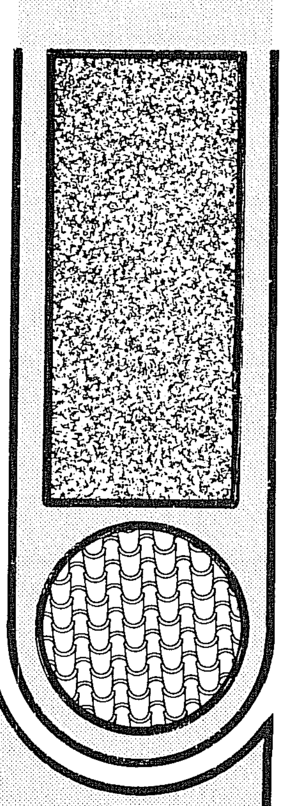
إن الصوم مروض للنفس وصالح للبدن ، يعلم الارادة القوية والعزيمة الصادقة ، وعن طريقه يستطيع الانسان ان يتحكم في النفس الأمارة بالسوء والتي تسرف في شهواتها وملذاتها ، حتى تتجاوز الحد المعقول وتخرج عن النطاق المقبول ، وما الشهوات والملذات إلا أغلفة وأغطية تضرب على القلب نطاقا كثيفا من الظلام والغلظة ، يحجبه عن نور المولى تبارك وتعالى الذي أشرقت له الظلمات ، فاذا جاهد الانسان نفسه وتحكم في شهواته فقد مزق الحجب التي تغلف قلبه ، وخرج من الأغطية واللفائف التي تكاد تخنقه إلى ملكوت الله عز وجل الفسيح ، تماما مثلما يخرج الوليد من بطن أمه إلى نور هذا الكون وفسحته لأول مرة ، وتلك منزلة لها مالها من الصفاء النفسي والنقاء الروحي .

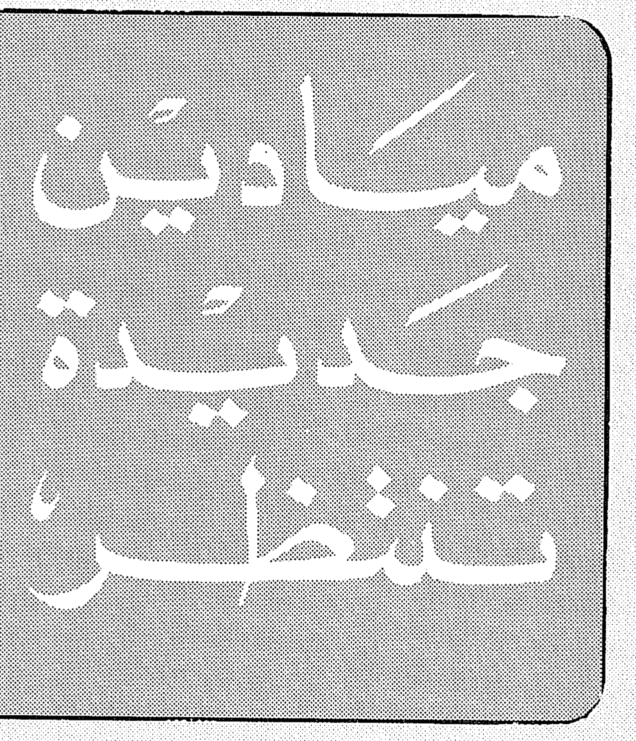
وبعد :

إن شهر رمضان شهر التزكية ، فليكن زيادة للمؤمنين في إيمانهم ، وللمستقيمين في استقامتهم وتنبيها للغافلين عن غفلتهم ، وعودة للشاردين في الغي والضلال والعصيان إلى رحاب الله عز وجل وحاديا للمقصرين في جنب الله جل شأنه ليلحقوا بالركب من جديد وينضموا إلى موكب الايمان .

فلنستقبل شهر رمضان بالتسامح والعفو والتوبة الصادقة النابعة من القلب ، ونعمل على تحقيق الأخوة الصادقة .

فلنستقبل شهر رمضان ونحن قد عقدنا العزم على أن يسود الصفاء والاخاء والرحمة بين قلوبنا بقلب منيب ونفس متواضعة ، راجين من الله العلي القدير ان يلهمنا الصبر والاخلاص في فريضة الصوم وكل الفرائض ، وأن يتقبل منا أعمالنا ويحقق لنا رجاءنا وأن يهيىء قلوبنا للخير وحب الخير ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

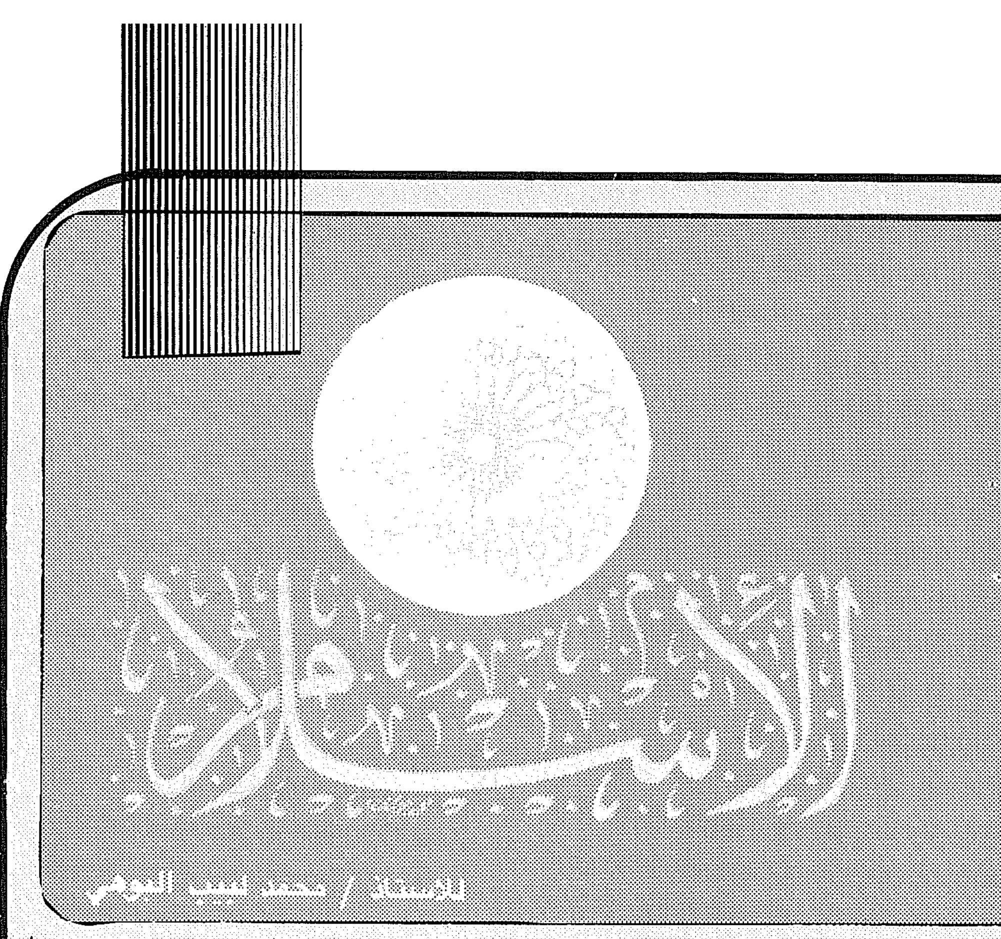




ميادين جديدة تنتظر

هذه قصة فتى أمريكي من جامعة لوس انجلوس يسمى جاكسون، عاصرها وشاهدها وشارك فيها دكتور فاضل كان محاضرا في الجامعة هناك، لقد رأى عن كثب كيف ان فطرة الاستجابة للاسلام مركـــوزة في نفوس الذين لم يصل الاسلام اليهم بعد، إنها فحسب في حاجة الى من يزيل عنها الغطاء، ويجد لها شعاعا تهتدي به في الخروج من ظلماتها، ذلك لان الدين عند الله هو « الاسلام »، وقد فطر نفوس الخلائق عليه، وبعث محمد صلى الله عليه وسلم للناس كافة، وهذه الفطرة المركـــوزة في النفوس مرهونة بأوقاتها، وبأسلوب علاج الرين الذي ران عليها، بفعل الزمن والبيئة وتعقيدات الحياة، ان كل المطلوب هو رفع الغشاوة الحاجبة في هوادة ورفق عن القلوب، فاذا بنور الهداية تتفجر ينابيعه تلقائيا.

ان كثيرا من الدعاة ربما كانوا في حاجة الى تدريب على الأسلوب، فكثير منهم في كثير من الأحيان وبسلامة نية طبعا يخطئون الطريق، ذلك ان لكل شيء في الحياة علمه وفنون تحقيقه، والدعوة الى الحق يجب ان تكـــون كذلك، وما الارشاد الحكيم الى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة غير دليل على ان الحكمة هي فن الوصول الى القلوب بالاقناع الميسر، فكثيرا ما نرى دعاة حين يكونون بين قوم لم



للاستاذ / محمد لبيب البوهي

يعرفوا الطريق الحق الى الاسلام . وقد يكونون من ذويهم . فاذا بأول ما يفعلونه معهم هو ان ينذروهم بالويل لتارك الصلاة ، دون ان يدرس هؤلاء ما الصلاة ؟ .. وما حقيقتها ؟ وما ثمرتها ؟ وما السعادة الروحية والدنيوية التي تتحقق بأدائها ؟ ان امر هؤلاء كما قال استاذ حكيم : كمن يتخذ بداية الطريق من محطة الوصول .. وهو امر معكوس . وليس المهم هو مجرد ذكر قصة انسان في امريكا قد اعتنق الاسلام ، بل هي صورة من ميادين مفتوحة تحتاج الى التأمل ، ان الاسلام لو انتشر مثلا في امريكا فقد يكون ذلك اكثر تفضيلا مما لو كان ذلك في سكان الاحراش ، لأسباب كثيرة ليست هي فحسب ما لأمريكـا من ثقل في الميزان الدولي ووزنها وأثرها في الاحداث .

***

ولقد أصبح بديهيا أن نكرر ما أصبح مألوفا معروفا من ان الظمأ الروحاني في اوروبا عامة وامريكا خاصة في حاجة الى ما يروي هذا الظمأ والمـذاهب الزمنية العابرة والمـوقوتة كالوجودية وغيرها قد لا تكـون في احسن المـواصفات الا مخدرات زمنية تعقبها نكسات فظيعة ــ انهم هناك بسبب

تفشي

الانحلال يتجرعون مرارة التخمة الحسية التي يحاولون علاجها بالمزيد منها كما يقول الشاعر :

وداوني بالتي كانت هي الداء ،

ان الفطرة هناك تصرخ في حاجة الى من ينتشلها مما تردت فيه .. وهذه هي مهمة الاسلام . وهناك الآن ميادينه التي يجب أن تنال حقها من رعاية الدعوة في بداية هذا القرن الجديد الخامس عشر الذي هناك من الارهاصات ما يدل على انه سيكون قرن اليقظة الروحية الشاملة حيث يكون الاسلام هو المنقذ للعالم من آلامه وفراغه الروحي .

وربما تكون هناك فئة قليلة من مراهقي الترف قد شوهوا عن غير قصد صورة الاسلام في الغرب حين ذهبوا الى هناك وتركوا للمراهقة الحسية حبلها لتمرح في حقول الملذات . فكان مثلهم وهم أصحاب الدعوة اسما لأن اكثرهم أو كل هؤلاء لم يتمرسوا بأصول دينهم . ولكنهم ذهبوا على فراغهم الديني يحملون اسم الاسلام . فكان مثلهم كالمرضى الذين ينتظرون الطبيب فلما جاء فانه بدلا من ان يعالجهم راح يتجرع جراثيم امراضهم . حتى لم يعد من المستغرب كثيرا ان تجد في لندن وغيرها من العواصم الغربية بعض محال اللهو وقد وضعت عليها باللغة العربية لافتات اسلامية . ولكن هناك الى جانب القلة التي ذكرنا امرها من ذهبوا الى امريكا بوجه خاص مسلحين بقيم وفضائل دينية ، ولما اتخذوا هذه المناطق موطن اقامة ، اصبحوا فيها دعاة بحق العلم ــ والقيم ، والمثل ــ والسلوك بما استقر في نفوسهم من اصول الدين ، وما قصة الفتى الجامعي جاكسون الا حالة من آلاف ونحن نذكرها على سبيل المثال وليس الحصر لنبين اثر الاسلوب العصري العلمي المهذب المدروس في ان يؤتي ثماره ، فليس كل ما يصلح لنشر الدعوة في مكان يصلح لكل زمان او مكان ، فللبيئة والظروف الاجتماعية والوسط العلمي اساليب مختلفة .

***

كان الفتى جاكسون وهو باسم التدليل يدعى جاك طالبا جامعيا يعيش في لوس انجلوس . وذات يوم استيقظ مع تباشير صباح جديد كان هو من ايام احد الاعياد الاسلامية ، ليرى مجموعة من السيارات يهتف الراكبون فيها هتافات بنغم حلو هادئ رصين ، اذ كانوا ينشدون نشيد العيد .. لا اله الا الله وحده صدق وعده .. ونصر عبده .. وأعز جنده .. وهزم الاحزاب وحده .

***

كان الصوت هادئا موسيقيا ، ينساب الى قلوب السامعين هادئا رصينا ، فليس فيه صراخ ، وانما نغم جديد على مسامع الفتى . والوجدان يهتز للكلمات الصادقة . ولو لم يدرك السامع كل معناها لأن ما كان من القلب فهو يحرك قلب

السامع ، ولما تكررت كلمات النشيد ، اسرع الفتى الى ورقة ، وراح يكتب بلغته الانكليزية ، الكلمات التي ترددت والتي لا يفقه لها معنى . حتى اذا ذهب الى الجامعة اسرع الى صديق عربي معه ليسأله ترجمة هذا النشيد ، فسر زميله بذلك ، وراح يشرح له المعنى في بساطة واعية ، واخبره ان هناك جماعة من المسلمين لهم دار في لوس انجلوس ، اذ كانت المدينة تحوي نحوعشرين الفا من الجالية الاسلامية . وانهم في ذلك اليوم يحتفلون بعيدهم ، وهذا هو نشيد العيد ـ انه ينشد امجاد الدين والاتجاه الخالص الى الله الواحد الاحد . ويرددون في تقدير فضل الله عليهم وما حباهم به من نعم .

وسأل جاك هل من مانع ان يزور دار هذه الجماعة ؟. فوجد من صاحبه الحريص على دينه تشجيعا وترحيبا ، واردف ترحيبه ذاك بابتسامة حلوة رقيقة .

***

كانت الجماعة الاسلامية قد اتخذت لها مقرا جميلا تحيط به حديقة صغيرة في المدينة ، وكانوا يحرصون على اجتماع دوري في يومي الجمعة والأحد ، فتكون هناك محاضرة لأحد الأساتذة الذين يلمون بما لا بأس به من اصول الدين .

وفي هذين اليومين يؤدون صلاتي المغرب والعشاء ، ويتناولون معا طعام عشاء خفيف متبرعا كل فرد في هذا الطعام بدولارين ، وهو مبلغ زهيد يضم الى حصيلة تبرعات كثيرة لشئون دينهم عالمين بأن ما يدفع مهما عظم ، فهو قليل بالقياس الى عطاء الله لهم ويدركون انه ما من صدقة الا وهي تقع في يد الله ويدخرها لهم لأخراهم ، فمن يدرك ذلك يقينا يطيب له ويلذ له الانفاق مدركا انه يستثمره في مصارف السماء ، فكل استثمار في الدنيا الى زوال ، وكل ما فيها متروك الا ما يستودع عند من لا تضيع عنده الودائع .

***

لقد شارك جاك الامريكي مكرما في هذا العشاء ، حتى اذا انتهى الطعام رأى نفسه محاطا بابتسامات وترحيبات طيبة مباركة صادرة من قلوب تفيض حبا لجميع الخلائق . ووجد سعادة في أن يشارك الآخرين غسل الصحون وتجفيفها ، حتى اذا نودي لصلاة العشاء جلس غير بعيد يرقب هذه الصلاة .

كان ذلك عنده شيئا رائعا جديدا ، وارتسمت في ذهنه صورة طيبة عاد بها الى داره ، ولم تبرح هذه الصورة خياله ، بل لعله وجد نفسه في الأحلام يشارك فيها ويركع ويسجد مع الساجدين دون ان يدعوه الى ذلك انسان .

***

طابت للفتى الامريكي هذه المشاركة التي وجد فيها لذة جديدة

غير لذائذ الحس .. فجعل بعد ذلك يكثر من التعرف الى آخرين معه في الكلية من هؤلاء الذين رآهم في مجتمعهم يؤدون الصلاة .. وفي غير مشقة لحظ انهم يتميزون عن غيرهم .. ففي وجوههم نور .. وعلى افواههم ابتسامات .. وفي حديثهم روح مودة صادقة . وبين بعضهم اخوة لا تخطئها العين .. فكل ذلك حبب الى الفتى التردد على مجتمعهم مرة بعد مرة .

***

ان مئات الملايين في الشرق الاقصى من بلاد الهند والصين والملايو وجزر اندونيسيا وما حولها من شرق ومن غرب انما دخلوا في الاسلام بداية بما كانوا يشاهدونه من تجار مسلمين ذهبوا الى هناك تسعى انوار اخلاقهم وانوار معاملاتهم بين ايديهم وفي احاديثهم وسلوكهم .. لقد ذهبوا الى تلك المناطق النائية حاملين معهم عادات الاسلام واخلاقه واخوة الاسلام حيث المسلم اخ للمسلم اينما كان .. فكانت هذه الصفات هي الدعوة إلى الدين بغير اعلان .. وهذه الصورة يمكن دائما ان تتكرر في كل زمان ومكان . انها تفتح ميادين جديدة لدين الله الحق عن طريق محاسن الصفات والمعاملات ومكارم السلوك .. فالاسلام دين الاخلاق العظيمة التي هي جزء من الفطرة .. وما الانحراف غير طارئ في انتظار من يزيحه ، ويعيد الى القلوب صفاءها من جديد .

راى الفتى الامريكي نفسه مدفوعا الى سؤال اصحابه عن لب الاسلام ـ فكان مع صاحب له حوار هادئ قال له : اجبني يا جاك هل تظن ان هذا الكون العظيم البديع الكبير قد صنع نفسه تلقائيا ذاتيا وابتكر لنفسه قوانين دوامة ؟. .. استمع الفتى ولم يجب في اول الامر .. قال له صاحبه : ان بعض الناس يرون ان هذا الكون قد وجد مصادفة ووجدت معه قوانينه .. هل تظن ذلك يا جاك ؟ انه عندما يقال ان الكون خلق نفسه تلقائيا كمثل ان يقال انه حدث انفجار في دار للطباعة فارتفعت حروف الطباعة في الهواء ، ثم هبطت وكونت تلقائيا من نفسها كتابا في الكيمياء او الطبيعة فهل تظن ذلك معقولا ..؟ تبسم الفتى الامريكي ضاحكا وقال : لا .. ثم اردف انني لست من هذا القبيل لست ملحدا ان الكون له اله .. وانني اؤمن به .. انه المسيح قال صاحبه في اناة ورفق : إذن فانت تؤمن بان المسيح هو الله ؟ قال الفتى : نعم ..! قال صاحبه : والمسيح هو ابن السيدة مريم ؟.. قال جاك : هذا حق انه ابن العذراء مريم قال محاوره في نفس الهدوء المبتسم : مادام المسيح الذي هو الله هو ابن للسيدة مريم ، فقد نستطيع ان نقول ان السيدة مريم هي أم الله ؟ والله الذي هو المسيح هو الذي خلق الكون وهو الذي يدبر امور ما خلق اي انه كان يدبر امور الكون وهو جنين في بطن امه . هل ذلك شئ يقبله العقل يا صديقي الطيب ؟ .

قال الفتى الامريكي في حياء وتردد كأنما قد فوجئ بقول لم يكن في تقديره ولا حسبانه : تلك احدى معجزاته . قال صاحبه بابتسامة عريضة صادقة في ود ، والسيدة مريم التي هي أم الاله كما ترى وباعتبارها من البشر فان لها اسرة واقارب من الناس .

قال جاك : من الطبيعي ان يكون لها اقارب من الناس شأن كل اسرة .

قال صاحبه : هل يقبل العقل ان يكون الله الذي هو خالق الناس ينتمي الى عائلة منهم ؟ فيكون مثلا هذا عمه .. وهذا خاله ..وهذا ابن عم الله .؟

فسكـــت الفتى وتبسم صاحبه وانتهى الحوار في رفق ولكن يبدو ان المعاني الجديدة ظلت تدور في خاطر جاك الامريكي بل لقد عاد في حياء يريد المزيد من الحوار .

قال له صاحبه : اسمع يا جاك الطيب الكريم : لقد علمنا ان الارض ليست في كون الله الا كمثل ذرة في صحراء او قطرة ماء من مياه المحيط ـ قال الامريكي : هذا حق ـ هناك ملايين او بلايين البلايين من الكواكب في كون الله منها ما هو اصغر حجما ومنها ما يفوقها مئات المرات .

قال صاحبه : اذا كان المسيح هو الله .. وقد ولدته السيدة مريم على هذه الارض . وهو في ذات الوقت الاله الخالق للملايين البعيدة من الكواكب ، فهل ترى ان الاله الذي ولد على الارض كان يصرف امور الملايين من الكواكب البعيدة من هنا ام انه كان الها طوافا يطوف بملايين الكواكب التي خلقها ؟

سكت جاك واستغرق في تفكـير عميق وهو يستمع الى صاحبه الذي سأله : تقول ان اليهود قد قتلوا أو صلبوا المسيح هكذا تعتقد .. فهل من كرامة الاله ان يموت قتيلا بيد نفر من مخلوقاته . وتبسم الصديق وانتهى الحوار .. ومضت أيام وأيام وفي احدى صلوات العشاء نظر الصديق المسلم فاذا بصاحبه الامريكي قائم يصلي فريضة العشاء في الصف الاوسط من الجماعة .

وأخذ والدا جاك يرقبان هذا التغير العجيب .. واوشكت امه ان تلقي اليه باللوم حين علمت بامره فقال لها ابوه : انظري كم تغيرت اموره . لقد كان ولدنا يشرب الخمر فتركها .. وكـان يدمن المخدر فتباعد عنه .. الايكفي هذا .!؟ فلم تحر السيدة جوابا واخذت ترقب ولدها عن كثب ، ثم طلبت اليه ذات يوم ان يصحبها الى ذلك المجتمع الذي يتردد عليه .

***

ولم تمض الا اسابيع حتى كانت السيدة الأم تواظب على حضور محاضرات المجتمع المشرق المضيء بأنوار اليقين .

وهكذا تكون الامور .

الا نرى جميعا من ارهاصات القرن الخامس عشر ان هناك ميادين جديدة تنتظر الاسلام بأسلوب مدروس .!؟



للاستاذ : حسن منصور

يدور الفلك دورته . ويتم البدر رحلته ثم يهل علينا شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . فتنشرح فيه النفوس للطاعة . وتهفو القلوب الى التوبة وتشهد المساجد وجوها لم تشهدها أحد عشر شهرا . إنه أكرم ضيف يأتينا كل عام تحف به كل البركات وتنزل فيه ملائكة الرحمة . ويختفي فيه الشيطان وتتلألأ الأنوار وتنكشف للقلوب المؤمنة الأستار . يدعونا الى التجرد من الشهوات والتحرر من رق النفس وعبادة الهوى ، فهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة .

ويدفعنا الصوم الى أن ننزع من قلوبنا الغل والغش والحقد والدنس ونصفو حتى نكون كالملاك .

ان هناك حافزا خفيا يدفعنا كل عام ان نستعد لاستقبال هذا الشهر المبارك والى تحيته باحياء أيامه صائمين مخلصين ولياليه قائمين داعين .

فنشعر طيلة أيامه بسلام لم

يرفرف علينا طيلة شهور العام ويأمن وطمأنينة لم نشعر بهما في بقية الأيام .

الصيام في القرآن

قال تعالى في سورة البقرة : (**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**) ١٨٣ .

فالصوم يعد نفس الصائم للتقوى . فاذا ما تعهد الانسان نفسه وانتهى الى التقوى كان جزاؤه عند الله عظيما . ومن هنا نفهم الأحاديث النبوية الشريفة التي رويت في الصوم وعظمة شأنه ، والتي لا تفهم فهما حقيقيا إلا اذا راعينا أن الصائم يتعهد نفسه ويعدها بالصوم . فقد طلب أبو أمامة من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ان يأمره بعمل ينفعه الله تعالى به فقال صلى الله عليه وسلم : « عليك بالصوم فانه لا عدل له . فكرر له أبو أمامة الطلب ، فقال عليه الصلاة والسلام ايضا نفس ما قاله في المرة الثانية » رواه النسائي .

بهذا يتضح ان الصوم لا مثيل له في تهيئة النفوس للتقوى ، فمن انتهى الى هذه الغاية وصام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه . ومن هنا كان المعنى العميق للحديث المشهور :(قال الله عز وجل : **كل عمل ابن آدم له ، إلا الصيام ، فانه لي وأنا أجزي به**) رواه البخاري ومسلم .

وقد فهم الناس أن الله يجازي على الصوم باستمرار جزاء يزيد على سبعمائة ضعف وهذا صحيح بالنسبة لمن تعهد نفسه واتقى ، أما من لم يتعهد نفسه ولم يتق ، فتصدق فيه الأحاديث الأخرى التي لا تفهم فهما صحيحا الا على ضوء ما تقدم ومنها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش » . رواه النسائي وابن ماجة . ويقول صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » رواه البخاري .

ولا ينتهي الصوم الى ثمرته التي أرادها الله منه الا اذا صدقت النية وقويت العزيمة وصام الانسان ايمانا واحتسابا . اي صام على التصديق والرغبة طيبة بالصوم نفسه ، غير كاره له ولا مستثقل لأيامه ، وصام طلبا لوجه الله تعالى ، وصدقت نيته في النجاة واستشرقت نفسه لرضوان الله . واذا ما توفر كل ذلك تحقق ما قاله السابقون والمعاصرون في فائدة الصيام .

فاذا ما وطن الانسان نفسه على الصلاح والخير بعد ان مهد له الصوم السبيل الى ذلك ، وأعده ليسير في سهولة ويسر على الصراط المستقيم ، فقد فاز بثمرة الصوم المرجوة ، وهي التقوى ، ويدخل في نطاق الآية الكريمة : (**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة**) يونس/٦٢ ـ ٦٤ .

الصوم يهذب السلوك

والتقوى التي تحدثنا عنها ليست أمرا مقتصرا على الحياة الدينية في المسجد والمنزل بل ان الحياة الدينية بمفهومها الشامل لا يمكن ان تنحصر بين جدران المسجد وتتردد بين أعمدته في دعوات وصلوات ومواعظ فوق المنابر . بل هي سلوك قويم ينهى عن السوء ويدعو إلى الخير في كل مجالات الحياة ونشاطاتها . وعلى هذا الضوء نستطيع أن نرى في الصوم ارادة الحياة – أنه كف عن الطعام والشراب والشهوة ، فهو بهذا تربية بالحرمان والتربية ارادة والارادة ايجابية والايجابية انتاج – وما أروع قول الامام علي رضي الله عنه في وصف الاسلام : « الاسلام هو التسليم – والتسليم هو اليقين – واليقين هو التصديق – والتصديق هو الاقرار – والاقرار هو الأداء – والأداء هو العمل » .

الصوم يقوي العزائم

يقول الامام الغزالي : « الصيام زكاة للنفس ، ورياضة للجسم ، وداع للبر ، فهو للانسان وقاية ، وللجماعة صيانة ، في جوع الجسم صفاء القلب ، وايقاد القريحة ، وانفاذ البصيرة ، لأن الشبع يورث البلادة ، ويعمي القلب ، ويكثر الشجار في الدماغ ، فيتبلد الذهن ، والصبي اذا ما كثر أكله بطل حفظه ، وفسد ذهنه ، أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع ، وطهروها بالجوع تصفو وترق » .

ويقول الشيخ محمد عبده : « ان الصوم يحدث لصاحبه ملكة المراقبة لله تعالى والحياء منه سبحانه . وفي هذه المراقبة أكبر معدل للنفوس ومهيىء لها لتسعد في الآخرة وتستقيم في الدنيا .

انظر هل يقدم من صدق مع الله في صومه وراقبه فيه مخلصا على غش الناس ومخادعتهم ؟ هل يسهل عليه أن يراه الله آكلا لأموالهم بالباطل ؟ هل يحتال على الله في منع الزكاة ؟ أم هل يحتال على أكل الربا ؟ هل يقترف المنكرات جهارا أو يسدل بينه وبين الله في المعاصي ستارا ؟ كلا – ان صاحب هذه المراقبة لا يسترسل في المعاصي اذ لا يطول أمد غفلته عن الله . واذا نسي وألم بشيء منها كان سريع التوبة قريب الأوبة : (**إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون**) الاعراف/٢٠١ .

فكل ارتباطات رمضان في ديننا ، تدعو الى العمل والتفتح على الحياة والآخرة معا ، تدعو إلى البر بالناس والاقبال على الله ، وأكبر البر اخلاص كل فرد في عمله وإستجابته لمطالب الناس عنده .

وما أجمل أن ينتصر الانسان على نفسه في رمضان ، فلا يصخب ، ولا يضيق بالناس ولا بالعمل ، فالصوم يربي ضمائر الأفراد والجماعات ، ويطهر القلوب مما يلم بها من الرجس

طيلة أيام السنة ، وحياة الناس في حاجة إلى تربية وتطهير فتهتدي في رمضان وتزكو بالصوم . وهكذا كان رمضان ولا يزال شهرا تزكو فيه الروح ، وتبدو هذه الزكاة في الفرد سلوكا وعبادة وبذلا – وفي الأسرة والجيرة وذوى الرحم برا وتعاطفا – وفي المجتمع تماسكا وتكافلا .

فرمضان بهذا شهر المحراب والميدان – هو شهر القرآن الذي جاء مصدقا بكل نبي ورسول وداعيا الى الربط بين الناس برباط الوحدة والتوحيد والمساواة ، كما هو شهر الجهاد والاستشهاد . فقد شهد جانبا من الوقائع الفاصلة بين الاسلام وأعداء الحق والحياة – فقد شهد غزوة بدر وغزوة الفتح – والعودة الظافرة من غزوة تبوك في أضخم جيش قاده الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما شهد رمضان معركة عين جالوت وبها تحول مسار الزحف التتاري وارتدت موجته ، واستطاعت جيوش المسلمين أن تصون العروبة والحضارة الاسلامية .

ومن طبيعة رمضان أيضا ان تتجمع فيه ذكريات الماضي واحداث الحاضر وآمال المستقبل بحلوها ومرها ، ببسماتها ودموعها ، ويبدو هذا في أكثر من صورة في حياتنا اليومية .

أثر رمضان على الحياة اليومية

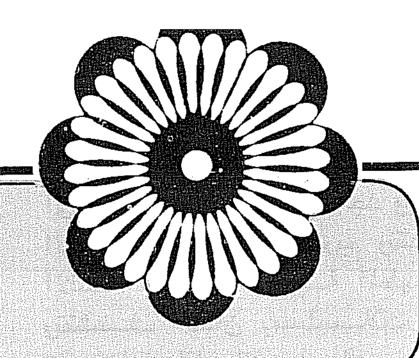
وفي رمضان يزداد الود والتزاور بين الناس ، وتزداد العبادة والتوجه الى الله ويزداد عمار المساجد ويكثر الاقتراب من القرآن الكريم وتتعطر الألسنة بالسيرة النبوية المطهرة وتتشنف الآذان بمسلسلات من تاريخنا الحافل بالأمجاد والدروس .

فتجد الأنفس المؤمنة العزاء في آية من القرآن ، أو عبرة من تاريخ ، وتجد الدمعة الحزينة سكينة يشيعها الشهر الكريم في حياتنا ، ويجد القلب المكدود روحا وريحانا في روضة الدين ، يستعين بها على ان يتابع المسيرة في قوة وفاعلية .

ان هذه الأرادة التي يربيها الصوم طيلة شهره المبارك ، نحتاج إليها دوما في مسيرتنا نحو الازدهار والتقدم .

مرحبا يا خير قادم

فمرحبا بك يا رمضان يا من جعل الله أولك رحمة وأوسطك مغفرة وآخرك عتقا من النار وجعل مسك ختامك ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر واختص أمة الاسلام بك فأنت حين تقبل يا رمضان يقبل معك الخير والبركة والرضا واليقين والطمأنينة وسلامة الروح ورضا النفس ، لك منا شكر المقرين بفضلك ، وتحية الخاشعين لربك الفرحين باستقبالك الراجين من الله أن يروا مطلعك على أمة الاسلام مطلع خير ويمن وإنعام – وسلام الله وبركاته عليك عزيزا بيننا مقيما وراحلا بعد ضيافتك تاركا بيننا أثرا عظيما وسرا مقيما .



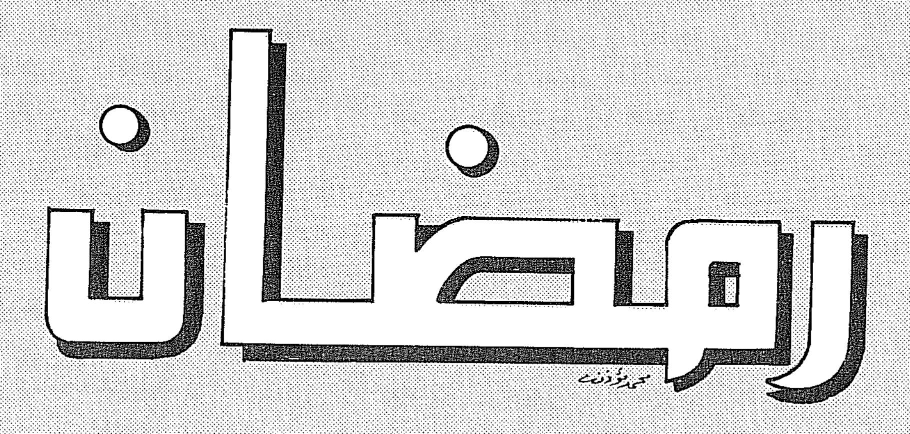
دروس من الفتح الأكبر للمسلمين في القرن الخامس عشر الهجري

من انتصارات

تمهيد :

ربى النبي صلوات الله وسلامه عليه من اسلم في مكة تربية اسلامية متكاملة حتى حققوا معنى الاية الكريمة : (**قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لاشريك له**) الانعام/١٦٢ و ١٦٣ وفي الوقت نفسه فاضت كأس قريش ظلما وعدوانا وجحودا بالحق وصدا عن سبيل الله بكل الاساليب حتى التى تنكره عادات العرب في الجاهلية

وما بقى من دين ابراهيم عليه السلام في حرمة مكة وحرمة الاعتداء على من سكنها وصدهم عنها من يريد ان يدخلها معتمرا واخيرا نقض العهد والاعتداء بالقتل والمطاردة على خزاعة التى دخلت في عهد النبي عليه الصلاة والسلام - وقد اراد الله سبحانه وتعالى ان ينهى هذا الظلم الذي لايريد ان يقف عند حد وأن يدخل رسوله والمسلمين مكة فاتحين وان يطهر بيته من الرجس من الاوثان ومن قول



للاستاذ/علي القاضي

الزور وان يعيد الى مكة مكانتها الاولى فتعود مثابة للناس وامنا . ويصبح البيت كما كان مباركا وهدى للعالمين .

لذلك هيأ الله سبحانه وتعالى الاسباب حيث دعت قريش اليها .وذلك ان معاهدة الحديبية كان في احد بنودها ان من دخل في عهد قريش وعقدها دخل فيه ومن دخل في عهد محمد وعقده دخل ، فدخلت بنو بكر عقد قريش ودخلت خزاعة في عقد النبى عليه الصلاة والسلام ، واستمر الوضع على هذا سبعة عشر شهرا – ثم بدأت بنو بكر تفكر في الاعتداء على خزاعة أخذا بثأر قديم كان لهم عليها – وكلمت اشراف قريش ان يعينوها بالرجال والسلاح على خزاعة فأمدوهم بذلك .

نقض العهد :

خرج نفر من قريش متنكرين : ((خوف ان يبلغ رسول الله انهم نقضوا العهد والهدنة)) واجلسوا معهم ارقاءهم فأغاروا مع بنى بكر

على خزاعة لبلادهم وهم آمنــون. وقتلوا منهم ثلاثة وعشرين وذلك على ماء قريب من مكة يقــال له الوتـــير ، وكان عامــة القتلى من النســاء والصبيـــان وضعفـــة الرجال ـ حتى ادخلوهم الحرم .

فلما انتهوا اليه قالت بنو بكر لنوفل بن معاوية الديلي ـ وكان يومئذ قائدهم يانوفل : انا دخلنا الحرم الهك الهك ـ فقــال كلمــة عظيمة : (لاإله له اليــوم) ثم قال : يابني بكر اصيبــوا ثأركم فلعمري انكم لتسرقون في الحرم افلا تصيبون ثأركم فيه ؟ وهكذا فهم لم يرعوا حرمة البيت ولا حرمة من فيه مع الافحاش في القول حتى مع الله سبحانه وتعالى .

وفد خزاعة في المدينة :

وهال الأمر خزاعة فلم يجدوا بدا من الالتجاء الى النبي عليه الصلاة والسلام بالمدينة فخرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين رجلا حتى قدم على رسول الله المدينة فوقفوا عليه وهو جالس في المسجـد بـين ظهرانـي اصحابه وانشد ابياتا تدل على مدى تأثره بما اصاب قومه وقد جاء فيها :

ان قريشــا اخلفـوك الموعدا
ونقضـــوا ميثاقـــك المؤكدا
هم بيتونـا بالوتـــير هجدا
وقتلونـــا ركعـــا وسجدا

فقال عليه الصلاة والسلام : نصرت ياعمرو بن سالم ـ لانصرت ان لم انصر بني كعب ممــا نصرت منــه نفسي ، ومع ذلك فقد أراد عليه الصلاة والسلام أن يستوثق من الخبر ويعذر الى قريش فبعث إليهم رجلا يخيرهم بين احدي ثلاث خلال ـ بـين ان يدفعوا دية قتلى خزاعة ـ او يبرءوا من حلف من تولى كبر هذا النقض او ينبذ اليهم على سواء فأجابه قرطة بن عمرو احد زعماء قريش لكن ننبـذ اليهم على سواء ـ وبذلك برئت ذمة قريش وقامت عليهم الحجة .

عندئذ لم يشك اهل مكة في انهم سوف ينالون جزاء غدرهم فبعثـوا بأبي سفيان الى المدينة عله يستطيع ان يفعل شيئا لقريش عن طريــق الاعتذار او تجديد المعاهدة ومدها لكن الامر كان اخطر من ذلك بكثير ـ فماضيهـم مملـوء بالشر والظلـم وحاضرهم مملوء بالقتل والطغيان ـ ولذلك فلن يرجى منهم خير في المستقبل فلتطو هذه الصفحة وليفتح الله مكة على المؤمنين ولنفتح صفحة جديدة في تاريخ الاسلام والمسلمين . ولذلك فقد عاد ابو سفيان بخفى حنين .

الاستعداد لفتح مكة :

حين عزم النبي عليــه الصــلاة والسلام على فتح مكة ارسل الى اهل البادية والى من حوله من المسلمين يقول : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة وبعث رسلا في كل ناحية حتى قدموا .

في اليوم العاشر من رمضان خرج النبي عليه الصلاة والسلام من المدينة قاصدا مكة بعد ان استخلف على المدينة أبا رهم الغفاري وقد انضم اليه في الطريق الكثير من القبائل فبلغ عدد الرجال عشرة آلاف .

هذا القائد العظيم الذي يقود عشرة

آلاف جندى وهو ذاهب لفتح مكة يلفت نظره بعد مسيرة يوم من العرج كلبة تهر على اولادها وهن حولها يرضعن فيأمر جعيل بن سراقة ان يقوم حذاءها لا يعترض لها احد من الجيش ولا لاولادها. انه النبي الذي ارسله الله رحمة للعالمين فتعم رحمته الانس والحيوان والجماد .

وواصل النبي عليه الصلاة والسلام الصيام حتى وصل بئر الكديد في وضح النهار ـ فخشى النبي عليه الصلاة والسلام ان يشق العطش والتعب الشديد على جنوده فيعيقهم عن اداء مهمتهم ـ فدعا باناء به ماء واشرف على الناس من فوق ناقته العالية وشرب جرعة على مشهد من الجند ليريهم ان الافضل الافطار في مثل هذه الظروف ـ ثم بلغه ان قوما استمروا في صيامهم فقال عليه الصلاة والسلام : اولئك هم العصاة وبين السبب في ذلك فقال : انكم مصبحو عدوكم والفطر اقوى لكم .

لقد افطر النبي عليه الصلاة والسلام ليكون قدوة للمسلمين في ذلك ـ ففي وقت الحرب يصبح الافطار عبادة اكثر من الصيام ـ فلما بلغه ان بعض المسلمين لم يقتد به وهم مقدمون على معركة ـ بين لهم انهم عصاة بصومهم لانهم لن يتمكنوا من اداء واجبهم القتالي وهم صيام .

وحث الرسول عليه الصلاة والسلام جنده على الاسراع في السير ، فوصل الى مر الظهران على ابواب مكة قبل أن يعرف القرشيون شيئا عن قوة المسلمين وعن اخبار سيرهم .

دخول مسالم :

لقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام حريصا على ان يدخل مكة بغير قتال ووضع الخطة على هذا الاساس وامر اصحابه ان يتفرقوا في مداخل مكة فلا يدخلوها من مدخل واحد وبذلك يفوتون فرصة القتال على اهل مكة لو ارادوا ذلك ـ اذ انهم مضطرون حينئذ الى تشتيت جماعاتهم وتشتيت قواهم في جهات مكة فتضعف بذلك المقاومة ومغرياتها ـ وبذلك تحقن الدماء وتحفظ السلامة والامن في البلد الحرام ـ ومن اجل هذا امر الا يقاتل المسلمون الا من قاتلهم واعلن ان من اغلق عليه داره فهو آمن ، وقد اسند الى الزبير بن العوام دخول مكة من طريق « كدى » وهو جبل بأسفل مكة . والى خالد بن الوليد مهمة دخول مكة من اسفلها . والى ابي عبيدة مهمة دخول مكة من طريق الضواحى الشرقية . والى سعد بن عبادة مهمة دخول مكة من طريق كداء وهو جبل بأعلى مكة .

وقد اخذت نشوة الموقف سعد بن عبادة فقال : اليوم يوم الملحمة اليوم اذل الله قريشا وحين بلغ ذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : كذب سعد ، اليوم يوم المرحمة ، اليوم يوم تعظم فيه الكعبة اليوم اعز الله قريشا ـ وامر بنزع الراية من سعد واعطائها لابنه قيس .

ودخل المسلمون من كل جانب ولم

يلقوا مقاومة ـ اللهم الا خالد بن الوليد الذي استقبله وابل من السهام وقع على جنده فأصاب الكثير منهم ـ وكان ذلك من عمل صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل اللذين دبرا الكمين وراء صخور جبل خندمة ـ فهجم خالد برجاله على المكان الذي تحصن فيه الاعداء فبث فيهم الرعب وشتت شملهم وقتل منهم اثنى عشر ـ ثم انهزموا فدخل حماس بن قيس على امرأته ـ وكان حماس قد اعد سلاحا لقتال المسلمين فقالت له امرأته : والله ما أراه يقوم لمحمد واصحابه شيء قال : والله اني لارجو ان اخدمك بعضهم ـ فقال حماس اغلقى علي بابى فقالت له : واين ما كنت تقول ؟ فأنشد :

انك لو شهدت يوم الخندمه
اذ فر صفوان وفر عكرمه
وابو يزيد قائم كالموتمه
واستقبلتهم بالسيوف المسلمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه
ضربا فلا يسمع الا غمغمه
لهم نهيت خلفنا وهمهمه
لم تنطقى في اللوم ادنى كلمه

ووصل النبي عليه الصلاة والسلام الى جبل الحجون فرأى لمعان السيوف والرماح ـ فغضب وبعث الى خالد بن الوليد برجل من الانصار ـ فلما جاء خالد عنفه على ان قاتل وقد نهاه عن ذلك نهيا شديدا فأجابه خالد : انهم يارسول الله بدءونا بالقتال ورمونا بالنبال ووضعوا فينا السلاح وقد كففت ما استطعت ودعوتهم الى الاسلام فأبوا فقاتلتهم واظفرنا الله عليهم فهربوا من كل وجه فقال عليه الصلاة والسلام : قضى الله امرا .

ازالة آثار الجاهلية :

وبعد ان هدأ الموقف ودخل المسلمون الى مكة اعتجر الرسول عليه الصلاة والسلام عمامة سوداء ووشاحا مخططا على رأسه ، وترك طرفاه ترفل بين كتفيه ثم يمم شطر الكعبة للطواف مبتدئا بالحجر الاسود ، ثم نزل عند راحلة ليغشى البيت ولكنه تراجع اذ ابصر بالاصنام التى تحيط بالكعبة ، وصاح امام لوحة تصور ابراهيم عليه السلام ممسكا بالازلام : ((قاتلهم الله حيث جعلوه شيخا يستقسم بالازلام ـ والله ان استقسم بها قط)) وامر بالصور فمحيت .

واتجه الى الاصنام المحيطة بالحرم وكان عددها ثلاثمائة وستين فبدأ بالصنم الاكبر هبل وجعل يضرب في عينيه قائلا : جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ـ فخر الصنم لوجهه مهشما وجعل الرسول عليه الصلاة والسلام يطوف بالاصنام فيهشمها واحدا واحدا حتى لم يبق قائم الا صنم بني خزاعة المصنوع من نحاس وصدف وكان منصوبا على سطح الحرم فقال الرسول عليه الصلاة والسلام لعلي : اجلس فجلس علي فصعد رسول الله على منكبيه ـ ثم قال له انهض فأحس علي بحمل فوق طاقة البشر فلم يستطع فنزل ورفع النبي عليه الصلاة

والسلام عليا قال علي : فلما نهض بي وصعدت فوق ظهر الكعبة خيل الى حين نهض بي « صعد » اني لو شئت لنلت فوق السماء ـ وكان الصنم مؤيدا بأوتاد من حديد وجعل الرسول عليه الصلاة والسلام يقول ايه ايه جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ـ فتمكنت من الصنم فقذفته فتكسر ، ثم بعث رسول الله عليه الصلاة والسلام سراياه الى الاوثان التى كانت حول الكعبة فكسرت كلها ونادى مناديه بمكة : من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يدع في بيته صنما الا كسره وبعث رجلا من اصحابه الى القبائل فهدموا اصنامها .

يالله لقد كانت هذه الحجارة منذ هنيهة آلهة مقدسة ولكنها الان انقاض بعد ان هدمها نبي التوحيد . الذي دار في البيت وكبر في نواحيه ووحد الله ـ ثم فتح الباب وقريش قد ملأت المسجد صفوفا ينظرون ماذا يصنع بهم ؟ فأخذ بعضادتي الباب وهم تحته فقال : لااله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده .

خطبة النبي عليه الصلاة والسلام :

توجه اهل مكة في اليوم التالي الى الصفا حيث دعاهم النبي عليه الصلاة والسلام ليأخذ عليهم العهد والميثاق ـ ومما يلفت النظر ان اهل مكة لم تكن تبدو عليهم امارات الخزى التى تبدو عادة على المنهزمين ـ فقد اطمأنوا الى النبي عليه الصلاة والسلام الذي وصفه رب العزة بأنه رؤوف رحيم ـ واستمعوا الى خطبته التى قال فيها : « الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وحزم الاحزاب وحده ـ الا وان كل ثائرة او مال او دم فهو تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج الا وقتل الخطآ شبه العمد السوط والعصا فيه الدية مغلظة مائة من الابل اربعون منها في بطون امهاتها ثم قال : يامعشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بآبائها ـ الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية : **(يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير)** الحجرات/١٣ الا وان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام بحرام الله لم تحل لاحد كان قبلي ولا تحل لاحد كان بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار ـ الا لاينفر صيدها ولا يعضد (يقطع) عضاهها (شجر له شوك) ولا تحل لقيطتها الا لمنشد ولا يختلى خلاها (يقطع حشيشها) فقال العباس : الا الاذخر يارسول الله فانه لابد منه للقبور وظهور البيوت فسكت ساعة ثم قال : الا الاذخر فانه حلال .

ولا وصية لوارث وان الولد للفراش وللعاهر الحجر ، ولا يحل لامرأة تعطى من مال زوجها الا باذن زوجها ـ والمسلم اخو المسلم ، والمسلمون اخوة ، والمسلمون يد على من سواهم ، تتكافأ دماؤهم ويرد

عليهم اقصاهم ويعقد عليهم ادناهم .
ولا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده ولا يتوارث اهل ملتين مختلفتين ولا تنكح امرأة على عمتها او خالتها والبينة على من ادعي واليمين على من انكر ولا تسافر امرأة مسيرة ثلاث الا مع ذي رحم محرم .
ثم قال : يامعشر قريش ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال فاني اقول لكم كما قال يوسف لاخوته : لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فانتم الطلقاء ثم قال : اين عثمان بن طلحة فدعى له فقال : هذا مفتاحك ياعثمان اليوم يوم بر ووفاء وجاء الظهر :
فأمر بلالا ان يصعد فوق الكعبة فيؤذن ـ وكانت قريش فوق رؤوس الجبال وقد تغيرت وجوههم وتعبوا وتغيبوا خوف ان يقتلوا ـ فلما أذن بلال ورفع صوته كأشد مايكون وقال : اشهد ان محمدا رسول الله قالت جويرة بنت ابي جهل : قد لعمري رفع لك ذكرك اما الصلاة فسنصلى ـ والله لا نحب من قتل الاحبة ابدا ـ وقال خالد بن الاسيد : الحمد لله الذي اكرم ابى فلم يسمع هذا اليوم وقال الحارث بن هشام : واثكلاه ليتنى مت قبل هذا اليوم قبل ان اسمع بلالا ينهق فوق الكعبة . وقال الحكم بن ابي العاص : هذا والله لحدث العظيم ان يصبح عبد بني جمح على بنية ابي طلحة . وقال سهيل بن عمرو : ان كان هذا سخطا لله فسيغيره وان كان لله فيه رضا فسيقره وقال ابو سفيان بن حرب : أما انا فلا اقول شيئا لو قلت شيئا لاخبرته هذه الحصباء ـ فأتي جبريل عليه السلام فأخبره خبرهم .
ثم دخل دار ام هانيء فاغتسل وصلى صلاة الفتح ثماني ركعات وكان أمراء المسلمين من بعده يقتدون به في ذلك فاذا فتحوا بلدا صلوا هذه الصلاة ـ ثم لبس السلاح ومغفرا من حديد ثم ركب القصواء ومر وابو بكر معه على الناس وعبد الله بن ام مكتوم بين يديه يقول :

ياحبــذا مكة من وادى
ارض بهــا اهلي وعوادي
ارض بهــا انسي بلا هادي
ارض بهــا ترســخ اوتادي

حتى انتهي الى الكعبة فتقدم على راحلته فاستلم الركن وكبر فكبر المسلمون لتكبيره حتى ارتجت مكة ، فأشار اليهم أن اسكتوا والمشركون فوق الجبل ينظرون ، ثم طاف ومحمد ابن مسلمة آخذ بزمامها .
ثم اجتمعت قريش لمبايعته فجلس علي الصفا وجلس عمر بن الخطاب اسفل مجلسه يأخذ على الناس فيبايعون على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا ـ ثم قال : لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية .

غسل الكعبة :

ثم تجرد رجال من الازد ثم اخذوا الدلو فغسلوا الكعبة وبطنها حتى انبعج الوادي بالماء فلم يدعوا فيه صورة ولا اثرا من آثار المشركين الا محوه وكان عليه الصلاة والسلام لما جلس ناحية من المسجد توضأ بسجل من زمزم قريبا من المقام والمسلمون

يبادرون وضوءه يضعونه على وجوههم ـ والمشركون يومئذ متعجبون ويقولون : ما رأينا ملكا قط يبلغ هذا ولا شبيها به !

أثر فتح مكة :

كان لفتح مكة اثر عميق في نفوس العرب فشرح الله صدر كثير منهم للاسلام وصاروا يدخلون فيه افواجا ـ وكانت عدة قبائل بينها وبين قريش حلف وكانت ممتنعة عن الدخول في الاسلام لمكانة هذا الحلف وكانت قبائل ترهب قريشا وتجلها فلما رأتهم استسلموا للاسلام ورغبوا فيه زال الحاجز وكانت قبائل تعتبر مكة لايفتحها احد ولا يدخلها ملك جبار او من يريد لها سوءا الا اهلك ـ ولا يزال فيها من عاصر حادثة الفيل وشاهد مافعل بأبرهة فيقولون اتركوه وقومه فانه ان ظهر عليهم فهو نبي صادق .

فلما فتح الله مكة لنبيه ـ خضعت قريش للاسلام طوعا او كرها واقبل العربي على الاسلام اقبالا لم يعرف قبل ذلك وصاروا يدخلون في دين الله افواجا وصدق الله العظيم القائل : (إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) سورة النصر .

الانصار يخافون :

ظن الانصار الذين آووا الرسول عليه السلام ونصروه ان مهمتهم قد انتهت وقالوا : فتح الله مكة على رسوله عليه الصلاة والسلام وهى بلده وموطنه ـ جال ذلك في نفوسهم وتحدثوا به فيما بينهم ثم قالوا : أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليه ارضه وبلده ان يقيم فيها ؟ فلما تم فتح مكة قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم « وفي مكان آخر يقول : لولا الهجرة لكنت امرءا من الانصار ولو سلك الناس شعبا وسلك الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار » .

لقد اقام النبي عليه الصلاة والسلام نحو التسعة عشر يوما في مكة ومع ذلك فقد اعتبر نفسه غريبا مسافرا وكان يقصر من الصلاة وكان يقول بعد تمام الركعتين : يأاهل البلد صلوا اربعا فإنا سفر » .

وامر الرسول عليه الصلاة والسلام على مكة قبل ان يغادرها عتاب بن اسيد يدبر امورها ويقيم الموسم والحج بالمسلمين وسنه عشرون سنة بمحضر من اهل الاسنان والفضل ـ فدل ذلك على ان المناصب تقوم على الجدارة والقوة ـ لا على العلم او السن او الجاه او المال ولم ينكر احد من الصحابة هذا العمل .

خاتمة :

بالامس خرج النبي عليه الصلاة والسلام من موطنه واحب بلاد الله اليه ـ من مكة مستخفيا في بطون الجبال والوديان مهاجرا الى يثرب وقد سبقه الى الهجرة اليها ولحق به اصحابه وهم قلة مستضعفة ـ

خرجوا متسللين فارين بدينهم تاركين المال والاهل والوطن ــ نعم كان ذلك بالامس .

اما اليوم فها هم اولاء يعودون الى وطنهم واهلهم ومالهم ، وقد كثروا من قلة وتقووا بعدضعف ، واستقبلهم اولئك الذين اخرجوهم بالامس خاشعين اذلاء خاضعين خائفين .

وبلال العبد الحبشي الذي طالما عذب في رمضاء مكة على ايدى المشركين ، يصعد اليوم على الكعبة المشرفة ينادى باعلى صوته : الله اكبر . الله اكبر .

نعم بالامس كان يهمس وهو تحت اسواط العذاب احد أحد ــ واليوم يجلجل فوق بيت الله الحرام : لااله الا الله محمد رسول الله والكل خاشع ومنصت .

وبعد انتصار المسلمين وفتح مكة القى الرسول صلوات الله وسلامه عليه خطبة ــ ترى ما الذي يشغل بال هذا الفاتح العظيم وما الذي يقوله في هذه الخطبة ــ نعم انه الفاتح العظيم ولكنه ايضا رسول الله صاحب الرسالة ولا يشغل باله شيء الا اداء هذه الرسالة وحتى وقت الفتح الاكبر لم يشعر بشيء من الزهو او الغرور بل انه هو محمد رسول الله ، يلقى خطبة يضع فيها الاسس الاسلامية في العقيدة والتشريع والاخلاق التى يحتاج اليها الناس في جميع العصور وفي جميع البلاد ــ ولم يحدث في التاريخ البشري ان خطب فاتح مثل هذه الخطبة التى تخلو من التعاظم والتى تضع اسس المجتمع السليم ــ ولكنه محمد رسول الله الذي ارسله الله تعالى لانقاذ البشرية واخراجها من الظلمات الى النور .

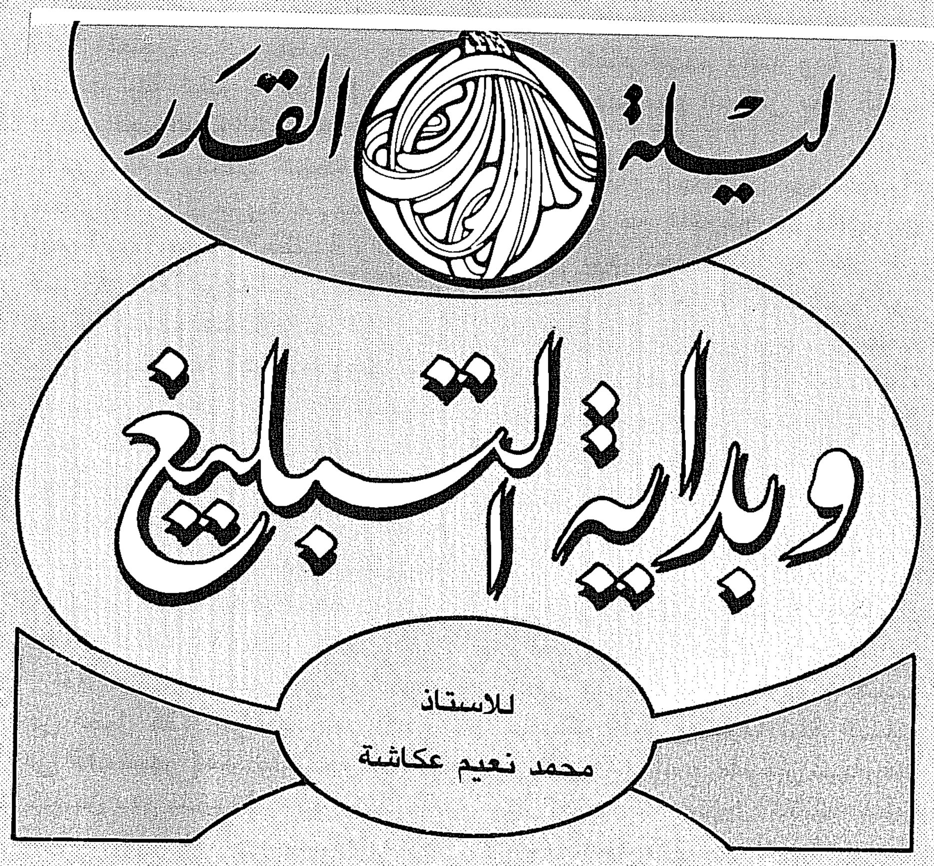
ان محمدا صلوات الله عليه دخل مكة دخول الرسول الذي يريد ان يفتح القلوب لنور الايمان ــ فهو ليس ملكا يبغى شهرة ، ولا طاغية يبغى سيطرة ــ لقد ارسله الله رحمة للعالمين ومن هنا فلم يكن في مشاعره الا المودة ولم يكن في الفاظه الا الرقة .

دخل رسول الله عليه الصلاة والسلام مكة دخول خاشع متواضع لا دخول فاتح متعال ــ دخل خافضا رأسه تواضعا لله حين رأى ما اكرمه الله به من الفتح ، حتى ان ذقنه لتكاد تمس واسطة الرحل ــ دخل مكة وهو يقرأ سورة الفتح ــ وفي دخوله مكة فاتحا ــ وهي قلب الجزيرة العربية ومركزها الروحي والسياسي رفع كل شعار من شعائر العدل والمساواة والتواضع والخضوع .

او ليس مما يلفت النظر ان يردف خلفه اسامة بن زيد وهو ابن مولاه ــ ولم يردف احدا من أبناء هاشم او اشراف قريش .

انها العبودية المطلقة لله تعالى في السراء والضراء .

وما اشد حاجتنا في بداية القرن الخامس عشر الى ان ندرس هذه الغزوة دراسة واعية لنأخذ عنها الدروس التى تفيدنا في مستقبلنا نحو الدعوة الى الله تعالى لننقذ انفسنا مما نحن فيه وننقذ هذا العالم المضطرب الحائر .



نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتعبد في غار حراء : (**اقرأ باسم ربك الذي خلق**) العلق/١ ، ثم جاء رمضان فأمر الله رسوله الأمين بتبليغ رسالة القرآن إلى الناس : (**يا أيها المدثر . قم فأنذر**) المدثر/ ١ و٢ .

والقدر هو الشرف العظيم .. يقول أبو بكر الوراق : سميت ليلة القدر لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر ، وعلى لسان ملك ذى قدر ، وعلى رسول ذى قدر ، وعلى أمة ذات قدر ، وكما وصف الله هذه الليلة بالقدر والشرف ، وصفها بالبركة في قوله تعالى : (**حم . والكتاب المبين . إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين**) الدخان/١ ـ ٣ .

ويقول الزمخشري في كتابه عند تفسير قوله تعالى : (**ليلة القدر خير من ألف شهر**) القدر/٣ ، ان سبب ارتقاء فضلها إلى هذه الغاية هو ما يوجد فيها من المصالح الدينية : من تفصيل كل أمر حكيم ، وتبيين الطريق المستقيم .

ويقول الامام الشيخ محمد عبده (والقدر) إما تقدير الأمور وقضاؤها وإما العظمة والشرف ،

وكلا المعنيين مراد ومقصود ، وبهما سميت ليلة القدر : أما على معنى التقدير فهي الليلة التي ابتدأ الله فيها تقدير دينه ، وتحديد الخطة لنبيه في دعوة الناس إلى ما ينقذهم مما كانوا فيه ، وأما معنى العظمة والشرف فذلك لأن الله لانزاله القرآن فيها ليبلغ الناس رسالة هادية ، قد أعلى من منزلة رسوله وشرفه وعظمه بالرسالة ، وأعلى منزلة الانسانية حيث أنقذها ــ ببزوغ أول شعلة إلهية ــ من ظلمات الجهل والوثنية . قال تعالى : **(أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها)** الأنعام/١٢٢ .

فلا عجب في تعبير القرآن الكريم عن فضل هذه الليلة بأنها : **(خير من ألف شهر)** فان ليلة هدى ونور ، خير من دهر يمضي في ظلام وضلال ، فليست قيمة الأيام بساعاتها ، ولا قدر الليالي بطولها وعددها ، وإنما قيمة الأوقات بما يحدث فيها من خير للبشر ، وسعادة للناس ..

الاختلاف في تعيين الليلة

وقد اختلفت الروايات في تعيين هذه الليلة إلى ثلاثة وعشرين قولا ، وأرجحها أنها في رمضان ، وفي العشر الأواخر منه ، وفي الأوتار من تلك الأواخر .. ومن الأقوال التي ذكرت في هذا الشأن :

قال ابن اسحاق : إنها كانت ليلة السابع عشر من رمضان لقوله تعالى : **(إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان)** الأنفال/٤١ ، لأن المراد بيوم التقاء الجمعين يوم التقاء المسلمين مع المشركين في غزوة بدر وكان يوم الجمعة ١٧ رمضان من السنة الثانية من الهجرة فكان يوم الفرقان ، وهو أول يوم نزل فيه القرآن في رمضان قد وافق يوم التقاء الجمعين ، وإن كان بينهما زمان طويل فهما متحدان في الوصف « وهو انهما يوافقان الجمعة ١٧ رمضان » وإن لم يتحدا في الزمن ــ

وقال البيروني : ليلة السابع والعشرين من رمضان تسمى ليلة القدر وهو اتفاق من العوام لأنها مجهولة وقيل اطلبوها ليلة السابع عشر وليلة التاسع عشر فان فيها وقعة بدر وفتح مكة ، ونزول الملائكة امدادا مسومين ، وعسى ان يكون هذا صحيحا فان الله يقول : **(تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع الفجر)** القدر/٤ و ٥ .

وفي حديث عبدالله بن أنيس الجهني أنه قال لرسول الله : « إني رجل ضرير البصر شاسع الدار فمرني ليلة أنزل فيها فقال له الرسول : انزل ليلة ثلاث وعشرين » رواه ابو داود .

وذكر ابن حجر في فتح الباري عن ابن عباس ان عمر دعا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ليلة القدر فأجمعوا على انها في العشر الأواخر من رمضان ،

وهذه العشر هي التي كان الرسول يخص أيامها ولياليها بمزيد من التعبد لله تعالى والتقرب اليه بملازمة الاعتكاف فيها .

وفي البخاري عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الأواخر شد مئزره وأحيى ليله ، وأيقظ أهله ، وفي الترمذي عنها : كان النبي يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها . وعنها كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى .

وحديث ابن عمر عن ليلة القدر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر » رواه البخاري ومسلم وأبو داود .

قال القرطبي : والذي عليه المعظم أنها ليلة سبع وعشرين ، لحديث أبي ابن كعب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ليلة القدر ليلة سبع وعشرين .. ولحديث زر بن حبيش قال : قلت لأبي بن كعب ان أخاك عبدالله بن مسعود يقول : من يقم الحول يصب ليلة القدر فقال يغفر الله لأبي عبدالرحمن ، لقد علم انها في العشر الأواخر من رمضان وانها ليلة سبع وعشرين ، ولكنه اراد الا يتكل الناس ثم حلف ابي لا يستثنى انها ليلة سبع وعشرين .

قال ابن حبيش بأي شيء تقول ذلك يا أبا المنذر قال بالعلامة التي اخبرنا رسول الله ان شمسها تطلع يومئذ لا شعاع لها .

وأخرج أحمد والبخاري والترمذي عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من شهر رمضان » .

ويؤخذ من مجموع الأحاديث التي أوردناها ان ليلة القدر في الغالب الأعم تتكرر كل عام وتكون في العشر الأواخر من رمضان متنقلة في أوتارها .. قال ابن حجر : وأرجحها كلها انها في وتر من العشر الأخيرة ، وأنها تنتقل وأرجاها أوتار العشر ، وأرجى أوتار العشر عند الشافعية ليلة إحدى وعشرين ، وعند جمهور العلماء ليلة سبع وعشرين .

إخفاؤها .. لماذا ؟:

وفي إخفاء هذه الليلة وعدم تعيينها أسرار ولطف من الحكيم الخبير .. وقد ذكر ان الحكمة في ذلك : ان يجتهد من يطلبها في العبادة ، وان يتوفر في جميع الليالي على الطاعة وكثرة الأدعية ، وهو ما كان يفعله السلف الصالح .

وقال الفخر الرازي في تفسيره : « وأخفاها تعالى كما أخفى سائر الأشياء فانه أخفى رضاه في الطاعات حتى يرغب عباده في الكل ، وأخفى غضبه في المعاصي ليتحرزوا عن الكل ، وأخفى الاجابة في الدعاء ليبالغوا في كل الدعوات ، فكذا أخفى هذه الليلة ليعظموا جميع ليالي رمضان ، فان العبد إذا لم يتيقن أي ليلة هي ، فانه يجتهد في الطاعة في جميع ليالي رمضان على رجاء أنه ربما

كانت هذه الليلة هي ليلة القدر .

فضل الليلة ..:

وردت جملة أحاديث في فضل هذه الليلة : من ذلك ما رواه إمام المحدثين محمد بن اسماعيل البخاري ، فانه عقد بابا خاصا في فضل ليلة القدر ، وروى عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .. إلى غير ذلك من الاحاديث الدالة على فضل تلك الليلة ، لأنها وضعت حدا بين الضلالة والهداية ، وفيها ارسل النبي – صلى الله عليه وسلم – الى الناس كافة .

وقال الشعبي : المراد من نحو : (أنزلناه) و (أنزل فيه القرآن) الابتداء بانزاله خصوصا والقرآن كله والجملة منه وان قصرت كل ذلك يسمى قرآنا ، ويسمى كتابا . والمراد بانزاله : الابتداء بانزال شيء منه ، وهو المعنى من قوله : **(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن)** البقرة/ ١٨٥ . أي ابتدئ فيه بانزاله . وتنص هذه السورة على ان الانزال حصل ليلا لا نهارا ، وان هذه الليلة تسمى ليلة القدر ، ووصفت آية الدخان بالليلة المباركة ، وفيها يفرق كل أمر حكيم ، أي يفصل فيها كل حكم من أحكام الدين ، ثم توالى النزول بعد الليلة الأولى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فرق بين الحق والباطل ، وبين للناس مصالح حياتهم الدنيوية والأخروية .

وقال ابو بكر بن العربي : لو لم يكن من شرفها الا انزال القرآن فيها لكفى .. قال تعالى : **(إنا إنزلناه في ليلة القدر)** القدر /١ ، اي ليلة الشرف الرفيع ، والفضل الخطير ، وهي الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم .

وقال العلماء : يلقى الله فيها إلى الملائكة ما قضاه على خلقه في العام ثم ينزله في الأرض عند حدوث أسبابه ومناسباته ، وفيها تتنزل الملائكة إلى السموات والروح فيها إلى الارض يستغفرون للمؤمنين ، فمعنى (يفرق كل أمر حكيم) يفصل ويبين كل أمر مشتمل على الحكمة وموافق للصواب ، وينسخ فيها من أم الكتاب ما يكون في مدى أيام السنة من رزق وأجل وموت وحياة ، وسلم وحرب ، وفرح وحزن وسعادة وشقاوة ، وكل ما هو كائن من الأحداث التي دونت وقائعها في أم الكتاب ، فليلة القدر هي الليلة التي تقدر فيها الآجال والأرزاق والأقوات ، وتضبط فيها شؤون سائر الكائنات وتحدد صفاتها وأحوالها ، وليس المراد من تقدير هذه الأشياء في ليلة القدر بدء تقديرها وانشاء تحديد مواقيتها ، وضبط شؤونها واحوالها فان ذلك أزلي سبق به علم الله وارادته منذ القدم ، وانما معنى ذلك اظهار هذه الأمور للملائكة ، وإطلاعهم عليها ، وكشفها لهم ليضبطوها في صحفهم ،

ويقوم كل منهم بما وكل اليه من ذلك ..

وقيل ان الملائكة تكون في الأرض في تلك الليلة أكثر من عدد الحصى ، وان الله يقبل التوبة فيها من كل تائب ، وانه تفتح فيها أبواب السماء ، وأنها من غروب الشمس إلى طلوعها . وروى ان جبريل ينزل إلى الأرض ومعه كثير من الملائكة فيركزون ألويتهم في أربعة مواطن عند الكعبة ، وعند قبر الرسول ، وعند مسجد بيت المقدس ، وعند مسجد طور سيناء ، ثم يتفرقون : فلا يبقى دار ولا بيت ولا سفينة فيها مؤمن أو مؤمنة الا دخلته الملائكة ويسبحون ويقدسون ويهللون ويستغفرون لأمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال الله فيها : انها **(خير من ألف شهر)** قال العلماء معناه أن ثواب العمل فيها أفضل وأعظم من ثواب العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر .

قال الامام مالك في الموطأ : سمعت من أثق به من أهل العلم يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم – أرى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أن يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر ، فأعطاه الله ليلة القدر ، خيرا من ألف شهر .. انتهى ..

الاحتفال المشروع بليلة القدر :

وقد جرت عادة الناس على تحرى ليلة القدر والاحتفال بها في السابع والعشرين من رمضان وهذا امر حسن الا ان البعض يخرج عن الصورة المشروعة للاحتفال ويجرى وراء خيالات واسعة غير مقبولة ، شرعا .. فأحياء الليلة لا يكون إلا بالاجتهاد في الطاعة والاكثار من التهجد والتعبد والضراعة ومضاعفة الاحسان والبر وكثرة الصدقات وقراءة القرآن ، امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم : « من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » ..

ويقول الامام الشيخ محمد عبده : « هي ليلة عبادة وخشوع وتذكر لنعمة الحق والدين . وان مثل هذه المواسم انما ندب الدين اليها لتتخذ موسم ذكرى .. ذكرى لنعم الله وحساب النفس على مبلغ ما أدت من الشكر على هذه النعم ، ومقدار قربها أو بعدها عن هذا الدين ، فهي بمثابة احياء للقلوب ، وانكاء للاخلاص ، وحث على التوبة ، ورجوع إلى الله في التمسك بدينه والتأدب بأوامره ، والكف عن نواهيه ، حتى تزداد عليهم نعمه ، وتتوارد عليهم آلاؤه ، وينعموا برضاه ويفوزوا بمحبته : **(وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد)** ابراهيم/٧ .

وقالت عائشة رضي الله عنها : يارسول الله ، اني علمت ليلة القدر بماذا أدعو فيها ؟ فقال قولي « اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني » رواه الترمذي واحمد .

المسلمون

في بداية القرن
الخامس عشر
الهجري

قوة الاسلام : وقوة المسلمين

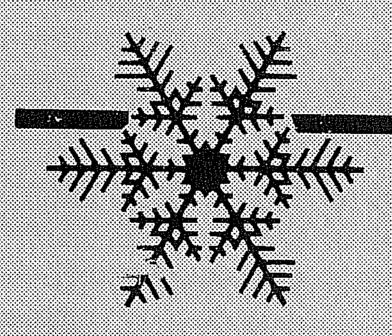
يأتي القرن الخامس عشر الهجري ، وعالمنا الاسلامي والعربي يموج بتيارات من القلاقل والفتن والاضطرابات ، وبلغت الخطورة في محنته الى درجة أثخنته الأحداث الدامية بالجراح ، من كثرة السهام الموجهة تارة الى عروبته وتارة موجهة الى اسلامه من أعدائه أحيانا ومن أبنائه المفتونين والمخدوعين أحيانا أخرى ، بصورة تبعث الأسى في نفس كل مسلم غيور على الاسلام ، وتهز كل عربي مشفق على العروبة ، وتمزق قلب كل انسان ينتمي الى دين الحنيفية السمحاء .

والمحن التي يتعرض لها عالمنا الاسلامي والعربي . كانت ستهون ، وتقل خطورتها ، لو أنها تتصل بفرد ، أو جماعة من الجماعات ، ولكن الخطورة كل الخطورة ـ هنا ، أنها تتصل بكيان الاسلام ، وتتعلق بمستقبل هذا الدين الذي بشر به محمد صلوات الله وسلامه عليه ، والذي جاهد هو وأصحابه الكرام من أجل إرساء قواعده ، وتثبيت أركانه والذي ارتضاه الله لعباده ، ليكون دينا عاما ، وأبديا ، للبشر .

ومن الحقائق المسلم بها ، أن الاسلام لا يقوم وحده ، بل لا بد من قوى تتمثل في المسلمين ، فالمسلمون اذا اتحدوا ، وتماسكوا وتمسكوا بالاسلام ، استطاعوا بقوتهم التي أعطاها لهم الاسلام ، أن يؤلفوا قوة مرهوبة الجانب شامخة البنيان ، قوية الأصداء .

اذن فهناك قوتان قوة الاسلام التي لا بد من قيامها بتكتل المجتمع الاسلامي وقوة المسلمين الذين يستمدون عناصر قوتهم من الاسلام .

ومن هنا فان أعداء الاسلام يركــــزون اهتمامهم على هذين الجناحين ، انهم يركزون اهتمامهم على امرين ، الاول : القضاء على المسلمين ، وتدمير تكتلهم ، الثاني : اذا تحقق لهم ذلك أمكنهم صرف المسلمين عن دينهم القويم ، لأنهم



وقضاياهم

للاستاذ/
سعد صادق محمد

يعلمون أن قوة المسلمين في دينهم، فهم اذا تمسكوا بدينهم، وعضوا عليه بالنواجذ، وضعوا أقدامهم على طريق الخير والقوة والفلاح، كما فعل سلفهم الصالح، وكانوا سادة العالم في عصورهم الذهبية الماضية، وشهد الله لهم بأنهم: (**خير أمة أخرجت للناس**) آل عمران/١١٠

الارساليات التبشيرية :

والمتآمرون على الاسلام، لكـي يتحقق لهم ما يريدون، استخدموا في نطاق أنشطتهم المعادية ـ الارساليات التبشيرية، والمدارس.

فمنذ أكثر من نصف قرن من الزمن، بعث أعداء الاسلام، الارساليات التبشيرية « الى انحاء **العـالم** الاسلامي في آسيا وأفريقيا » للتبشير هناك، وخاصة في المناطق الفقيرة لمحاولة استغلال حاجة الفقراء المسلمين، لاغرائهم، وتحويل أفكارهم، ومعتقداتهم.

ومن خلال هذه المدارس، قامت الارساليات التبشيرية بنشاطات كبيرة لتحقيق أغراضهم المعادية للاسلام. فهي تقوم بنشر التعليم الأجنبي في أوساط أبناء المسلمين، في مدارسها وجامعاتها، لقتل اللغة العربية في نفس المسلم وهي لغة القرآن والعروبة ـ كما يحدث الآن في أندونسيا والهند والشام.

ومن خلال هذه المـدارس أيضا يقوم المبشرون بهدم مفهوم العقيدة في المسلمين، واخراج المسلم من دينه، ليس بتحويله الى دين آخر، ولكن بتشكيكـه في دينه، وفي معتقدات اسلامه، وبذلك يسهل عليه اعتناق المـــذاهب الهدامة مثل الالحاد والماركسية.

وأعداء الاسلام لم يكتفوا بتغيير مفاهيم وفكر الشباب المسلم، بل امتدت أيديهم اليه، فصدروا له كل مايقضي على روحه الشرقية، وسماته الاسلامية، فدفعوه الى تقليد شباب الغرب في التخنث، فأطال شعره وسوالفه، ولبس الضيق والمشجر من الثياب، وقلد شباب الغرب المتحلل « الخنافس » في انحرافه وحاكاه في

حياة اللهو والميوعة ، فأخرجوه بذلك عن تقاليده وعاداته الطيبة ، وقضوا على شخصيته الاسلامية ، وأماتوا فيه روح الرجولة وخشونتها وجديتها .

كذلك امتدت أيديهم الى البنت المسلمة ، فدفعوها هي الأخرى الى سلوك طريق سيىء منحرف ، فقلدت الرجال واختلطت بهم في الكليات ، وفي أماكن التجمعات الأخرى .

كما عملوا على إحياء العصبيات ، وتشجيع الأقليات والقوميات ، كما نرى في لبنان ، وايران ، والعراق ، ومصر وشمال افريقيا ، وغيرها من البلاد ، لقتل تكتل العرب والمسلمين ، واماتته ، أو على الأقل .. اضعاف وحدتهم ، لكي لا تقوم لهم قائمة قوية .

اسرائيل .. والعالم الاسلامي :

واسرائيل التي أوجدها المتآمرون ضد العروبة ، مازالت تحتل أرض الاسلام والنبوات منذ وعد بلفور المشئوم ، والذي كان في نوفمبر عام ١٩١٧ .. لقد اقتطع المتآمرون على الاسلام هذا الجزء العزيز من أرض العرب وأعطوه لليهود ليقيموا عليه دولتهم ، وقد زعم اليهود أن فلسطين هي « أرض الميعاد » فقاموا بطرد سكان فلسطين من أرضهم . طردوا بعض النساء والأطفال والشيوخ وقتلوا البعض الآخر ، كما قتلوا شباب فلسطين ورجالها في المذابح المشهودة والتي سجلها التاريخ في صفحاته ، كذلك اعتدى اليهود على المسجد الأقصى ، وأحرقوا منبره ومحرابه في ٨ جمادي الآخرة ١٣٨٩ هـ ــ ٢١ أغسطس ١٩٦٩ .

وفي سلسلة اعتداءاتهم امتدت أطماعهم الى القدس العربية « تاريخا ، وأرضا ، وسكانا » وادعت انها أرض آبائهم ، وقررت جعلها عاصمة لاسرائيل ، وامعانا في العدوان والكيد والصلف ، راوغت المفاوض المصري في عدم اعادة الأرض لاهلها ، وجعل الحكم الذاتي قاصرا على الاشخاص فقط ، دون الأرض مما يكشف عن أخلاقياتها ، لتدلل اسرائيل بذلك على أن اسرائيل التي كانت في عهد نبي الله موسى عليه السلام . هي نفس اسرائيل التي اغتصبت فلسطين عام ١٩٤٨ . وهي نفس اسرائيل التي وقعت اتفاقية كامب ديفيد مع مصر . وهي نفس اسرائيل الى أن تقوم الساعة ، فهم لا عهد لهم ولا أمان .

وعلى جبهة أخرى غير فلسطين والقدس ، ترى اعتداءات اسرائيل المتكررة على جنوب لبنان للقضاء على المقاومة الفلسطينية المكافحة لاسترداد أرضها ، وكيانها ، وتاريخها ، ويحدث هذا رغم صيحات واستنكار العالم ضد اسرائيل وغير ذلك من الفتن والقلاقل التي تحدثها الحركات اليهودية العالمية ضد الاسلام والعرب .

قضايا المسلمين في افريقيا . وآسيا :

وهناك دول في افريقيا وآسيا لها قضايا مريرة تعيش فيها . وهي قضايا تتصل بحق الحياة ،

والحرية ، والعقيدة ، والدين .

فدولة تشاد الافريقية يبلغ سكانها ٤ ملايين نسمة يشكل المسلمون من هذا العدد ٩٠٪ ، والعشرة الباقية من عناصر صليبية ، ووثنية ، ومنهم الحاكم ، ويجاهد شعب تشاد لينال حقوقه السياسية والاجتماعية والدينية ، ولكنه يجد قهرا من السلطة الحاكمة ، تؤازرها فرنسا ، ويحتاج الى عون من اخوانه في الاسلام .

وأرتيريا المسلمة في محنة . فهي تكافح ضد أثيوبيا الصليبية ، ومازال السفاح منجستو يعلن الحرب ضد هذا الشعب المسلم ، ويرغمه على الاستسلام ، ويتلقى المساعدات من روسيا وكوبا للقضاء على مقاومة شعب ارتيريا ، في الوقت الذي لا يتلقى فيه هذا الشعب المناضل الا المساعدات اليسيرة جدا من بعض الهيئات والحكومات الاسلامية .

والى عهد قريب كانت حرب الجزائر مع المغرب ، بسبب أراضي الصحراء المغربية التي انسحبت منها موريتانيا .

ودولة بورما تضم بين سكانها أقلية اسلامية ، وتعاني هذه الأقلية ألوانا من العسف والاضطهاد من حكومة بورما البوذية ، وكثيرا من الارهاب والحصار ، كما تسخر حكومة بورما ، المبشرين المسيحيين لتغيير عقائد المسلمين هناك ، ويحدث هذا من حكومة بورما الطاغية دون أن تجد من يردعها عما تقترفه يدها من جرائم ضد الشعب المسلم البريء ، وحتى بعض صحفنا الاسلامية ، لم تتحرك لتكتب عن هذا الشعب المناضل .

والأقليات المسلمة في الفليبين حيث يعيش هناك أكثر من ٨ ملايين مسلم في الجنوب ، يتعرضون لحرب الابادة ، وهم رغم عمليات القهر والبطش والقتل والتعذيب صامدون صابرون ، لا يتحولون عن عقيدتهم ، ويجاهدون ضد قوات الحكومة بالسلاح ، وباصدار النشرات عن ثورتهم ، وعن كفاحهم ، وهم يتطلعون الى مساعدة اخوانهم في الاسلام والعروبة لمواجهة الارهاب والبطش ، وكذلك الأقليات المسلمة في تايلاند ، وكامبوديا ، والصين ، وبلغاريا يعانون نفس المعاملة القاسية في بلادهم من تعنت وارهاق الحكومات الصليبية لهم .

الشيوعية تغزو أرض المسلمين :

وهناك دول اسلامية تدور في فلك الشيوعية وسلمت مقاليد أمورها الى هذا المذهب وقد صار حكامها عملاء للشيوعية كما تحدث فيها صراعات داخلية على السلطة لحساب الشيوعية ، بدليل أن روسيا تسرع الى الاعتراف بها .

ثم رأينا كيف سقطت أخيرا أفغانستان المسلمة في يد الشيوعية بواسطة عملائها ، ويناضل الشعب الأفغاني اليوم ، من أجل حريته ، واستقلاله ، واسلامه

خلافات عربية مدمرة :

ان المسلم ليحزن حقا حين يرى بعض الدول العربية ما تزال في بداية القرن الخامس عشر الهجري في

خلافات كبيرة وعميقة ، وفي صراعات مع بعضها البعض من أجل المشكلات القائمة بينها ، بشكل يهدد بنيتها جميعا ، وبشكل يؤلم الفكر ، ويهز المشاعر حزنا وأسفا .

والغريب في الأمر أن صحف الغرب تتعمد إثارة الخلاف بين هذه الدول ، حتى يتسع هذا الخلاف ، وتبعد فرص الالتقاء أو التفاهم المرجو بينها .

ولم تكتف هذه الصحف الغربية بتوسيع الخلاف بين الدول الشقيقة ، فحسب ، بل انها تفزع حين تسعى بعض الدول الاسلامية ، لتقريب وجهات النظر بين الدول الشقيقة المتنازعة ، وحين تحدث صحوة اسلامية عند شباب العالم الاسلامي وحين تنشط الصحف والمجلات الاسلامية ، وتهتم الصحف بصفة عامة ، بقضايا الاسلام ، والمسلمين ، وابراز النشاط الديني في العالم الاسلامي .

وكذلك يفزع المتآمرون على الاسلام ، وصحفهم بسبب المؤتمرات الاسلامية التي تعقد على المستويين الحكومي والشعبي لبحث القضايا المختلفة ، والسعي لايجاد التضامن والتعاون بين الدول الاسلامية . وانهاء الخلافات والمنازعات التي تعوق التضامن والتعارف بين هذه الدول . والعمل على تطهير المجتمع من عملاء الشيوعية والالحاد . وتخليصه من عوامل الانحلال والفساد التي تأتيه من نشر واذاعة الافلام الجنسية ، والصحف والمجلات المنحرفة ، وأساليب الترفيه الرخيصة ، وكان من هذه المؤتمرات . ذلك الذي عقد في أندونسيا ، وكان له مظاهر اهتمام شديد ، بفضل وسائل الاعلام ، واتخذت فيه قرارات وتوصيات لو نفذت ، لكان لها دوي شديد لصالح الاسلام والمسلمين ، ولأصبحت وسائل الاعلام من أقوى الأسلحة لحماية الدين الاسلامي من أخطار ومؤامرات خصومه وأعدائه .

وكان آخرها **المؤتمر العالمي الأول للاعلام** الذي عقد في « جاكرتا » في سبتمبر عام ١٩٨٠ ، واتخذ المؤتمر قرارات وتوصيات هامة تتعلق بمستقبل الاعلام الاسلامي ، وزيادة أنشطته ، ودوره في ابراز القيم الاسلامية ، ومبادئه الخلقية ، وتوضيح محاسن الاسلام ، ومجاهدة الاستعمار والالحاد والعدوان والحركات الهدامة الفاشية ، والتحديات الفكرية ، وغير ذلك مما يزيد من فعالية الاعلام الاسلامي في خدمة القضايا الاسلامية .

وكل مسلم غيور على الاسلام يود من أعماقه أن توضع هذه القرارات والتوصيات موضع التنفيذ ، وهذا لن يتحقق الا بتعاون الحكومات الاسلامية المشتركة في المؤتمر مع المنظمات الاسلامية الشعبية حتى تؤتي هذه المؤتمرات ثمارها المرجوة ، وتحقق ما اجتمعت من أجله .

واجب قادة المسلمين .. وزعمائهم

ان الاسلام يمر بمحنة . **ومحنته**

كامنة في أن قادة المسلمين لم يقوموا بما طلبه منهم ربهم من القيام بواجب التعبئة الروحية والمـــادية للمجتمع الاسلامي الكبير ، ولديهم وسائل التعبئة المادية والمعنوية ـ ليواجهوا مواكب العداء والحروب التي تنظمها الصليبية في عصورنا هذه ـ بما لديها من امكانيات مادية ـ فلا شك أن هذه المواكب والحروب . هي امتداد شرس وجاحد للحروب الصليبية التي بدأت في الأندلس ، وبيت المقدس والشام ، وفي غيرها من البلاد الاسلامية التي ازدهرت أيام الاسلام الاولى ، والتي شهدت مجدا ونهضة ، وعزا ، وقوة وشموخا . نقول : هي امتداد للحروب الصليبية يراد بها القضاء على قوة المسلمين الكامنة في الاسلام .

قرون شهدت جهاد النبي والصحابة :

ونحن اذا قلبنا صفحات التاريخ الاسلامي فسنجد أن القرون الماضية شهدت رجالا تعرضوا لمحن من مثل ما نتعرض له هذه الأيام ، ولكنهم لم يسكتوا عليها . فقد كان الرجل منهم « أمة » وكان الرجل منهم : أفضل من ألف رجل في عصور أخرى . غير عصورهم وقرونهم .

وطبيعي أننا لن نتكلم عن القرن الأول الذي شهد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد هجرته من مكة الى المدينة ، ولا عن جهوده المباركة في تحطيم الأصنام التي عبدتها الجاهلية في شتى صورها ورموزها ، وطهر المجتمع من صور الفساد والشرك والباطل ، وقضى على كيد المنافقين الذين عملوا ضد الاسلام والمسلمين سرا وعلانية . وعلى اليهود الذين تآمروا على الاسلام وكادوا له ولأهله ، ثم انتصر على هؤلاء جميعا ، وأنشأ نموذجا لدولة اسلامية عظيمة .

ولن نتحدث كذلك عن الخلفاء الراشدين « رضي الله عنهم » ولا عن عصورهم حين اهتزت على أيديهم الامبراطوريتان الـــقويتان والكبيرتان ، صاحبتا الحضارة اليونانية والفارسية ، وسقطتا من عرشيهما خلال خمس سنوات ، وكان هذا حدثا فريدا في التاريخ ، لم يحدث له مثيل ، لا قديما ولا حديثا وأنشأوا أمبراطورية اسلامية فريدة في نوعها ، حديثة في شكلها ، عظيمة في مضمونها ، وهم ضعفاء لا يملكون بعد حضارة تقف على صف واحد مع الحضارات اليونانية والفارسية ، ولا يملكون قوة مادية تضارع القوتين الكبيرتين ، نقول : لن نتكلم عن الدولة الاسلامية ، ولا عن امبراطوريتها الاسلامية ، فذلك معروف وثابت في التاريخ لكل ذي عين ولب ، وليس هذا مجاله ، ولكننا سنتناول جهود المسلمين في عصور تالية .

إن كل واحد من هؤلاء الذين سنتناولهم كان في محنة ، فلم يسكت ولم يرض بالضيم ، والضعف والهوان ، فناضل العدو ، وكافحه ، وأثبت أنه وحده « امة » وأنه « بطل » وانه قادر على مواجهة

المحنة ، كذلك جاهر برأيه وعقيدته ، ولم يخش أحدا مهما أحاطت به الخطوب ، وحاصرته الشدائد ، وكان كل واحد منهم قدوة لغيره ، وكان يلقي بنفسه في المعركة ، مرددا قول الشاعر الذي قال قولته العظيمة ، وهو يقاتل العدو :

ولست أبالي حين أقتل مسلما
على أي جنب كان في الله مصرعي

صلاح الدين الأوبي :

تولى هذا القائد العظيم مقاليد الحكم بعد وفاة نورالدين محمود صاحب دمشق وعندما نجح صلاح الدين في ضم مصر اليه ، دب الفزع في قلوب الصليبية ، لأنهم أيقنوا أنه بصيرورة الأمر الى صلاح الدين ، سينزع منهم بيت المقدس .

واتجه صلاح الدين الى الحروب الصليبية ، واتخذ سياسة ضدهم ، لأنهم كانوا يتآمرون ضد المسلمين ، ويريدون شرا بهم . فكانت « موقعة حطين » ، فاقام حصارا محكما للصليبين عند سهل حطين ، ومنع عنهم الماء حتى اشتد به العطش ، ثم هجم على قواتهم المنهوكة القوى ، فأنزل بهم هزيمة ساحقة ، خيبت آمالهم ، وبددت شملهم ، ومزقتهم شر ممزق ، وفر قوادهم وقبض على البعض الآخر ، وسيقوا إلى صلاح الدين أذلاء مجروحين .

والواقع أن موقعة حطين ، كانت أعظم من كونها مجرد نصر حربي بالنسبة الى المسلمين ، اذ كانت في حقيقة أمرها ، بشيرا بنجاح المسلمين في القضاء على أكبر حركة استعمارية قام بها أعداء الاسلام ، وشهدها العالم في العصور الوسطى ، أما بالنسبة للصليبين ، فقد كانت حطين أكبر من كونها كارثة حربية ، لأنها لم ينتج عنا أسر « حابي لوزجتان » ملك بيت المقدس ، وضياع هيبته كملك فحسب ، بل نتج عنها ضياع « زهرة فرسان الصليبيين » وغالبية جيش مملكة بيت المقدس بين قتلى وجرحى وأسرى في يوم حطين العظيم .

ثم استولى صلاح الدين بعد ذلك على كثير من مدنهم وحصونهم في الشام مثل : عكـا ، والناصرية ، وحيفا . وغيرها من المدن الساحلية ، ثم تابع بعد ذلك أعماله البطولية في الشام ، بالاستيلاء على « بيت المقدس » ، ثم كان « صلح الرملة » الذي طلب فيه الصليبيون من البطل صلاح الدين الكف عن الحرب .

وهكـذا نرى هذا البطل المغوار « صلاح الدين » قد خلد اسمه في التاريخ بهذا الانتصار الرائع على الصليبية الماكرة .

وهنا نرى ثلاثة أبطال آخرين من حقهم علينا أن نذكـرهم في مقام الفخر ، حيث كان لهم دور كبير في المعركة الصليبية .

❋ الشخصية الأولى :

ركن الدين بيبرس الذي استطاع أن ينقذ المنصورة بعد أن اقتحمها الصليبيون ، تمهيداً لاحتلال القاهرة ، كما استطاع ان ينقذ الجيش العربي من هزيمة محققة ، وكان من أثر هزيمة الصليبيين في تلك

الموقعة ، أن سيق لويس التاسع عشر الى سجن المنصورة ، ليدفع الجزية ذليلا مقهورا أمام أيدي المسلمين الأبطال ، ويعلق المؤرخون على هذه الموقعة التي تألق فيها ركن الدين بيبرس بأنها : كانت من أهم الأحداث في تاريخ الحملات الصليبية في تاريخ مصر ، التي وجدت في تلك اللحظات الحرجة ، وقد برز فيها أبطال استعذبوا المـــوت في سبيل الدفاع عن بلادهم ، واستطاعوا أن يشعلوا نار الوطنية ، ويهيجوا الحماسة ضد قوى الصليبية التي هددت البلاد .

واشترك بيبرس كذلك في معركة عين جالوت ، وكان له شرف الانتصار على التتار في موقعة « عين جالوت » الخالدة .

※ اما الشخصية الثانية :

فهو السلطان سيف الدين قطز ، قائد معركة « عين جالوت » .. خرج قطز بجيشه لملاقاة المغول « التتار » بعد أن اعملوا تخريبا في بغداد وقتلوا رجالها وعلماءها وحفظة القرآن فيها . خرج لمـــلاقاة التتار ، عند « عين جالوت » ، بين بيسان ونابلس بفلسطين . وكـــان يحث الناس لاستنقاذ الشام من التتر ، ونصرة الاسلام والمسلمين ، ويصيح في وسط المعركـــة تشجيعا للجند « وإسلاماه » ، وقد أظهر الجيش المصري شجاعة فائقة بقيادة قطز ، وبيبرس ، حيث أوقع الهزيمة بجيش التتار الذي اندحر وولى الأدبار ، وقد كانت موقعة « عين جالوت » فاصلة في التاريخ ، فقد جاء انتصار البطل قطز على المغول حدثا هاما وعظيما بعد أن عجزت الدولة الخوارزمية ، والدولة العباسية عن مقاومتهم ومدافعتهم . وبعد أن انهارت القوى المسيحية أمام الزحف المغولي على أجزاء من روسيا وبولندا والمجر .

ومما جعل هذه الموقعة من المواقع الهامة الحاسمة في التاريخ ، ان خطر المغول ، لم يكن على الشرق فحسب ، وانما كان خطرا على اوروبا نفسها ، فلو تقدم المغول في اوروبا ، واستقروا فيها ، لكـــان تأثيرهم سيئا جدا عليهم ، ومن هنا نقول : إن الغرب مدان للعرب ـ ضمن أفضالهم عليه ـ بهذا العمل العظيم .

※ اما الشخصية الثالثة :

فهو نور الدين محمود بن زنكي رئيس الدولة النورية ، وهو أول مسلم في تلك الفترة كان همه مواجهة الصليبيين ، اذ نذر نفسه لحربهم ، وجندها لقتالهم ، وكلمته هذه تعطينا مؤشرا لاتجاهاته ، يسأله سائل عن سر حزنه الدائم ، بينما الناس يبدون حوله بأحوال مختلفة ؟ فيجيب « كيف أضحك ، وبيت المقدس تحت سلطان الصليبيين ؟»

ونور الدين هو الذي استولى على مصر ، وهو أهم شخصية عرفت في تلك الفترة ، تمتلىء غيرة ، واسلاما ، وحماسة في عصر الحروب الصليبية .

الامام ابن تيمية :

ويتحدث التاريخ عن هذا الامام

حديث إعجاب وإكبار ، فقد وجد هذا الرجل في عصر اسود متلاطم بأمواج من الضعف والفساد ، والانحراف في النواحي السياسية ، والاجتماعية ، والفكرية .. اذ زخر المجتمع بأجناس مختلفة طارئة عليه ، متنافرة ، يعمل كل جنس وفق تقاليده وموروثاته ، وكـان منهم السلاجقة من الاتراك الذين حكموا البلاد ، وتحكموا في أمورها ، دون الخليفة وكذلك ضعف الخلفاء بسبب نزواتهم وكـان من نتائج ضعف الخلفاء ، أن انفرد بعض الحكـام بأمور أقاليمهم مستقلين عن الخليفة ، كذلك كثر أدعياء العلم ، ومحترفو التحزب السياسي ، ومروجو الخرافة ، وناشرو البدع ، حتى حلت البدعة محل السنة وتوهم الناس ان البدعة هي الدين الصحيح ، وانتشر التعصب المذهبي وجمدت الأفكار على التقليد ، ودب الفساد في كل جانب من جوانب الحياة .

وكـان من نتائج الضعف والتمزق ، أن تعرضت البلاد لخطرين عظيمين هما خطر ظهور التتار ، وزحفهم الى الشام ومصر وخطر زحف الفرنج الى هذين الاقليمين ـ أما ظهور الافرنج « الصليبيين » فسبق أن تحدثنا عنه ، وعن دور صلاح الدين ، والظاهر بيبرس ، وقطز ونور الدين محمود في المعركـة مع الصليبيين .

أما التتار فقد عاصر ابن تيمية ظهورهم ، وكما سبق أن ذكرنا أن التتار أنزلوا بالديار الاسلامية : الدمار والخراب ، وكما يقول المؤرخون : ان الاسلام والمسلمين بلوا في تلك الأيام بمصائب لم يبتل بها أحد من الأمم ، ومنها : ظهور التتار ، قبحهم الله ، أقبلوا على المشرق ، ففعلوا الافعال التي يستعظمها كل من سمع عنها . ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة الى ان ينقرض العالم ، وتفنى الدنيا .

وابن تيمية ، له دور هام وكبير في المعركة مع المغول ، فقد أظهر هذا الامام شجاعة نادرة في مجابهة التتار . اذ عندما زحفوا بجحافلهم على الشام دب الذعر في نفوس الأهالي وراحوا يبحثون عن مهرب من شر المغول ، لكن ابن تيمية لم تضعف له قناة ، ولم يهن له عزم ، بل نهض للقيام بعبء الدفاع عن حاضرة الاسلام ، فكـان يخطب في الجماهير ، يوصيهم بالصبر والثبات ، ويحضهم على القتال والجهاد والانفاق ، ويحثهم على التصدي للعدو ، للحفاظ على كيان الأمة ومقدساتها ، وكان يرسل رجالا من أتباعه للقيام بحراسة مداخل المـدينة للحيلولة دون فرار ضعفاء الايمان والجبناء خوفا من بطش التتار ، ويخرج ابن تيمية مع بعض المشايخ والأعيان لمقابلة ملك التتار ، فيقابله ابن تيمية بنفسه ، ويتحدث اليه ، ويغلظ له القول ، حتى ظن من معه من العلماء أنه سيقتل .. وكانت شجاعة ابن تيمية تشبه « شجاعة أكابر الأبطال »

وعندما عاود المغول العدوان على الشام عام ٧٠٠ هـ خرج اليهم ابن تيمية وتقدم المقاتلين ، يقاتل معهم في الميدان ، ويخطب في المجاهدين ، ويحثهم على القتال ، يبشرهم بالنصر ، وانتهت المعركة بنصر الله .. فكان ابن تيمية بحق « امام السيف والقلم واللسان » .

جمال الدين الأفغاني :

وعرف هذا الشيخ بأنه داعية الوحدة الوطنية ، كان هذا العالم الجليل يدعو الى انهاض الدول الاسلامية والعربية من ضعفها وانقسامها ، لتعود ـ كما كانت فجر الاسلام ـ ذات قوة ، وسيادة ، وحضارة ، وكانت دعوته الى الوحدة الوطنية هي شغله الشاغل ، وأبرز أعماله . فكان الافغاني يرى الاستعمار ينقض على بلاد الشرق كله ، ويشعل فيها الفتن والقلاقل ، كما كان يرى الحكام والامراء في بلده وفيما احتل من بلاد الشرق يستبدون ، ويتخاذلون ، ويتنافسون على إرضاء المستعمر ، وكان يرى الجهل متفشيا ، والأمية منتشرة ، والعقائد والتقليد الأعمى مستحوذا على العلماء وعامة الناس ، وباب الاجتهاد مغلق في وجوه المفكرين ، كان الافغاني ينتقل من بلد اسلامي الى آخر ، فيرى سوء أحوالها الداخلية والخارجية فيثير حمية المسلمين ، ويوقظ في نفوس العلماء والهيئات الدينية الثورة ضد الاستعمار وضد الاستبداد السياسي ، والجمود العقائدي والفكري كما كان يبث في المسلمين روح الفضيلة والاباء ويذكرهم بأمجاد الآباء ، وحديث التاريخ عن الأجداد ضد الباطل والفساد ، وكان الرجل ثورة في كل مكان . فقد أيقظ روح الثورة في الشرق على الاستبداد والحكام والمستعمر .

وكان له مقصدان في حياته ، **الأول :** تنبيه المسلمين الى الاصلاح الديني والعلمي بالكتابة والخطابة ، **والثاني :** سياسي واجتماعي ، وهو ترقية الدول الاسلامية بالمدنية والقوة ، حتى تصل الى مستوى أحسن من البلاد الغربية .

ومن جهاده أنه كون جمعية سرية ، هي العروة الوثقى ، وكانت تدعو الى تضامن الدول الاسلامية ، والنهوض بمستواها الفكري والاقتصادي ، ومحاربة المستعمر ، وتحرير الأرض منه ، كما كان من وسائله وجهوده انشاء جريدة العروة الوثقى التي أصدرها لتعبر عن فلسفته ، ودعوته في الحياة والاصلاح والخير وتقدم المسلمين .

الامام محمد عبده :

كان الامام محمد عبده من أولئك المجاهدين الذين كتب التاريخ لدعوتهم الخلود فقد جاهد في سبيل الله ، وفي سبيل اعزاز الدين ونصرته ، وفي سبيل النهوض بالمسلمين واصلاحهم دينيا ، فكانت دعوته مقدمة لموجة ثورة جديدة ، ما لبث أن تفجرت عام ١٩١٩ بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وبعد خيبة أمل الوعود البراقة التي قطعها

الحلفاء على أنفسهم خلال الحرب ، وفي مقدمتها : وعود ويلسون التي ما لبث هو نفسه أن تنكر لها ، واعترف بالحماية البريطانية على مصر .

جاهد الامام محمد عبده لنشر الدعوة الاسلامية الصحيحة ، وعمل لتطهيرها مما طرأ عليها من البدع والخرافات جهادا عنيفا ، وتحمل كثيرا من العنت والاضطهاد والارهاق . كان يؤلمه ما وصل اليه حال المسلمين من ضعف وهوان وتخلف ، ويؤلمه أيضا ما وصلت اليه حضارة الغرب ، ويقارن بينهما ، فيزداد ألما وحسرة ، ودفعه هذا التألم الى البحث عن أسباب ضعف المسلمين الطارىء ، وخلص من ذلك البحث الى أن العلة في الضعف الذي أصاب المسلمين هي : بعدهم عن دينهم الحق ، وأعراضهم عن اسلامهم الصحيح ، وأخذهم بكثير من العادات والتقاليد الناشئة التي ينكرها الدين ، والتي لا تمت اليه بصلة ، ولا تنتمي اليه بنسب ، وعلى ضوء ما تراءى له ، وخرج به من نتائج ، سعى الامام حثيثا لنشر دعوة الاسلام الصحيحة ، اذ رأى أن خير علاج لمشكلات المسلمين هورجوعهم الى دينهم الصحيح وان خير دواء لاوضاعهم السيئة هو : توبتهم الى الله ، ومن هنا حدد العلاج في الاتي :

اولا : تحرير الفكر من قيد التقليد حتى لا يخضع العقل لسلطان غير سلطان البرهان ، ولا يتجر فيه زعماء الدنيا ، ولا زعماء الأديان .

ثانيا : اعتبار الدين صديقا للعلم ، ولا موضع لتضادهما ، اذ لكل منهما وظيفة يؤديها ، وهما حاجتان من حاجات الفكر ، لا تغني احداهما عن الأخرى .

ثالثا : فهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلف ، والرجوع في كسب معارفه الى ينابيعها الأولى « القرآن ، والسنة ، وطريق السلف الصالح » .

رجاء .. وأمل :

لا نريد ان نقول : ان القرن الخامس عشر الهجري ، وما قبله من القرون ، قد خلا من شخصيات مسلمة ، ومن روح اسلامية نشطة ، تعيد لنا صورة الحمية الاسلامية ، والغيرة على دينه ، والحماس له . لا نقول ذلك ، فعالمنا الاسلامي توجد به عناصر لزعامات ، وقيادات مؤمنة باسلامها ، مخلصة لدينها ، متحمسة لعروبتها ، ولكنها في حاجة الى عون ومساندة لتقوم بعمل لمصلحة الاسلام وخير المسلمين .

اننا نطلع ــ في مستهل القرن الخامس عشر الهجري ــ بقلوب كلها رجاء ، ونفوس ملؤها الأمل ، الى كل عالم ، ورئيس ، وقائد في عالمنا الاسلامي أن يتحرك .

نريد من علماء الاسلام أن يكون لهم دور باعتبارهم القدوة والأمل في تحقيق الحكم بشريعة الله ، لأنهم من أعلم الناس بهذه الشريعة ، وقد مر بنا الحديث عن علماء امثال ابن تيمية ، والافغاني ، ومحمد عبده ، وعرفنا كيف جاهدوا ، ووقفوا في مواجهة الارهاب والحاكم المستبد والمستعمر ، وكيف قاموا بواجبهم في

بيان الحق ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

نريد من قادة المسلمين وحكامهم بما لديهم من امكانيات هائلة — أن يعملوا لحماية الحركات الاسلامية ، ومساندة المنظمات والهيئات الاسلامية التي نريد ان تنشط من حين لآخر ، وتصدر قرارات وتوصيات لمصلحة المسلمين ، ولخير الاسلام ، لأن هذه المنظمات لا بد من تدعيمها ماديا وأدبيا من الحكومات الاسلامية .

نريد من الهيئات والمنظمات الاسلامية أن تزيد من أنشطتها ، وتطالب الحكـــومات الاسلامية لتدعيمها ، وألا تتراخى أو تتباطأ في توصياتها وقراراتها .

نريد ألا تكـــون هذه القرارات والتوصيات حبرا على ورق ، والا تضيع في ادراج المكاتب ، بل يجب ان تتحرك هذه القرارات والتوصيات ، لتشعر الشعوب الاسلامية بوجود كيان اسلامي متحرك ، يحمي الاسلام ، ويصون معتقداته .

نريد تسوية الخلافات القائمة بين الشعوب الاسلامية والعربية ، ووضع خطط للتعاون الاسلامي في مختلف المجالات . في مجال الاعلام ، والثقافة والاقتصاد ، والسياسة الخارجية ، لأنه بدون تسوية الخلافات يكون اللقاء الاخوي بين الاشقاء مستحيلا ، ويكـــون وجود التعاون في هذه المجالات اكثر استحالة لأن أعداء الاسلام ، والمتآمرين على المسلمين ، يعملون دوما على تعقيد المشكلات القائمة بين الدول الشقيقة ، وتنشيط الصراعات المـــوجودة بينهم ، وهذا يعمل بالضرورة — على استحالة حل المشكلات ، ويقلل من فرص اللقاء .

نريد التركيز على التعاون مع البلاد التي يتهددها الغزو التبشيري ، وخاصة في دول افريقيا المسلمة .

نريد الاهتمام بالحركـــات الاسلامية في الفليبين ، وبورما وتايلاند وارتيريا ، وافغانستان ، ومساندة هذه الثورات بالمـــال والسلاح ، لتنتصر على قوى الصليبية وينتصر الاسلام .

نريد وقفة عربية جريئة وموحدة أمام اعتداءات اسرائيل واطماعها المتزايدة يوما بعد يوم في فلسطين والقدس وفي غيرها من الدول العربية ، لاسترداد حق شعب فلسطين المغتصب ، ولوقف اطماعها ، حيث لا يفيد معها اتفاقيات أو معاهدات .

نريد احياء مشروع الجهاد ، تتكون حصيلته من قروش تجمع من الأفراد ، والحكـــومات والهيئات لمساندة الأقليات في الفليبين وبورما وتايلاند وارتيريا وافغانستان ، ومدها بالمال والسلاح .

نريد قيادة رشيدة ، لا تهتم بالشعارات المستوردة ، والزعامات المتهالكـــة المتهافتة ، لتنقذ العالم الاسلامي من محنته في مستهل القرن الخامس عشر .

والله ولي التوفيق ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

مائدة القارئ

من كلام العرب

قال اعرابي : اذا كان الرأي عند من لا يقبل منه ، والسلاح عند من لا يستعمله ، والمال عند من لا ينفقه ، ضاعت الامور .

وسئل اعرابي عن القدر فقال : الناظر في قدر الله كالناظر في عين الشمس ، يعرف ضوءها ولا يقف على حدودها وسئل اخر عن القدر ، فقال : علم اختصمت فيه العقول ، وتقاول فيه المختلفون وحق علينا ان نرد ما التبس علينا من كلمه الى ما سبق من علمه .

وقال اعرابي : تداور الليل والنهار ، لاتبقى عليه الاعمار ولا لأحد فيه الخيار .

طرائف وعبر

– نزل رجل صومعة راهب ، فقدم اليه الراهب اربعة ارغفة وذهب ليحضر اليه العدس ، فحمله وجاء فوجده قد اكل الخبز . فذهب واتى بخبز اخر فوجده قد اكل العدس . ففعل معه ذلك عشر مرات . فلما أراد الضيف الانصراف سأله الراهب اين مقصده ، قال : الى الاردن .

قال : ولماذا ؟ قال : بلغني ان بها طبيبا حاذقاً اريد ان اسأله عما يصلح معدتي ، فأني قليل الشهوة للطعام .

فقال له الراهب : ان لي اليك حاجة . قال : وما هي ؟ قال : اذا ذهبت واصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك علي .

دعاء

« اللهم ابرم لهذه الامة امرا رشيدا يعز فيه وليك ، ويذل فيه عدوك ، ويعمل فيه بطاعتك ورضاك » .

من دعاء سفيان الثوري رضي الله عنه

مائدة القارىء

في تفريج الهموم وقضاء الديون

عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد فاذا هو برجل من الانصار يقال له (أبو أمامة) فقال له النبي : يا ابا امامة مالي اراك جالسا في المسجد من غير وقت صلاة ؟ قال : هموم لزمتني وديون يا رسول الله .

قال : افلا اعلمك كلاما اذا قلته اذهب الله عز وجل همك وقضى عنك دينك ؟..

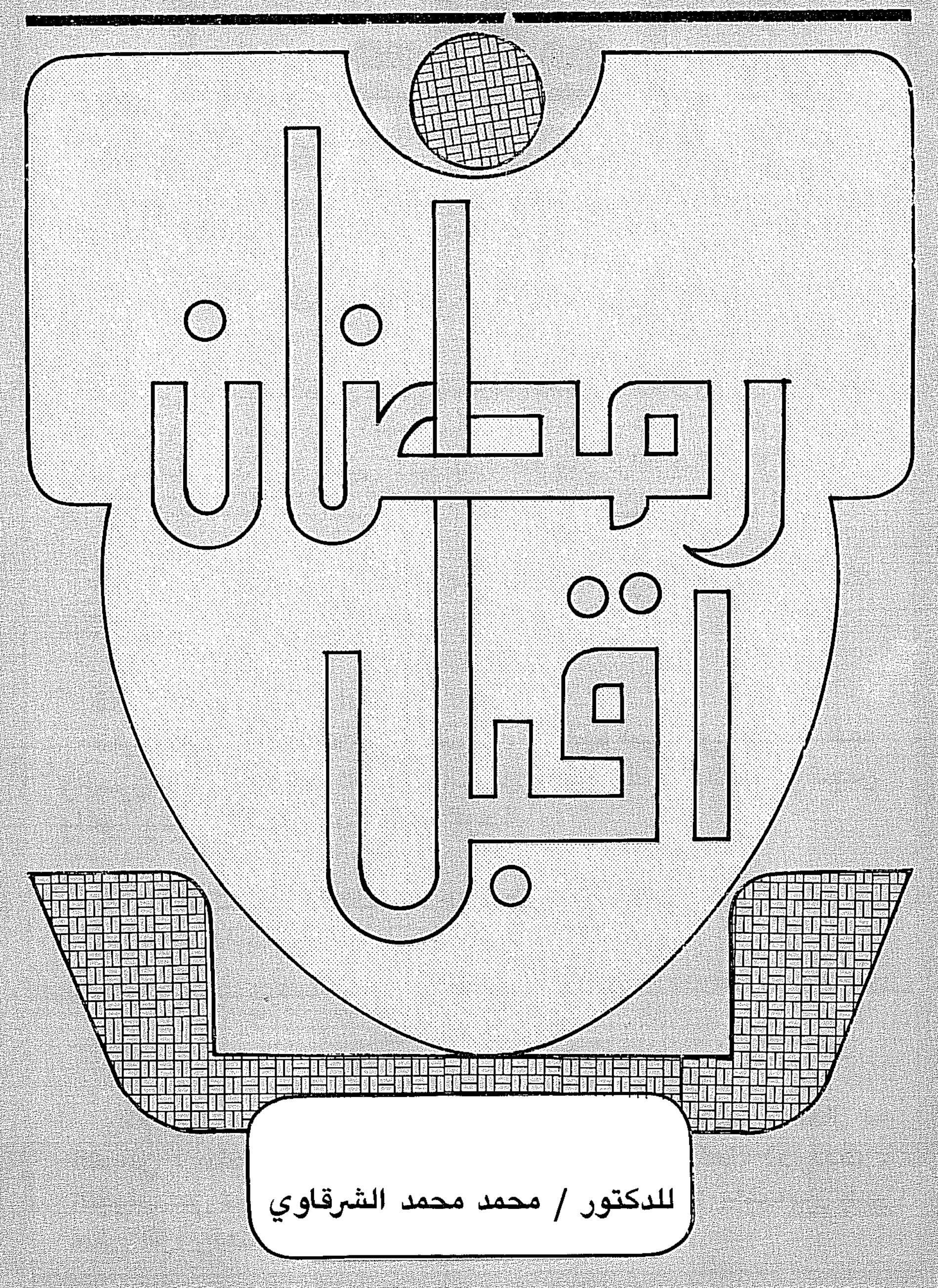
قال : بلى يا رسول الله ..
قال : قل اذا اصبحت واذا امسيت : اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن واعوذ بك من العجز والكسل واعوذ بك من البخل والجبن واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال ..

قال : فقلت ذلك فاذهب الله عز وجل همي وقضى ديني ..
ـ رواه أبو داود ..

خشية الخالق

رفع رجل الى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقعة .. فقال له الحسن : حاجتك مقضية ، فقيل . له : لو نظرت في رقعته ثم رددت . الجواب على غير ذلك ؟ قال : يسائلني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى اقرأ رقعته !!

○ قال الامام علي كرم الله وجهه : والله ان دنياكم عندي اهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ..



للدكتور / محمد محمد الشرقاوي

فرض صيام شهر رمضان في كل سنة هلالية في السنة الثانية من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ان تحولت القبلة من بيت المقدس بالشام الى الكعبة بمكة بأيام معدودات .. اذ ان تحويل القبلة كان في نصف شعبان

على ما عليه الجمهور الاعظم من علماء السيرة في نفس هذه السنة ..

وبعد ان استقر امر الصلاة ــ وهي الركن الثاني في الاسلام ــ بأوقاتها ، واعداد ركعاتها .. وتحديد اتجاه القبلة في أدائها .. كان منطقيا ان يشرع بعد ذلك ما هو بعد الصلاة في الركنية ، وما يتلوها في الفرضية وكان من بين ما شرع عقيب فرضية الصلاة .. الصيام في رمضان .. ولم يكن الفارق بين فرضيتهما الا نحواً من نصف شهر ، وذلك بقوله تعالى :

(يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون . شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون .)
البقرة/ ١٨٣ ــ ١٨٥ .

وقد مهد لصيام رمضان تمهيدا اتخذ اوضاعا متنوعة .. فمرة صام الجاهليون عاشوراء .. وصامه الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة متابعة لأهل الجاهلية في صومهم له .. لأنه لم يكن يرفض كل ما عليه الجاهليون .. بل كان يأخذ أحسنه ، ويبطل أسوأه .. وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان عاشوراء يوما تصومه قريش في الجاهلية ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصومه .. فلما قدم المدينة صامه ، وأمر بصيامه ، فلما نزلت فريضة شهر رمضان كان رمضان هو الذي يصومه .. فترك يوم عاشوراء ، فمن شاء صامه ، ومن شاء أفطره) .. وقد حدث هذا التمهيد لصيام رمضان من دون ان يدري أحد أن رمضان آت بفرضيته لا محالة .. إذ أن ذلك كان لا يزال سرا مطويا في ضمير الغيوب ، ولم يكن احد يدري من ظهر الغيب شيئا من ذلك .. ولكن حركة المقادير .. جرت على النحو الذي اوجد تمهيدا لرمضان بصيام عاشوراء .. فعرف الناس معنى الصيام ، وفكروا فيه ، وتمرسوا به فعلا وواقعا ، واقتنعوا بما يحتويه من أسرار وحكم .. وقعت من نفوسهم موقع القبول والرضا ..

وان غامت في انفسهم آفاقها ، وقصرت في بصائرهم رؤيتها بادئ ذي بدء .. حتى جاء القرآن الكريم بالأمر بكتابته وتبيين وجه حكمته ، وتحديد مداه ومغزاه ، وحكمه واحكامه واستمر هذا التمهيد الواقعي لصيام رمضان ينتقل مع الايام من طور الى طور .. ومن قوم

الى قوم حتى هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة فدخلها في شهر ربيع الاول فوجد اليهود صياما ولما سأل عن ذلك عرف انهم يصومون عاشوراء .. فوافقهم على صيامه وصامه وامر المسلمين بصيامه .. وكان هذا هو الفصل الثاني من فصول التمهيد والتقدمة لصيام رمضان بحسب الواقع التاريخي .. وان لم يسبق ذلك بعلم العلماء ، ولا بفقه الفقهاء ـ وفي ذلك يروي البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء .. فقال لهم : ما هذا اليوم الذي تصومونه ؟ .. قالوا : هذا يوم عظيم ، انجى الله فيه موسى وقومه ، واغرق فرعون وقومه .. فصامه موسى شكرا ، فنحن نصومه .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فنحن احق واولى بموسى منكم فصامه وامر بصيامه) وقد يقال : فأين عاشوراء ؟ وهو اليوم العاشر من شهر الله المحرم من السنة الهلالية التي هي التوقيت المعتمد عند الله تعالى كما قال : (**ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم**) التوبة/٣٦ وكما قال جل شأنه : (**يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج**) البقرة/١٨٩ او هو العاشر من شهر ربيع الاول الذي دخل فيه الرسول المدينة مهاجرا من مكة .. فوجد اليهود صائمين فيه .. فصام عاشوراء وأمر بصيامه : والجواب ـ كما في السيرة الحلبية جـ ٢ : ١٤٩ : ان السنة عند اليهود شمسية لا قمرية فيوم عاشوراء الذي هو عاشر المحرم فيما عند الله تعالى هو الذي نجا فيه موسى وغرق فيه فرعون .. اتفق له في دورته الحولية ان وقع في شهر ربيع الاول الذي دخل فيه الرسول المدينة بحسب التوقيت الشمسي عند اليهود .. وان الرسول صامه في المحرم التالي لذلك وأمر أصحابه بصيامه كذلك .. ولم يوافق اليهود في صيام ذلك اليوم من شهر ربيع الاول ثم خالفهم في عاشوراء التالي وما بعده .. فهذا من أبعد البعيد (المصدر السابق : ١٥٠) وذلك لأن أيام الشهور القمرية تدور في فصول السنة كلها .. وقد يصادف بعضها الصيف مرة والشتاء اخرى ، والربيع طورا والخريف طورا آخر .. اما التوقيت الشمسي فهو مقيد بفصول السنة لا يريمها .. وفي المعجم الكبير للطبراني عن خارجة بن زيد رضي الله عنه قال : (ليس يوم عاشوراء اليوم الذي تقوله الناس ـ اي اليهود ـ انما كان يوما تستر فيه الكعبة وتلعب فيه الحبشة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يدور في السنة) .. ثم كان الطور الثالث من اطوار التمهيد التاريخي لصيام رمضان هو إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم الرسل والدعاة الى القبائل وسكان الاطراف يدعوهم فيها الى صيام عاشوراء : فمن كان منهم

اصبح صائما فليتم يومه .. ومن كان اصبح غير صائم فليمسك بقية يومه تشبها بالصائمين .. وكان يأمر بالصبيان والصغار .. فيتفل في افواههم ويأمر أهلهم بتصويمهم حتى الليل .. ففي الصحيحين عن الربيع بنت معوذ قالت : (ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء الى قرى الانصار التي حول المدينة : من كان اصبح صائما فليتم صومه ، ومن كان اصبح مفطرا فليتم بقية يومه ، فكنا بعد ذلك نصومه ، ونصوم صبياننا الصغار منهم ، ونذهب الى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن ــ اي الصوف ــ فاذا بكى احدهم على الطعام اعطيناه اياه حتى يكون عند الافطار) .. وفي رواية : (فاذا سألوا الطعام أعطيناهم اللعبة تلهيهم حتى يتموا صومهم) ..

وفي شهر شعبان من السنة الثانية (الفقه على المذاهب الاربعة/٢٤٧) فرض صيام رمضان فبدأت بذلك مرحلة جديدة كل الجدة .. اذ انتقل الصوم من اطار السنية المؤكدة لعاشوراء الى الوجوب الحتمي لرمضان على غير المرضي والمسافرين .. الا ان هذا الوجوب والتحتم لم يبدأ بطريقة فجائية مباشرة .. بل درج الشرع الحكيم في فرضيته ولزومه على مدرج الترقي في التشريع .. كما هو الشأن في كثير من الاحكام الشرعية .. فكان صيام رمضان اول ما بدأ على التخيير للمطيقين له .. المتحملين لصومه في يسر وخفة .. فكانوا بالخيار بين أمرين : إما صيام شهر رمضان .. واما الاطعام عن كل يوم مسكينا نصف صاع من بر أو صاعا من غيره عند اهل الكوفة وهم الحنفية .. أو مدا عند غيرهم ،

وذلك بقوله تعالى : **(وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين)** أي الذين يستطيعون صوم رمضان من الأصحاء المقيمين **(فمن تطوع خيرا)** أي زاد على اطعام المسكين ، **(فهو خير له وأن تصوموا خير لكم)** من الفطر والاطعام ، **(ان كنتم تعلمون)** ما في الصوم من فوائد .. فكان من شاء صام ، ومن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم يفطره الدية السابق ذكرها .. (السيرة الحلبية جـ٢ : ١٥١) .. ثم أن الله تعالى نسخ هذا التخيير بايجاب صوم رمضان عينا بقوله تعالى : **(فمن شهد منكم الشهر فليصمه)** أي فمن وجد وعلم دخول الشهر فليصمه .. الا اذا كان لا يستطيع صيامه لكبر أو مرض ميئوس من شفائه فيجزيه الاطعام الآنف الذكر .. كما رخص فيه للمريض الذي يجهده المرض .. وللمسافر الذي يرهقه السفر « مسافة ٨٩ كيلومترا فأكثر » ولو لم يشق ذلك عليه أن يفطر على أن يقضي بدل الأيام التي أفطرها أياما أخر اذا زال عنه المرض والسفر ، وذلك بقوله تعالى مرة أخرى : **(ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر)** ويكون الصوم في حال احتماله مع السفر

والمرض خيرا من الفطر على كل حال هذا لون من التدرج في تشريع الصيام في رمضان في أول أمره بالتشريع .. وثمت لون آخر من هذا التدرج .. وهو : أن الناس الذين فرض عليهم صوم رمضان كانوا اذا دخل الليل يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا بعد الغروب .. أو يدخل عليهم وقت العشاء الآخرة حتى وهم متيقظون ، فاذا ناموا .. أو دخل وقت العشاء عليهم حرم عليهم الأكل والشرب والاتيان الى الليلة القابلة .. ثم نسخ ذلك وأحل المفطرات كلها الى طلوع الفجر ولو بعد النوم ودخول وقت العشاء بقوله تعالى : (**أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم**) .. البقرة/١٨٧ الى أن قال جل شأنه : (**وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر**) البقرة/١٨٧ وقد فهم بعض الصحابة من الآية الكريمة حقيقة الخيط فاتخذ لنفسه عقالا أسود وعقالا أبيض وجعل يتبينهما فلا يستطيع .. حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم : «« انك لعريض القفا » وهذا كناية عن ثقل فهمه وبين له أن ذلك يعني : بياض النهار وسواد الليل .. وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه واقع أهله بعد ما صلى العشاء الآخرة .. فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه .. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة .. اني رجعت الى أهلي .. فوجدت رائحة طيبة .. فسولت لي نفسي .. فجامعت أهلي .. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما كنت جديرا بذلك يا عمر » فقام رجال فاعترفوا بمثله .. فنزلت الآية الكريمة .. كما ذكر للرسول صلى الله عليه وسلم أن بعض أصحابه سقط مغشيا عليه بسبب الصوم .. فسأله صلى الله عليه وسلم فأخبره بأنه أهل زرع وحرث ، وأنه جاء لينظر ما تعمله له زوجته ليتعشى به ، فغلبته عينه ، فنام ، فلم يستيقظ الا بعد الغروب .. فلم يتناول شيئا .. فأنزل الله هذه الآية الكريمة .. ولا مانع أن تنزل آية من القرآن الكريم لأكثر من سبب ، وأن تتوافق الأسباب على هدف واحد .. وفي النهاية استقرت شريعة الصيام في رمضان على وجوبه عينا على كل من شهد الشهر مقيما صحيحا بدون خيار ، وعلى الرخصة للمريض والمسافر وأمثالهم في العذر في افطاره مع القضاء في أيام أخر .. وعلى الاذن للكبير والمريض الذي لا يرجى برؤه بالافطار مع الفدية عن كل يوم يفطر فيه ، ووضع حد لهذا التدرج في التشريع والذي استغرق مع تمهيده الخطوات الآتية :

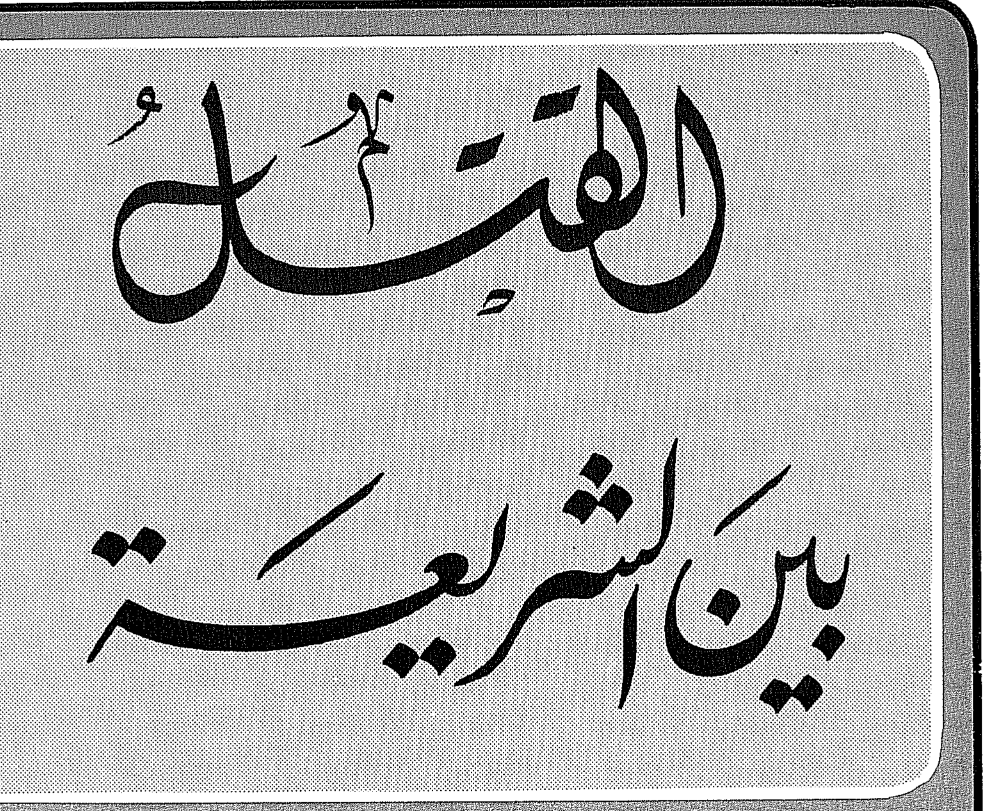
١ – ان المشركين من قريش كانوا يصومون عاشوراء بمكة وقد صامه النبي صلى الله عليه وسلم معهم موافقة لهم على بعض عاداتهم الحسنة .

٢ – بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وافق اليهود

في صيامهم ليوم عاشوراء — وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب موافقتهم غالبا قبل فتح مكة .. كما كان يكره ذلك في كل أحوالهم بعد فتح مكة وقد صامه وقال : نحن أحق وأولى بموسى منكم لأن موسى أخوه في الدنيا والآخرة وقد أمر أصحابه حينئذ بصيامه وشدد في الأمر حتى صوم الصبيان وحتى أرسل رسله الى ما حول المدينة ليأمر بصيام عاشوراء سواء منهم من أصبح صائما بلا نية ، أو أصبح مفطرا تشبها بالصائمين ، الا أن هذا الأمر بصوم عاشوراء لم يتخذ صفة الوجوب — على أرجح الأقوال — واليه ذهب الشافعية ويؤيدهم حديث معاوية رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « هذا يوم عاشوراء ، ولم يكتب الله عليكم صيامه ، وأنا صائم ، فمن شاء فليصم ، ومن شاء فليفطر » رواه البخاري .

٣ — بعد فرضية صيام شهر رمضان في السنة الثانية للهجرة وفي شعبان منها اتخذ صيام عاشوراء صفة الاختيار .. فمن شاء صامه .. ومن شاء تركه .. وان كان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يترك صيامه مما يفيد حكم الندب لصيامه على الأقل تشبها بصيام النبي صلى الله عليه وسلم له ، وزالت عنه صفة السنية المؤكدة .. وفي السنة التي توفى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم حين واظب على صيام عاشوراء قالوا له يا رسول الله : (هذا يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال : فاذا كان العام المقبل صمنا التاسع) وفي رواية : « لئن بقيت الى قابل لأصومن التاسع مع العاشر » رواه مسلم عن ابن عباس . ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم وافته منيته قبل أن يصوم التاسع ، وفي الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنه قال : « صام النبي صلى الله عليه وسلم عاشوراء وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك ذلك » وكان عبد الله لا يصومه الا أن يوافق صومه » واذا أدركنا أن الصبيان ليسوا محلا لايجاب صوم عاشوراء ، عرفنا الى أي مدى يترجح قول من قال : ان صوم عاشوراء لم يتخذ صفة الوجوب لا قبل رمضان ولا بعده .. وأنه لم يفرض على الأمة الا صيام واحد في كل سنة مرة واحدة .. هو صيام شهر رمضان ، وان صوم عاشوراء تردد بين الاباحة والسنة المؤكدة والندب .

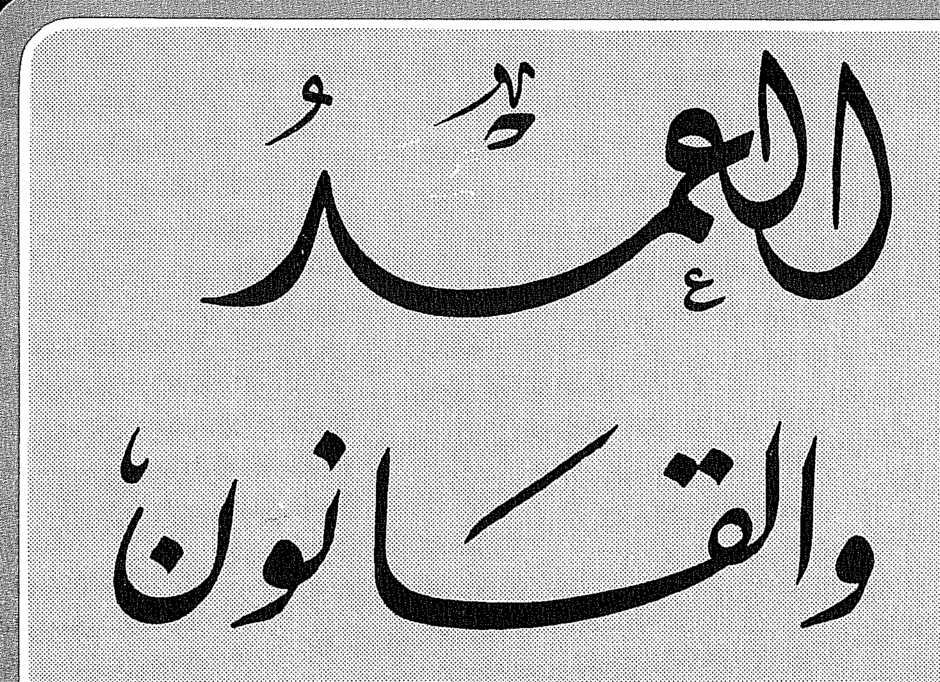
٤ — تدرج التشريع في صيام رمضان .. فبدأ أول ما بدأ على التخيير للمستطيع من المقيمين الأصحاء : إن شاءوا صاموه ، وإن شاءوا أفطروه وأخرجوا عن كل يوم يفطرونه الفدية المقررة .. ثم نسخ ذلك بالالزام العيني والغاء هذا التخيير .. كما بدأ أولا مع حل الفطر بعد الغروب ما لم يحدث نوم أو تدخل العشاء .. فان نام امرؤ أو أظله وقت العشاء حرم عليه الفطر .. ثم نسخ ذلك بحل المفطرات كلها من الليل حتى يطلع الفجر حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود .



تمهيد :

القتل عند العرب قبل الاسلام :

كان العرب قبل ظهور الاسلام قبائل متناكرة متنافرة ، لا سلطان يجمعها ولا حاكم يقيم العدل بينها وانما كان العدل فيها والسلطان لصاحب الظفر والناب ، ولم تكن الحروب بينهم بسبب الثأر تقف عند حد ، حتى لتدوم معاركه الطاحنة بينهم أربعين عاما ، كما حدث بشأن حرب البسوس التى بدأت بقتل « جساس بن مرة » « لكليب بن وائل » لقتله ناقة كانت ترعى بين ابله للبسوس خالة جساس . ولم تقف مطالبة أهل الدم للثأر الى حد قتلها القاتل والتمثيل به ، وانما تجاوزته الى غيره من أفراد قبيلته الذين يناظرون المجني عليه في مكانته وكثيرا ما كان يسرف أصحاب الدم ولا يرون بديلا لشفاء غيظهم الا الامعان في القتل من قبيلة القاتل ، ولا ادل على ذلك مما يروى ان شريفا قتل ، واجتمع أقارب القاتل لدى والد المقتول ليرضوه فخيرهم بين احدى ثلاث ، قالوا : وما هي ؟ فقال لهم : تحيون ولدي ، أو تملأون داري من نجوم السماء ، أو تدفعون لي قومكم



للمستشار/ علي عبد السلام طنطاوي

حتى اقتلهم جميعا ثم لاأرى أني أخذت عوضا . الفخر الرازي ج ٢ ص ١٤٩

موقف الاسلام :

ولما جاء الاسلام بهدايته ورحمته لم يكن ليترك الناس وما هم عليه من سوء في هذا الامر ، فضلا عن أنه ما كان يحملهم ما لا يطيقون بمخالفتهم فطرتهم وطبيعتهم ، ذلك أن الغضب للدم وحب الانتقام له فطرة وطبيعة في كل انسان ، ومن ثم فقد قررت الشريعة الغراء القصاص ولكن من ذات الجاني دون سواه فلا مسئولية على غيره **(ولا تزر وازرة وزر أخرى)** الانعام/١٦٤ ، كما أنه قصد من القصاص حفظ النفوس وضمانها ، لان من يعلم أنه لو قتل سيقتل فانه يتردد أكثر من مرة قبل أن يقدم على جريمته ، هذا بالاضافة الى أن في القصاص ما يشفي غليل أسرة القتيل ويستأصل شأفة الشر من نفوسهم ويزيل حقد قلوبهم .. وصدق الله العظيم حين يقول : **(ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب)** البقرة/١٧٩

ومع تقرير الشريعة الغراء للقصاص في القتل ، الا أنها لم توجبه

بل خيرت بينه وبين العقوبة ، وهذا العفو يكون بالصلح أو بقبول أولياء الدم للدية بدلا من قتلهم للجاني ، وتركت الشريعة كلا الامرين لمحض اختيارهم . ان شاءوا القصاص اقتصوا ولا تثريب عليهم ، وان شاءوا العفو وقبول الدية فلا سلطان عليهم ، وحتى ان قبلوا الدية فانه يتعين عليهم طلبها بالمعروف والرضى والمودة ، ويجب على القاتل أو وليه أن يؤديها باحسان واكمال تحقيقا لصفاء القلوب وشفاء الجراح والنفوس وتقوية لأواصر الود والمحبة بين الأحياء : **(فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة)** البقرة/١٧٨

القصاص في الاديان السماوية :

والقصاص هو شريعة الأديان السماوية كلها ، فقد ورد في التوراة في سفر الخروج الاصحاح الحادي والعشرين « من ضرب انسانا فمات يقتل ولكن الذي لم يتعمد بل اوقع الله في يده فأنا أجعل له مكانا يهرب اليه ، واذا بغى انسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحي تاخذه للموت ، ومن ضرب اباه او امه يقتل قتلا ، ومن سرق انسانا وباعه أو وجد في يده يقتل قتلا ، ومن شتم أباه أو أمه يقتل قتلا ، واذا تخاصم رجلان فضرب احدهما الآخر بحجر او بلكمة ولم يقتل بل سقط في الفراش فان قام او تمشى خارجا على عكازه يكون الضرب بريئا الا انه يعوض عطلته وينفق على شفائه .

واذا تخاصم رجلان وصدما امرأة حبلى فسقط ولدها ولم تحصل اذية يغرمان ، واذا حصلت أذية تعطي نفس بنفس وعينا بعين وسنا بسن ويدا بيد ورجلا برجل وكيا بكي وجرحا بجرح . « وقد ورد في الاصحاح الخامس والثلاثين من سفر العدد ما يفيد بان ولي الدم له حق قتل القاتل . « ان القاتل يقتل .. ولي الدم يقتل القاتل حين يصادفه » .

هذا هو حكم التوراة وهو حكم الانجيل لعدم وجود نص به يخالف هذا الحكم ولا ينال من ذلك ما ورد بأنجيل متى « سمعتم انه قيل عين بعين وسن بسن واما انا فاقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر ايضا وذلك لان هذا القول المنسوب الى نبي الله عيسى عليه السلام هو وصية بالعفو وليس القصد منه سن نظام يترك فيه المعتدي يعربد وفق ما يريده . وقد جاءت تعاليم الاسلام بالقصاص وحضت على العفو . : **(فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة)**

وهذه الآيات التى تحث على العفو لا تعني ترك المعتدي دون جزاء ، وهو الامر الذي ينطبق على قول سيدنا عيسى عليه السلام .

ادلة ثبوت القصاص

إن عقوبة القصاص ثابتة بالقرآن الكريم وبالسنة الشريفة . اما الكتاب فقوله عز وجل : **(يأيها الذين آمنوا**

كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون) البقرة/١٧٨ و ١٧٩

وقوله : **(وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)** المائدة/٤٥

وهذه الآية الكريمة وان كانت تبين احكام شريعة التوراة الا ان هذه الاحكام لم تنسخ ومن ثم فالمسلمون يلتزمون بها فضلاً عن ان الآيات الواردة في سورة البقرة سالفة الذكر قد جاءت بالقصاص . اما ما ورد بشأنه في السنة فهو قوله صلى الله عليه وسلم : « من قتل له قتيل فهو بخير النظيرين : اما ان يفتدي واما ان يقتل .. » رواه الترمذي ، وقوله « من اصيب بدم او خبل فهو بالخيار بين احد ثلاثة : اما ان يقتضي واما ان يؤخذ العقل واما ان يعفو . فان اراد رابعة فخذوا على يديه » رواه ابن ماجة والدارمي

تعريف القتل :

القتل العمد في الشريعة هو ازهاق الروح ــ روح الانسان عمدا ــ بفعل انسان آخر . فيشترط اذا لقيام جريمة القتل ان تتوافر ثلاثة اركان :

اولا : الركن المادي : هو ارتكاب الجاني لفعل يحدث الوفاة .

ثانيا : الركن المعنوي : وهو ان يقصد الجاني من فعله هذا احداث الوفاة بالمجني عليه .

ثالثا : ان يكون موضع الاعتداء هو انسان حي .

ويقع الركن المادي بأي فعل سواء بالذبح او بالتغريق او بالالقاء الى حيوان مفترس او بالخنق او بالحرق او بالسم او بالضرب .

وجمهور الفقهاء لم يشترط آلة محددة في ارتكاب جريمة القتل . فعندهم أن كل ما من شأنه ازهاق الروح ، محددا أو غير محدد ، مباشرة او تسببا ، فهو محقق للجريمة وموجب للقصاص حتى كان بنية ازهاق الروح . ولقد خالف أبو حنيفة الجمهور واشترط في القتل الموجب للقود ان يقع بآلة محددة تفرق الاجزاء وما يشبهها كالنار ، كانه لا ينتفي عنده الشك في تعمد القتل الا بوضع آلة الاعتداء وبأن تكون من حديد او ما يجري مجراه فهو يعتبر هذه الآلات قرينة على قصد العمد في القتل .

والقرآن والسنة لم يتعرضا لآلة القتل ، وتركا تحديدها للعرف والظروف وملابسات الحادث ولتطور الزمان . فقد يتفتق عقل انسان عن اختراع آلة قاتلة غير التى كانت معروفة من قبل ، ولا خلاف بين الفقهاء في ان فعل القتل كما يقع بوسيلة مادية ، قد يقع بوسيلة معنوية كمن يطلق مقذوفا فوق رأس انسان

فيموت رعبا ، او من يصيح بانسان على ربوة فيسقط فزعا من صيحته فيؤدي سقوطه الى موته . وقد قال بعض الفقهاء من بينهم الامام مالك / بانه اذا تعمد الجاني الفعل ، فان فعله يعد قتلا عمدا ، والا عد قتلا خطأ اذا كان يقصد من فعله اللهو . ويرى البعض الآخر من بينهم ابو حنيفة أن الفعل يعد شبه عمد لان الوسيلة لا تقتل غالبا ، وفي كل الامور يجب ان تتوافر رابطة السببية بين الفعل والموت سواء كان الموت نتيجة مباشرة لفعل الجاني أو غير مباشرة ، وسواء كان السبب قريبا أم بعيدا ما دام الفعل سببا للنتيجة ، ومع هذا لا يسمح فقهاء الشريعة بتوالي الأسباب التى غير محددة ، بل يقيدون هذا التوالي بالعرف ، فما اعتبره العرف سببا في القتل فهو سبب له ولو كان سببا بعيدا ، وما لم يعتبره العرف سببا للقتل فهو ليس سببا له ولو كان قريبا .

القصد الجنائي :

يجب لدى جمهور الفقهاء ان يقع الفعل بقصد ازهاق روح المجني عليه ، فان تعمد الجاني الفعل بقصد العدوان المجرد دون قصد القتل ، فان فعله يكون قتلا شبه عمد . وقد خالفهم في ذلك الامام مالك اذ رأى ان قصد اتيان الفعل يكفي لقيام جريمة القتل العمد دون الحاجة لنية القتل . ذلك انه لا يرى القتل الا نوعين : قتل عمد ويتوافر بالفعل المزهق للروح والقصد العدواني . والقتل الخطأ ويتحقق اذا كان الجاني يقصد من فعله اللهو أو التاديب .

ونية القتل أمر نفسي يبطنه الجاني ، ولكن يمكن استظهارها عن طريق الآلة المستعملة في الحادث ومن أنها تؤدي الى الموت بطبيعتها ، ويمكن استظهارها ايضا من موضع الاصابات وكيفية احداثها وظروف ارتكاب الجريمة . وكل ذلك بالاضافة الى اعترافات المتهم ، فاذا اعترف المتهم اعترافا صريحا خاليا من أي عيب يشوبه ، فان اعترافه يكون دليلا على نية القتل عنده . وللمتهم ان يقيم الدليل على انه لم يكن يقصد القتل .

ان يكون القتيل آدميا حيا :

فمن يطلق النار على ميت يقصد قتله فليس بقاتل ، لان الفعل لم يقع على حي . كذلك الاعتداء على جنين في بطن امه . ومن يطلق النار على محتضر قاصدا قتله فيموت فهو قاتل . ولا يوهن من ذلك كون المجني عليه في حالة احتضار ، لأن فعل الجاني هو الذي ادى اليه ولا عبرة بشخصية المجني عليه فيتساوى ان يكون كبيرا او صغيرا رجلا كان ام امرأة ما دام معصوم الدم .

وجمهور الفقهاء قال ان اساس العصمة الاسلام والامان ، وخالف ابو حنيفة واعتد بعصمة الدار ومنعة الاسلام . فمن يقتل مسلما في دار الحرب فلا عقاب عليه لأنه لا يعد معصوما في رأيه خلافا لباقي الفقهاء الذين لم يعتدوا بوجوده في دار الحرب .

والمرتد والمحارب والقاتل والزاني غير معصومين وقتلهم لا يوجب

القود . ولكن قد يخضع الجاني لعقوبة تعزيرية ، وذلك لافتياته على حق السلطة العامة في توقيع العقاب .

حالة رضاء المجني عليه بالقتل :

لا خلاف بين الفقهاء في ان رضاء المجني عليه لا يبيح الجريمة لأن عصمة النفس لا تباح الا بنص شرعي ، ولكنهم اختلفوا في عقوبة القاتل فالبعض ومن بينهم الاحناف ورأى في مذهب الشافعي قالوا : ان الاذن بالقتل يعد شبهة والحدود تدرأ بالشبهات ، ومن ثم فالعقوبة تكون الدية دون القود ، والراجح في المذهب المالكي ان الجاني ، يعاقب بالعقوبة المقررة للقتل العمد . أما الامام احمد فيرى وهو الراجح في مذهب الشافعية ألا عقاب على الجاني ، لان من حق المجني عليه العفو عن العقوبة وان الاذن بالقتل يساوي العفو عن العقوبة في القتل . التشريع الاسلامي ج ٢ ص ٨٥

عقوبة القتل العمد

أولا : القصاص

يرى جمهور الفقهاء انه اذا توافرت اركان الجريمة السابق سردها تعين القود عينا في القاتل ، اي القصاص بقتله شريطة ان يكون بالغا عاقلا مختارا ، وان لا يكون المقتول من فروع القاتل كالابن لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يقتل الوالد بالولد » رواه احمد والترمذي – وحكم الام هو ذات حكم الاب وكذلك الجد لاب او لام كما ، قالوا : بقتل الجماعة بالفرد لان القصاص مزجرة السفهاء فيجب تحقيقا لحكمة الاحياء . اللباب في شرح الكتاب ص ٢٨

واستدلوا في ذلك الى ما يروى عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب : من قتله سبعة من اهل صنعاء ، ذلك ان امرأة صنعاء غاب عنها زوجها وترك لها ابنا له يسمى « اصيل » من زوجة اخرى فاتخذت لها في غياب زوجها خليلا وقالت له : ان هذا الغلام يفضحنا وامرته بقتله فامتثل لها بعد امتناع واشتركت واياه مع الآخرين في القتل ولما اكتشف الحادث واعترف الجناة ، كتب والي صنعاء الى عمر فامره بقتلهم قائلا : لو ان اهل صنعاء اشتركوا في قتله لقتلتهم جميعا .

كما قالوا ان الامام علي بن ابي طالب قتل الحرورية طائفة من الخوارج نسبة الى حروراء بعبد الله ابن خباب فانه توقف عن قتلهم حتى يحدثوا حدثا او يرتكبوا جرما غير مجرد القول فلما ذبحوا عبد الله بن خباب وقالوا : كلنا قتلناه . فقال علي لاصحابه دونكم القول فما لبث ان قتلهم علي واصحابه .

ولا شك ان هذا عين المصلحة ودرء للشر والا لو علم الجماعة انهم اذا قتلوا الواحد ولم يقتلوا به لتعاون الاعداء على قتل اعدائهم بالاشتراك في قتلهم . تفسير القرطبي

استيفاء القصاص :

قال الاحناف ان لولي الدم حق الاستيفاء وبرهنوا على صحة رايهم بقوله عز وجل : (**فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان**

منصورا) الاسراء/٣٣

وقال جمهور الفقهاء ان استيفاء القود حق للحاكم دون سواه ، وليس لولي الدم الا ان يطالب بحقه ، يقول ابن فرحون في كتاب تبصرة الحكام ان كل ما يحتاج الى نظر وتحرير وبذل جهد في تحرير سببه ومقدار سببه لابد فيه من حكم الحاكم « ثم قال عند الحدود انها تفتقر الى حكم الحاكم وان كانت مقاديرها معلومة لان تفويضها يؤدي الى الفتن والشحناء والقتل وفساد الانفس والاموال وكذلك التعزيرات وكذلك ما جرى هذا المجرى كاستيفاء القصاص » ويقول القرطبي في تفسيره « لا خلاف في ان القصاص في القتل مفوض لأولى الامر اذ فرض عليهم النهوض بالقصاص واقامة الحدود وغير ذلك لان الله سبحانه وتعالى خاطب جميع المؤمنين بالقصاص ثم لا يتهيأ للمؤمنين جميعا ان يجتمعوا على القصاص فاقاموا السلطان مقام انفسهم في اقامة القصاص وغيره من الحدود ، ولا يفوتنا ان ننوه ان الاقرب الى النفع العام والادنى الى الحق هو رأي جمهور الفقهاء ، وذلك لان السلطان المقصود بقول الله عز وجل : **(فقد جعلنا لوليه سلطانا)** انما يعني – والله اعلم بمراده – الحكم العادل وهو قتل القاتل فلا حاجة لتدخل ولي الدم ما دام هذا الحكم وضع موضع التنفيذ ، اما اذا تقاعس الحاكم عن تنفيذ الحكم واهمله تماما فلولي الدم حق التدخل لاستيفاء حقه بالقصاص . وجدير بالذكر ان اهمال الحاكم تطبيق بعض احكام الشريعة لا يعتبر اهمالا تاما منه في تنفيذ القصاص ، ومن ثم فان في هذه الايام التى نعيشها والتى اهمل فيها المسئولون تطبيق احكام الشريعة لا يجوز لولي الدم ان يقتص من القاتل بنفسه .

آلة التنفيذ في القصاص :

لم يحدد القرآن الكريم الآلة التى يجب استيفاء القصاص بها ، وازاء عدم تعيينها اختلف الفقهاء في شأنها وبكل الاسباب التى يستند اليها ، فقال جمهور الفقهاء ان لولي الدم ان يقتص من القاتل بمثل فعله أي بذات الآلة التى استعملها في ارتكاب جريمته وذلك في حالة شروعه في الفعل . اما اذا كانت الآلة غير مشروعة كمن يقتل آخر باسقائه خمرا فالراجح عندهم ان يكون القتل بجز الرقبة ، ولا يقتل به وبمثل فعله بالمجني عليه لعدم مشروعية الفعل في هذه الحالة ، وسند هذا الرأي : تحقيق المساواة والمماثلة بين الفعلين أخذا من قوله عز وجل : **(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)** وقوله : **(فان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به)**

كما قالوا انه يمكن لولي الدم ان يقتص في مثل هذه الحالة بالسيف والامر متروك لاختياره . والرأي الثاني : هو لبعض الفقهاء أنه لا يقتص بغير السيف أخذا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم « لا قود الا بالسيف » رواه ابن ماجه ،

واشترطوا ان يكون السيف حادا او غير مسموم وذلك منعا من تعذيب الجاني والتمثيل به الذي لو تحقق تم استيفاء القصاص بمثل فعل الجاني وهذا التعذيب نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم بالنسبة للحيوان « ان الله تعالى كتب الاحسان على كل شيء فان قتلتم فاحسنوا القتلة واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته » رواه احمد – واذا كان هذا شان الحيوان فاولى بذلك الانسان . اما الاستدلال بآية **(فان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به)** فانها نزلت بشأن حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم حين قتل في غزوة أحد ومثل المشركون بجثته قال النبي صلى الله عليه وسلم « لئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم فنزلت هذه الآية « وعندئذ قال الرسول صلى الله عليه وسلم « بل نصبر وكفر عن يمينه ونهى عن المثلة » سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٠١و ١٠٢

ويرى بعض العلماء المعاصرون انه لعدم وجود دليل من الشرع يعين آلة محددة فانه يجوز استعمال أي آلة تؤدي الغرض المقصود . وقد أفتت لجنة الفتوى بالازهر الشريف بجواز استيفاء القصاص بالمقصلة والكرسي الكهربائي وغيرهما . التقرير في الشريعة الاسلامية هامش ٢٦٧ والاسلام عقيدة وشريعة ٣٨٣

ثانيا : الدية :

ثبتت الدية بالكتاب والسنة والاجماع اما الكتاب فقوله عز وجل : **(ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا)** النساء/٩٢ ، وقوله تعالى : **(فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان)** فدل بهذه الآية على وجودها بدل الدم عند العفو واما ثبوتها بالسنة فهو ما يروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم من انه كتب الى اهل اليمن كتابا في الفرائض والسنن والديات ورد فيه « ان في النفس مائة من الابل » .

واما ثبوتها بالاجماع فان الفقهاء وفي كل الازمنة والامكنة اجمعوا على وجوبها في الجملة ، والدية في القتل العمد تجب على القاتل لا تتجاوز الا اذا كان القاتل صغيرا او مجنونا فان جمهور الائمة قال بتحمل العاقلة « أسرة القاتل » لها في هذه الحالة وخالف الشافعي الذي قال بوجوب الدية في مالها ، كما ان جمهور الفقهاء قال بعدم تأجيل الدية في القتل العمد ولكن الاحناف قالوا ان مرجع الامر الى تراضي الطرفين .

والشريعة الاسلامية عندما اوجبت الدية فانها وحدت قيمتها في كل حالة وقررت المساواة فيما بين جميع المسلمين ، خلافا لما كان عليه العربي في الجاهلية فلم تكن قيمتها موحدة عندهم ، بل كانت ترتفع وتتضاءل وفي مكانة المجني عليه بين قبيلته ، ووضع القبيلة بالنسبة لغيرها من القبائل ، والابل هي الاصل في تقدير

الدية عند بعض الفقهاء وقدرها مائة في دية المسلم وقالوا ان الذهب والفضة يقدر بها .

وقال البعض الآخر ان الابل والذهب والفضة كلها اصول معتبرة في تقدير الدية فبأي من هذه الأصول يمكن اداء الدية وقالوا : انه في الابل مائة وفي الذهب ألف دينار ومن الورق اثنى عشر الف درهم ويرى بعض العلماء المعاصرين ان الدية هي مائة من الابل لا تقل قيمتها عن الف دينار فأن قلت وجبت الألف دينار وان زادت وجبت الزيادة في قيمتها والالف دينار بالنقد المصري الآن ٤٦١٢,٥ جنيها على اساس سعر الذهب ، ولو قدرت على سعر الابل وهو الواجب فان قيمتها الآن تساوي سبعة آلاف جنيه . المرحوم الشيخ محمد ابو زهرة بحث مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية ١٣٩٢

ثالثا ـ التعزير :ـ

اذا امتنع القصاص عن القاتل او سقط عنه سواء سقطت الدية أم لم تسقط فان للحاكم وفق الرأي الراجح لدى الفقهاء أن يوقع على الجاني عقوبة تعزيرية يراها مناسبة لتأديبه وزجره وقد تكون اللوم او التوبيخ او الحبس وليس هناك ما يمنع من ان يصل التعزير الى حد القتل ما دامت ملابسات الواقعة تقتضيه .

رابعا : العقوبة التبعية للقتل :

بجانب العقوبة الاصلية لجريمة القتل العمد توجد عقوبتان تبعيتان هما الحرمان من الميراث والحرمان من الوصية . وقد ثبتت هاتان العقوبتان بالسنة فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم « ليس للقاتل من الميراث شيء » رواه البيهقي في السنن

القتل العمد في القانون الوضعي :

لم يعاقب القانون الوضعي المصري على القتل العمد بالاعدام الا في حالات على سبيل الحصر وهي :

اولا : اذا كان القتل قد وقع مع سبق الاصرار « المادة ٢٣١ عقوبات » ويتوافر سبق الاصرار اذا دبر الجاني امر ارتكاب جريمة في هدوء وروية عاقدا العزم عليها مقدرا خطورتها ناظرا الى عقوبتها .

ثانيا : اذا وقع القتل بقصد الترصد ويتحقق الترصد بانتظار الجاني للمجني عليه في المكان الذي يعلم انه يسير منه سواء طالت فترة الانتظار ام قصرت . (المادة ٢٣٢ عقوبات)

ثالثا : اذا وقع القتل بالسم « المادة ٢٣٣ عقوبات » ويتساوي في هذه الحالة دس السم في الطعام او في الشراب او بطريق الحقن .

رابعا : اقتراف القتل بجناية اخرى او ارتباطه بجنحة « المادة ٢٣٤ عقوبات » شريطة ان لا تكون الجريمتان ناشئتين عن فعل اجرامي واحد .

كما ان القانون عاقب الشريك في الجرائم السابقة بالاعدام او الاشغال الشاقة المؤبدة .

اما اذا وقع القتل العمد دون الظروف المشددة السابقة فان القانون يعاقب عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة او المؤقتة .

هـذا من ناحيـة النصـوص القانونية ، اما من ناحية التطبيق العملي فقد جرى القضاء في الغالب الاعم على استعمال المادة ١٧ من قانون العقوبات ، وهذه المادة تجيز النزول بعقوبة الاعدام الى عقوبة الاشغال الشاقة المؤبدة او المؤقتة ، اذا رأت المحكمـة اخـذ الجانـي بالرأفة .

وكثيرا ما تعلو صيحـات بعض رجال الفقـه والقانـون الوضعـي مطالبين بالغاء عقوبة الاعدام زاعمين انها عقوبة بربرية قاسية تتنافى مع ما أسموه بالمدنية والتقدم .

وكان اول المنادين بالغائها هو الفقيه الايطالي « سيزاردي يكاريا » ومن بين ما قالوه ايضا في نقده ان حياة الانسان مملوكة له ولا حق لغيره في سلبها ، كما قالوا بان قتل القاتل يفقد المجتمع نفسين فضلا عن ان الغايـة من العقـاب هي اصـلاح الجاني ، وعقوبة الاعدام تفوت هذا الغرض كما انه يستحيل تصحيح خطأ القاضي بعـد تنفيـذ الحـكم بالاعدام اذ لا سبيل لاعادة الحياة الى المحكوم عليه .

وقد فات هؤلاء ان حياة الانسان ليست ملكا خالصا له ، بل هي ملك لله الخالق الوهاب وهو الذي شرع عصمة النفس وحرم ازهاقها ، ولكنه في ذات الوقت سلب هذه العصمة ممن لا يستحقها والانسان الذي يعتدي على حق غيره في الحياة غير جدير بصيانة حقه فيها .

كما ان نفس الجاني التى يتباكون على اعدامها انما هي نفس شريرة من صالح المجتمع بترها . وفي الطب الحديث لا يتوانى الجراح من بتر العضو الفاسد اذا كان في بتره صلاح لباقي الجسد ، والقاتـل بارتكابـه جريمة القتل العمد انما يدل على انه يحمل بين جنبيه شرا وفسادا كبيرا .

ومن صالـح الجماعـة التخلص منه ، لا سيما وان في بقائه خطرا على حياة الآخرين اذ ان اهل القتيل لا يطيقون صبرا حتى يثأروا لدمه وقد يكون الثأر من احد اقارب القاتل اذا تعذر عليهم قتل الأخير .

وما زعمه هؤلاء المعارضون من ان الاعدام يفوت الغرض من الاصلاح فمردود ، لأن من يرتكب هذه الجريمة الشنعاء لن يجدي معه صلاح ولا تهذيب فضلا عن انه لو حكم عليه بعقوبة مقيدة للحرية فسيخرج من السجن شيخا فانيا لأن عقوبة القتل العمد تصل الى الاشغال الشاقـة المؤبدة ٢٥ سنة .

أما القول بعدم استطاعة تدارك ما قد يقع فيه القضاء من خطأ وان كان لهذا القول بريق قد ياخذ بالالباب الا انه مردود بان هناك ضمانات كثيرة سواء من ناحية أدلة ثبوت الجريمة او الاجراءات ، وكلها كفيلة بان تحول بين القاضي والخطأ .

هذا فضـلا عن ان مثـل هذه العقوبات لا يحكم بها الا اذا اقتنع القضـاء اشـد الاقتنـاع بثبـوت الجريمـة . المسئوليـة الجنائيـة ، للدكتور محمد الخضراوي .

وعموما وكما يستحيل تصحيـح

الخطأ في الاعدام يستحيل تصحيحه بالنسبة لعقوبة السجن التى قد تكون نفذت بأكملها أو نفذ بعضها .

ثم ان القول بهذه العقوبة او مجافاتها المدنية قول يجافي العقل والمنطق العادي للامور ولسنا ندري اي مدنية تلك التى يريدون في ظلها ترك القصاص ؟!

هل المدنية في نظرهم هي ترك قاتل النفس سافك الدم دون جزاء يناسب ما اقترفت يداه ؟!

هل المدنية ترك الآمنين الوادعين غرضا لكل هاجم وموضعا لمخالب كل معتد اثيم ؟!.. أليس الجزاء من جنس العمل ؟! ثم اذا كان في القصاص قسوة أليس الباعث عليه الزجر والتأديب ؟!.. ثم لمن تكون الرحمة أتكون لقاتل النفس سافك الدم .. أو تكون بأسرة القتيل واولاده الذين تركهم القاتل بجريمته يتقلبون على جمر اليتم ويلتحفون الضياع ؟!.. أتكون الرحمة بالمجرم القاتل أو بهؤلاء الذين تركهم الجاني حيارى لا يدرون اين المساق ؟!

هل يترك القاتل ليكون همزة وصل لسلسلة من الجرائم ، قد يروح ضحيتها عشرات الابرياء ؟ ويتيتم فيها مئات الاطفال وتفنى فيها النساء بين ملابس الحداد والنواح .

واني ارى من لا يرحم حياة غيره لا يستحق الرحمة لان الرحمة ليست حنانا دون عقل ولا رأفة تخل بأمن الناس ونظام المجتمع والعدل فيه وان المتتبع لاحصائيات الامن العام في مصر ليلحظ عدم جدوى العقوبة الوضعية في محاربة هذه الجريمة التى وصل عددها في سنة ١٩٢٣ الى ١٩٤١ جناية قتل (تقرير الأمن العام المنشور بمعرفة وزارة الداخلية) ، باعثها في الغالب الاعم ، الثأر . ذلك ان القانون عجز عن شفاء غيظ نفس اهل المجني عليه فكان طبيعيا ان يتولوا هم شفاء غيظ انفسهم .

كما ان عقوبة السجن للقاتل وان صلحت للبلاد التى صدرتها لنا ، لترف اهلها وانغماسهم في النعيم ، فهي ليست كذلك عندنا فضلا عن ان السجون اثبتت افلاسها عن اصلاح المجرمين ، واصبحت معهدا عاليا لتخريج المجرمين المحترفين ، الذين يتلقون فيها فنون الجريمة واساليبها التى لا عهد لهم بها على ايدي غيرهم من عتاة المجرمين ، وان لنا لعبرة في البلاد التى الغت عقوبة الاعدام ثم عادت اليها بعد ان اكتشفت تفشي هذه الجريمة فيها .. ومن هذه الدول ايطاليا التى ألغتها سنة ١٨٩٨ واعادتها سنة ١٩٣٠ وكذلك الولايات المتحدة الامريكية التى عادت اليها بعد الغائها .

ولست ادري متى تعلم السلطة التشريعية في هذه البلاد ان شريعة الاسلام هي الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . أما آن لهم ان يعلموا ان هذه الشريعة لم يغض على الايام معينها ولم تتعطل على الزمن مواردها .! أما آن لهم ان يتدبروا قوله عز وجل : **(وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا)** الاسراء/١٠٥

شهر العزيمة والجهاد

للاستاذ محمود محمد ابراهيم السيد

رمضان شهر عزيمة وجهاد ... رمضان شهر هداية ورشاد

قد أشرقت بحلوله آمالنا ... وتبسمت دنيا الربيع النادي

كم ذا تحن الى ضياه قلوبنا ... وتظل تهتف باسمه وتنادي

تصفو لدى استقباله أرواحنا ... نشوى بنور الفيض والامداد

فيه مغالبة النفوس وضبطها ... والصوم للانسان خير جهاد

فيه مراقبة الضمير وحفظه ... وطهارة للروح والأجساد

وتراحم في ظله وتقارب ... وتعاون في البر والارشاد

وتجاوب بين المشاعر في رضا ... وسماحة ومحبة ووداد

قد أنزل القرآن فيه هدى لنا ... ومبشرا بالخير والاسعاد

في ليلة منه تعاظم فضلها ... فاقت على الأزمان والآماد

للصائمين بها نسائم رحمة ... في موكب الأفراح والأعياد

أثنى عليها الله في آياته ... وبها فضائل جمة وأيادي

يسخو بها المولى ويفتح بابه ... للسالكين به وللرواد

والصوم قد شرع الاله زكاته ... قصدا إلى التقويم والاعداد

هي قربة لله وهي تراحم ... وعبادة الرحمن أفضل زاد

ولنا بذا الشهر الكريم مواقف ... قد خلدت بالفخر والامجاد

كتبت لنا فيها انتصارات على ... حملات أهل الشرك والالحاد

والله أيدنا وأظهر جنده ... بالنصر والتثبيت والامداد

يا معشر الاسلام هذا شهركم ... شهر فضيل مشرق الميلاد

شهر يربي في النفوس مبادئا ... هي في طريقكم منار هادي

شهر أهلت بالمنى أضواؤه ... بين الأنام فسيحة الأبعاد

فتفيأوا محرابه وتخيروا ... زادا ليوم البعث والميعاد

هو فرصة كبرى فمن يظفر بها ... يسعد وظل الله خير مراد

يا أمة الحق استعيدوا مجدكم ... بالعلم والتقوى والاسترشاد

وابنوا كما بنت الأوائل قبلكم ... بالجهد في غدكم والاستعداد

هيا أعيدوا في الورى تاريخكم ... روضا نضيرا زاهر الأعواد



قضت حكمة الله ـ ابان الدعوة ـ الا تكلف المسلمين اكثر من الايمان بالشهادتين على مدى تسع سنوات من البعث ، حتى فرضت الصلاة ليلة الاسـراء والمعراج ـ فلما مرن المسلمون عليها ، وخالط حبها قلوبهم على مدى ست سنوات ـ فرض الله بعد ذلك الصوم في منتصف السنة الثانية من الهجرة ، وللعلم والتسرية اخبرهم الله في كتابه بأن الصوم فـريضة قديمة ـ قدم الشرائع السماوية وانها فرضت على الامم السابقة كما فرضت على امة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال جل شأنه (**يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الـذين من قبلكم لعلكم تتقون**) البقرة/١٨٣ .

وقد اتخذ الصيام في الامم السابقة اشكالا وصورا مختلفة ، تتمثل تارة في الحرمان من مـواد غذائيـة معينة كاللحوم والاسماك والبيض والزبد والسلي والاجبان كما هو الحال إلى اليوم في صيام النصارى نحو خمسين يوما ، ثم اباحة ما عدا ذلك من اطعمة ، وعدم التقيد في تناولها بكم أو وقت أو كيف ، ويتمثل الصوم تارة اخرى في صوم بضعة ايام يتدرج فيها الوقت من ربع اليوم الى نصف يوم الى يوم بعد يوم ، كما هو الحال في صيام اليهود حيث يصومون ايام ٥ و ٧ و ٨ و ٩ من اكتوبر ساعات محدودة ثم يصومون يوم ١٠ بليلته ، ويسمونه الصيـام الكبير او يـوم الغفران ، ويزعمون انه اليوم الذي كلم فيه موسى بالوادي المقدس طوى ، ويحكمون بالكفر على من يفطر في هذا اليوم ،

من مستلزمات الفطرة

لـلاستاذ/ عبد الحميد محمد المشهدي

ويتمثل الصوم تارة ثالثة في الامتناع عن الكلام والكف عن مزاولة العمل ، هذا ما رويت ترجمته عن صوم الأقدمين زاعمين أن الامتناع عن تناول أي طعمة أو تغيير المسيرة المألوفة لاي مجتمع ـ يورث كبتا لجموح النفس واذلالها ، وهي الثمرة المرجوة من تشريع الصوم كما يقولون ـ فلما اوحي الى رسوله صلى الله عليه وسلم بصورة الصيام الاسلامية المتناسقة كما وكيفا وسلوكا ، وجاءت السنة المحمدية ففصلت ما أجمل ، وفسرت ما أبهم وفوقت ما اغفل ـ كان التشريع الجامع بين صوالح المسلمين دينا ودنيا .

وقد كان شهر رمضان وعاء الصوم ـ لفضله المتميز على بقية الشهور ـ ولنزول القرآن فيه ، والقرآن هدى للناس ومرجعهم ودستورهم في شؤون دنياهم ودينهم قال سبحانه (**شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن**) البقرة/ ١٨٥ واذا كان العالم شرقه وغربه ـ يحتفل في المناسبات بذكريات الزعماء والمصلحين والقادة والمفكرين والادباء والفنانين والمخترعين والمكتشفين ـ أفلا يجدر بنا ـ نحن المسلمين ان نحتفل بالشهر الذي انزل فيه الينبوع الحضاري المتجدد ،

ورسالة الهداية الخالدة للبشر وهو القرآن الكريم وحسبه قدرا ووصفا ، قول الله سبحانه فيه (**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام**

ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) المائدة/ ١٥ ، ١٦ وكذلك قوله جل ثناؤه (**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم)** الانفال/ ٢٤ وفي كلمة ـ لما يحييكم من المعاني العلمية والفنية والادبية ـ ما لا يتسع المقام لشرحه ويكفي للاشارة الى ذلك ان اول اية نزلت من القرآن على رسوله ـ كانت دعوة للتوحيد مقرونة بدعوة التعليم والارتواء من منهل العلم ، قال سبحانه (**اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم)** القلم/ ١ ـ ٥ وللعلم دوره العظيم في حياة الاسلام واهله وازدهار دعوته ، والالما دعا الله اليه في عدد كبير من الآيات القرآنية ، ولما دعا الرسول العظيم اليه في عدد لا يحصى من الاحاديث النبوية ، ولما افسح له الرسول في مسجده ركنا خاصا للتعليم والعلم ، بسط عليه عنايته وظلله برعايته فكان المنار الاول الذي أشرقت من اشعاعه تعاليم الاسلام على ربوع العالم ، وانقذت البشرية من ظلام التخلف والجهل في القرون الوسطى والى يوم القيامة وقدمت لعصر النهضة الاوروبية مشاعل طلائعها الاولى .

لهذا كان احتفال المسلمين على مر القرون عارما متجددا ـ بشهر القرآن شهر ليلة القدر التي هي خير من الف شهر ، شهر الصوم المفروض ، شهر البر بالفقراء شهر زكاة الفطر ، شهر الصمدانية والتشبه بالملائكة الابرار شهر العتق من النار شهر المران على الصبر والحرمان ، شهر الحصانة من همزات الشيطان ، شهر الشكر على نزول القرآن ، شهر الانتصار على الهوى والنفس والشيطان ، شهر تفتح فيه ابواب الجنة ، وتغلق فيه ابواب النار ، واذا كان لشهر رمضان من الافضال والمميزات ما تقدم فان رمضان ظل على مدى القرون ميدانا يفيض بامجاد الاسلام والمسلمين وترفرف في ساحته أعلام النصر فوق الرؤوس المتوجة بأكاليل الغار .

ففي شهر رمضان تقرر مصير الاسلام في بدر ، ورست قواعده فوق أرض صلبة وانتصرت فيه القلة المؤمنة الصابرة على الكثرة الكافرة من المشركين تفوقهم عددا وعدة وثراء **(كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)** البقرة/ ٢٤٩ وفي شهر رمضان فتح الله ابواب مكة امام رسوله وطهر المسجد والبيت الحرام من الالهة المعبودة التي لم تستطع ان تدفع عن نفسها وقع المعاول حولتها ركاما وجذاذا ، والقى بها في مطارح القمامة والغائط .. وفي شهر رمضان تحدى رسول الله جيوش الروم في (تبوك) فهزموا بسلاح الرعب وولوا مدبرين .. وفي شهر رمضان هزم المسلمون تحالف الفرس والروم على شاطىء الفرات في السنة الثانية عشرة من الهجرة .. وفي شهر رمضان فتح الله بلاد الاندلس على يد القائد العربي العظيم طارق بن زياد وعاشت

هذه البلاد ثمانية قرون في ظل القرآن وتحت رايته ومن مشكاته كانت النهضة الاوروبية الحديثة .. وفي شهر رمضان انتصر المعتمد بن عباد القائد العربي الفز على جيوش الفونس السادس ملك قشتاله والكونت ريمون وشانسيوم ملك إراجون في معركة الزلاقة يوم العروبة .. وفي شهر رمضان انتصر السلطان محمد بن قلاوون على جيوش التتار بقيادة غازان في معركة برج الصفر ، وعاد الى مقر ملكه برؤوس القتلى معلقة في أعناق الاسرى من المجوس يكسو وجوههم غبار الخزي والهزيمة والعار .. فهل يمكن بعد هذا الاستعراض السريع ان يمر بنا هذا الشهر دون ان نحتفل به ، ونترجم هذا الاحتفال الى دراسة وتلاوة وتعبد وبر وصدقة وتعاطف وتعاون وتجلد وعصمة من كل ما حرم وكره . حتى نظفر بثوابه كاملا ، ونفوز بجزائه وفاقا ويلتقي المسلمون جميعا على مائدة الرحمن في يوم العيد وافرين مكبرين مهللين متآخين مهنئين لا تثقلهم المسؤوليات ولا تضنيهم أعباء الحياة .

واذا كان لا بد من الاحتفاء أو الاحتفال بشهر رمضان فلتعلم ان رؤية هلاله - هي شارة البدء والاستعداد للهجرة من الحياة العادية الى حياة منظمة لها قيم ومبادىء وآداب وسلوك وحواجز وحدود ، يبتدىء الصوم بها يوميا وينتهي في اطار الآية الكريمة **(كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل)** البقرة/١٨٧ .

وقد كانت رؤية الهلال هي مؤشر البدء والاستعداد للصوم - ليستوي في ذلك سكان البوادي والحضر والمسافرون على أجنحة الهواء وفوق اعناق الماء والضاربون في الفيافي والصحراء ، استجابة لقوله سبحانه **(فمن شهد منكم الشهر فليصمه)** البقرة/ ١٨٥ . واطاعة لقوله صلوات الله وسلامه عليه (صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما) رواه البخاري ويجوز للبلاد الاسلامية المجاورة التي لم تر الهلال ، ان تقتدي بالبلاد التي ثبتت عندها رؤيته متى كان موقعها يجعلها تشترك معها في ليل واحد او جزء من الليل وحددوا ذلك بالمنطقة التي تقع بين بلاد المغرب وجزر الفلبين وقد اجمع علماء الفلك على انه حينما يكون الوقت مغربا في المملكة المغربية يكون قد بقي على الفجر في الفلبين نحو ساعة وثلث وهي مدة كافية لتناول السحور وتبييت النية حين يعلم المسلمون في هذه الجزر بظهور هلال رمضان بطريقة ما وما اسرع وسائل المعرفة من الالكترونيات والتكنولوجيا .

وللصوم ركنان : - الامساك والنية في كل ليلة قبل الفجر ، عند الامام الشافعي وتجوز نية الصوم عن رمضان كله مرة واحدة تلافيا من نسيانها خلال الشهر ولقدر الصوم وعظمته اقسم الرسول بشأنه فقال صلوات الله وسلامه عليه (والذي نفسي بيده - لخلوف فم الصائم اطيب

عند الله تعالى من ريح المسك) رواه مسلم . كما ان الله يباهي ملائكته بصمدانية الصائمين واستسلامهم لطاعة الله وعظمته فيقول في الحديث القدسي (**انظروا يا ملائكتي الى عبادي يذرون شهوتهم وطعامهم لأجلي ، فالصوم لي وانا اجزي به)** وفي تفسير لقوله سبحانه (**كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية)** الحاقة/ ٢٤ يقول وكيع : هو خطاب من الله للصائمين في الجنة ـ ومن تفسير لقوله جلت عظمته : (**فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)** السجدة/ ١٧ يقول كان عملهم الصوم .

والصوم في جملته امساك وكف عن تناول المفطرات مهما دق حجمها وصغر وحائل دون وصولها الى الجوف اختيارا عن طريق طبيعي كالفم والاذن والانف ، ومن بين هذه المفطرات التدخين تناولا بالفم ، أو سعوطا في الانف ، وضخ الحقنة الشرجية ، اما ضخ الدواء بالابرة تحت الجلد أو في العضل فهو غير مفطر بخلاف ضخها في الاوردة أو الشرايين فانه مفطر ، وكذلك التقطير في الانف والاذن واستنشاق ادوية الزكام والذبحة الصدرية والربو فانه مفطر وكذلك ابتلاع ما يتساقط من فضلات الطعام من بين الاضراس أو الاسنان وابتلاع القيء والنخامة والبلغم مع امكان قذفه خارج الفم ، فانه مفطر ، وكذلك الجماع أو الاستمناء خلال ساعات الصوم فانه مفطر وكذلك الرده قولا أو عملا ومنها سب الدين وازدراء مقدساته وانكار ما علم منه بالضرورة والجنون والاغماء فانه مفطر .

ولا صحة لما شاع بين بعض الناس من ان الاكتحال والتقطير في العين ودهان الشعر والحجامه والفصد وابتلاع الريق والابتراد بالماء صيفا وتذوق الطعام ومجه ووصول الغبار والدقيق الى الجوف في غير عمد .. نعم لا صحة لما يقال عن هذا بانه مفطر .

ومن المعلوم سلفا ان الصوم فريضة واجبة على كل مسلم ومسلمة بالغ عاقل مقيم سليم ومنكر وجوبه كافر باجماع المسلمين على ان تكون المرأة خالية من الحيض والنفاس والا تكون حاملا او مرضعا ولو بالاجر وتخشى على نفسها ما يضر بها ، وذلك لأن وطأة الصوم مجهدة مضنية ونزول الدم يزيدها بهرا واجهادا وضغط الحمل وادرار اللبن يعرضها للبهر والوهن والله أرأف وأرحم من أن يكلف هذا المخلوق الضعيف بما يصل به الى حالة الانهاك والوهن ، وقد يسبب لها ذلك مضاعفات صحية تصل بها الى شفا الاصابة بمرض خبيث ـ فاذا تحاملت الحائض والنفساء على نفسها وصامت بطل صومها وباءت بالوزر المذكور وحرمت كذلك من ثواب الصوم لقوله صلوات الله وسلامه عليه : (رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش) رواه الترمذى ولا يجب الصوم على الصبي الذي لم تدركه علامات البلوغ ويجوز الصوم له للتعود والمران عليه ، وقد كان أصحاب الرسول عليه

الصلاة والسلام يدربون اولادهم الصغار على الصوم ويعللونهم عند الجوع بالدمى المصنوعة من الصوف حتى يهل وقت الافطار كما روت الربيع بنت معوذ فيما رواه البخاري ومسلم : (كنا نصوم صبياننا الصغار ونذهب الى المساجد فنجعل لهم اللعبة من العهن (الصوف) فاذا بكى احدهم للطعام اعطيناه اياها حتى يكون عند الافطار) .

هذا ولا صوم على مريض لا يرجى برؤه كالمسلول والمعود والمسلول والمسروط وعليه الفدية والقضاء ان امكن ذلك اما من افطر لمرض يرجى شفاؤه فعليه الفدية والقضاء ويباح للمسافر سفر قصر مساحته (٨١) كيلو ان يفطر فاذا قدر على الصوم قبل منه خلافا للامام احمد وكذلك يباح الفطر للشيخ الطاعن في السن وعليه ان يطعم كل يوم مسكينا وجبتين كاملتين من اوسط ما يؤكل عادة وكذلك يباح الفطر لمن يزاولون عملا شاقا في مجال الزراعة او الصناعة او الكراء على ان يكون عمله مورد رزقه الوحيد وعليه القضاء اذا اتيحت له فرصة الصوم .

هذا وقد شرع الصوم نهارا لا ليلا لتتضاعف المشقة عند الكفاح في مجال الرزق والمعاناة من الحرمان بالصوم وكلما ثقلت اعباء المشقة تضاعف الاجر وعظم الثواب بالاضافة الى ان الصيام نهارا يجدد الاحساس بالجوع ومرارة الجوع توقظ المقتدرين من غفوتهم وتنبههم الى واجبهم الاسلامي والانساني نحو المعوزين والمحرومين فيتحقق الود ويتوثق التعاطف بين طبقات المسلمين ، وفي معنى الاثر : (أطفئوا نار الحسد ولو بشق تمرة فان كل ذي نعمة محسود) .

على ان تجسيد الاحساس بالجوع - من ناحية أخرى يشعر الصائم بقيمة النعمة عند انقطاعها بالصوم فيتدارك ما فاته من وسائل الشكر عليها والثناء على الله للاستزادة منها قال سبحانه : **(لئن شكرتم لازيدنكم)** ابراهيم /٧ وقوله جل ثناؤه **(من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم)** الحديد/ ١١ ولاهمية الصوم وقدره وعظيم أثره ، وتلافيا مما عساه يحدث فيه أو يدس عليه ظرفا ومطلعا ومطعما وحكما وعددا وتأويلا ومناخا - نعم لاهمية كل ذلك - حدد - الشارع أيام الصوم وساعاته ودقائقه من رمضان ، ولم يتركه نهبا للأهواء الرياسية ، أو في متناول السلطات الدينية أو الظروف المناخية ، كما حدث مثل ذلك بين الأقدمين الذين : **(اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله)** التوبة/ ٣١ اما تحديد الشهر - فثابت بقوله سبحانه : **(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه)** البقرة/ ١٨٥ وهذا أمر والامر للوجوب ورؤية هلال الشهر مؤشر الهي لبدء الصوم والاستعداد له ، أما عدد أيامه فمحصور بين مطلع الهلالين : هلال رمضان وهلال

شوال ، حيث يقول الرسول العظيم : « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » فما يقع من عدد الايام بين الهلالين فهو شهر رمضان قل عددها عن ثلاثين يوما أو زاد ، وما يقع من ساعات الصوم من قبيل الفجر الى غروب الشمس ، فهي ساعات الصوم اليومية ، قال جل شأنه : (**كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود**) البقرة /١٨٧ اي بعد الغروب ، ومن هنا ولشدة حرص المسلمون على تحقيق ساعات الصوم وتحديدها لم يعتمد المسلمون في انحاء العالم منذ فجر الاسلام الى اليوم والغد ـ على القواعد الفلكية والعمليات الحسابية في معرفة وتحديد أول أيام الصوم وآخرها ، رغم تقدم علم الفلك وأجهزته ومراصده وتفوق علم التكنولوجيا ، وسحر الالكترونيات الحديثة ، وسيظل اعتمادهم على تعاليم المعلم العظيم في حديثه الشريف : « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » رواه البخاري .

ولعل من أسباب هذا التحديد الواضح في عدد ايام وساعات الصوم ـ ما رواه الحسن بن علي رضي الله عنهما ونقله الزمخشري في تفسيره ـ من أن النصارى صادفهم رمضان صيفا ، فقرر رهبانهم الصيام في فصل معتدل الطقس ، وارتضوا ان يكون فصل الربيع وتكفيرا عن هذا التعبير زادوا في صيامهم عشرة أيام ، ثم مرض راهب كبير فنذر اذا شفي أن يزيد أيام الصوم سبعة فشفي ووف بنذره ، ثم نجا أحد ملوكهم من خطر احاط به فنذر ان يزيد أيام الصوم ثلاثة اذا نجا ، فكان له ما أراد وما نذر فكان عدد أيام الصوم خمسين .. وكذلك فعل اليهود ، فقد نقلوا صيامهم الى فصل الخريف ، وأكدوا على صيام أيام ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، من اكتوبر ، ويصومون أربعا وعشرين ساعة في اليوم العاشر منه ويسمونه الصوم الكبير أو يوم الغفران ويزعمون انه اليوم الذي كلم الله فيه موسى فوق جبال سينا ، والى هذا التعبير تشير الآية الكريمة : (**اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله**) التوبة/ ٣١ يمنحون أنفسهم حق التبديل والتغيير والزيادة والنقص .. ولعل تكريه الشارع لصيام يوم الشك ، وتحريم الصوم في يوم العيد الأصغر أو ألاكبر ـ من أسباب عناية القرآن بتحديد ايام الصوم وساعاته ، حتى تأتي مطابقة لارادة الله في صوم شهر رمضان متى هل هلاله في أي فصل من فصول العام .

وقد أسند الله جزاء الصوم وثوابه .. الى كرمه العظيم في حديثه القدسي : ـ « الصوم لي وأنا أجزي به » ذلك لأن الصوم ترك وكف لا عمل فيه ، وعبادة باطنية قوامها الصبر المجرد ، ولأنه سر بين العبد وخالقه ، بينما جميع الطاعات الأخرى بمشهد من الناس ، ومرأى من الجميع ، وفي القيام بالصوم كبح لنشاط الشيطان ، وحد من نوازعه واغراءاته ، وبهذا

استحق الصائم ثوابه بغير حساب ولا يستحق مثل هذا الثواب الا من استكمل لصيامه كل أركانه وشروطه وآدابه ، لأن الكف عن الطعام والشراب فقط ، لا يعتبر صوما كاملا ، والجامع بين الصيام والغيبة لا يعتبر صومه كاملا والجامع بين الصيام والكذب والغش وقول الزور والنظرة المحرمة واليمين الفاحشة لا يعتبر صومه كاملا ، قال صلوات الله وسلامه عليه : « من لم يدع قول الزور والعمل به ـ فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » رواه البخاري فالصوم الكامل هو الذي جمع بين الكف عن المفطرات والكف عن المحرمات والمكروهات ، والا كان الصوم مهزلة حين يجمع الصائم بين العبادة واقتراف المعاصي وفي هذا يقول الرسول الكريم « رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش » رواه ابن ماجه .

هذا وكل ما فرض الله على عباده المسلمين ومن بينها الصوم ، فرض لصوالحهم دينا ودنيا ، ولا أريد أن استعرض الحكم المتعددة من فرضية كل ما فرض الله فليس هذا ميدانه ولا مقامه ، وحسبي من ذلك ما ترتب على فرضية الصوم من بعض نواحيه وأسراره التي تعود فائدتها على الصائمين وحدهم قبل كل شيء ، فلن ينال الله من عباده العابدين شيئا ، ولن يضره من عصيانهم شيئا وهكذا يقول الله في كتابه :

(وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد)

ابراهيم/٨ كما قال الله في حكمة القربى اليه باراقة دماء الهدى في الحج : **(لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم)** الحج/٣٧ وهكذا لم تكن فرضية الصوم تعذيبا للصائمين ولا اعناتا بهم بل هي لصوالحهم مادة وروحا ، وأولها : الحكمة الصحية ، حيث تؤدي قلة الطعام ، ودوام الحرمان من قبيل الفجر الى ما بعد الغروب ـ الى تجفيف المعدة وتطهيرها من الرواسب المتخلفة من الاطعمة والاشربة زهاء أحد عشر شهرا من كل عام ، شأن الانسان في هذا ، شأن الارض الزراعية التي تملك المصارف التي تخلصها من بقايا الماء بعد استيفاء حاجتها منه ، فتجف وتشبع من الهواء وحرارة الشمس ، فتأتي أكلها كل حين ، وتجود بأوفر المحاصيل والثمرات ، والا غرقت في الماء الآسن وتحولت تربتها الى مستنقع وأملاح تأتي على البذور والنبات في طفولته ، والمعدة بيت الداء اذا احتشدت بالطعام ، أو القي به اليها بغير مواقيت أو نظام ، وهي رأس الدواء اذا قلت وجباتها ونظمت أوقاتها ، وهو ما يسمى بالحمية أي الصوم والتجويع ، وكثرة الطعام تذهب باليقظة والصحو وقوة الملاحظة وتخمد وقدة الزكاء والفطنة ، وتصيب الرأس بالاسترخاء والثقل .

أما حكمة الصوم من الناحية الاجتماعية ـ فيتلخص في أن الصوم المتكامل ـ من شأنه أن يقلل من تدفق الدم ويقلل من سرعته في الاوردة

والشرايين ، وقلة الدم يحفظ على الشاب اعتدال حيويته ، وتهدئة اعصابه ، ويبعده عن التفكير في المعاصي ، لأن كثرة الطعام تكثر الدم ، وكثرة الدم تدعو الى آثارة الاعصاب ، واثارة الاعصاب مجلبة للفساد ومدعاة للمعاصي .

أما حكمة الصوم من الناحية التربوية فانه يورث الاناة والصبر على الآلام والحرمان . وفي الصبر دواء لعلاج الكثير من مشاكل الحياة ، فنجاح التاجر والمزارع والصانع والطبيب والمعلم والطالب والمحارب والمربي - مرهونة بمقدار صبره واناته وقوة احتمالاته ، فالتاجر الناجح هو الذي يصبر على استرضاء العميل ولجاجته ويختار له البضاعة الجيدة بالثمن المعتدل ، والمزارع الناجح هو الذي يصبر على خدمة الارض ويتعهدها بالحرث والسقي والنقاء ، والصانع الناجح هو الذي يصبر على اختيار الخامات وجودة الحياكات والعامل الناجح هو الذي يصبر على تجويد ما بيده ، ويوفي بما يتعهد به ، والمربي الناجح هو الذي يصبر على لأواء التدريس ويسوس تلاميذه بالاناة والجندي الصابر هو الذي يفوز ويستأهل غار الفخار ، كل هذا النجاح مرهون بالصبر ، والصبر وليد الصوم ، وأخيرا فان الصوم وليد الاحتمال والاناة ، والصبر عصمة من الحدة والانفعال ، وهو الصمام من الغضب والاندفاع ، قال صلوات الله عليه : « انما الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل « يندفع » واذا امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل اني صائم اني صائم » رواه الترمذي .. وقد قسم الامام ابو حامد الغزالي - الصوم الى ثلاثة اقسام ، صوم العموم بمعنى الامساك عن كل ما يصل الى الجوف عمدا اثناء الصوم عن طريق الفم والانف والشرج ، كالاكل والشرب والسعوط والادوية ومثل هذا ضخ الادوية في الاوردة او الشرايين وكذلك الجماع والاستمناء في ساعات الصوم .

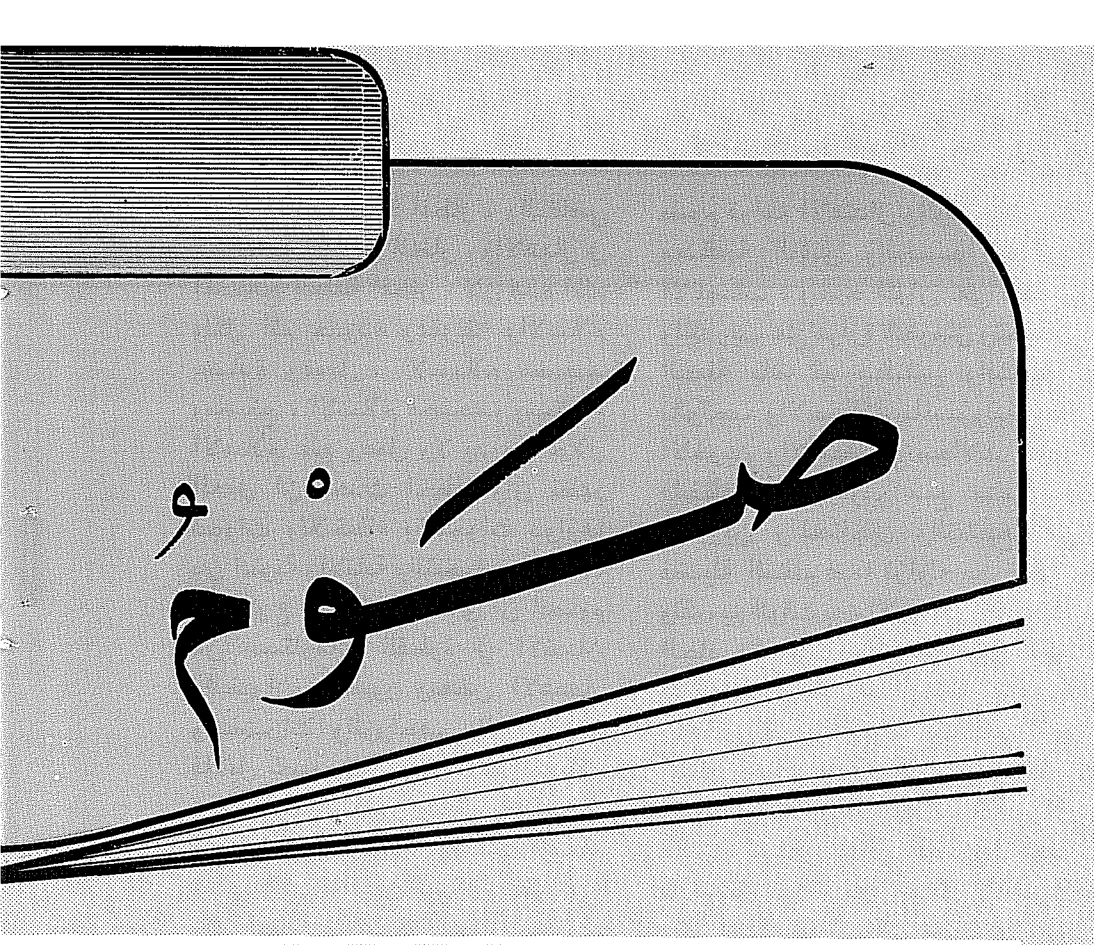
القسم الثاني صوم الخصوص - وهو فوق ما تقدم - كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن المعاصي والآثام ويؤيدون مذهبهم بما رواه عن جابر عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خمس يفطرن الصائم - الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة) رواه مسلم .

القسم الثالث - صيام خصوص الخصوص وهو صوم القلوب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية والانصراف عن كل ما سوى الله عز وجل فاذا انصرف الصائم - عند اصحاب هذا المذهب - الى ما سواه جل شأنه كان مفطرا وقالوا : ان من تتحرك همته في نهار رمضان لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة لقلة وثوقه بفضل الله وافتقار الى اليقين برزقه الموعود .

ولست من انصار هذا الغلو في العبادة ولا من الداعين الى صيام القلوب القائلين بان التوجه بالقصد والرجاء لغير الله - افطار ، وصرف

الهمة لغير العبادة افطار ، والتغاضي عن اقامة الحدود افطار ، والاهمال في المصالح العامة افطار ، لان هذه اثام ولكل أثم حدوده وعقوبته والاسلام عبادة وعمل ، الاسلام مسجد ومصنع ، الاسلام مصحف وسيف ، الاسلام علم وعمل ولا بد من خلال العمل ان تحدث اخطاء وان تظهر فجوات وللاخطاء والفجوات دواؤها من التوبة والانابة والتنصل من الذنب والرجوع الى الله . وعندي ان الصوم من مستلزمات الفطرة في الانسان والحيوان والطيور وبعض الاشجار والحشرات والزواحف والبرمائيات فالابل تصوم عن الطعام فترة في كل عام وبعض الطيور الجارحة تقبع في اوكارها وتصوم ، وكذلك تصوم الحيوانات البرمائية والضفادع والزواحف في فترة البيات الشتوي والطيور المهاجرة في فترة الانتقال بحثا عن مواطن الدفء والخضرة وتصوم الاسماك عند الانتقال الموسمي الى مواطن اللقاح وتصوم الاشجار عن غذائها الارضي فتذبل اوراقها وتتساقط ثم تعود سيرتها الاولى فتورق من جديد .. الى غير ذلك مما لا يعلم انواعه وعدده الا الله .

فالصوم اذن ليس ضريبة مفروضة على هذه الكائنات ولهذا كانت شرعة الصوم قديمة قدم الخليقة ثم تجلت حاجة الانسان اليه منذ نشأته وصاحبته على مر العصور رياضة وطبا وعبادة ، حتى وافت شريعة الاسلام بخيراتها وظلالها ، وكان الصوم ركيزة بين اركانها . صوم قوامه الاعتدال والوسط وثمرته معالجة النفس والجسد وريادة الاعصاب ، وسره المران على الصبر والتدريب على مرارة الحرمان وتحسين الصلة بالله ثم بالناس والشعور بالواجب والاحساس بالمسؤولية نحو الاخرين والاسهام في مجالات الخير المختلفة والتجاوب مع مشاعر المعوزين والمحتاجين والتطبيع على فضيلة النظام فيما نزاوله من أعمال وتقسيم الوقت بين الاخلاص في العمل الجاد والعبادة الضارعة حتى يمكن الانتفاع بكل ما منحنا الله به من نعمة الوقت وخير الزمن ، وللنظام اثره الكبير في دفع عجلة التقدم والحضارة وتوفير الانتاج والخير للانسانية في كل مكان . ثم تعود تقاليد الصوم لتطوف باذهاننا وخيالنا حول موائد الافطار في دنيا المسلمين في وقت واحد وشعور واحد وايمان واحد فنذكر بذلك امجاد الاسلام وكثافة تعداده وقوة مواقفه ومنابع ثرواته وما يمكن ان يقوم به لارساء قواعد وتمكين بنيانه ومدى اسهامه في ركب التقدم والحضارة ويقدمه لخير الانسانية في كل اتجاه متى اتحدت صفوفهم وتضامنت ارادتهم وتعاونت قواهم وصفت نواياهم فانجز الله لهم وعده وورثهم أرضه واستخلفهم فيها كما قال ذلك في كتابه : (**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا**) سورة النور/ ٥٥ .

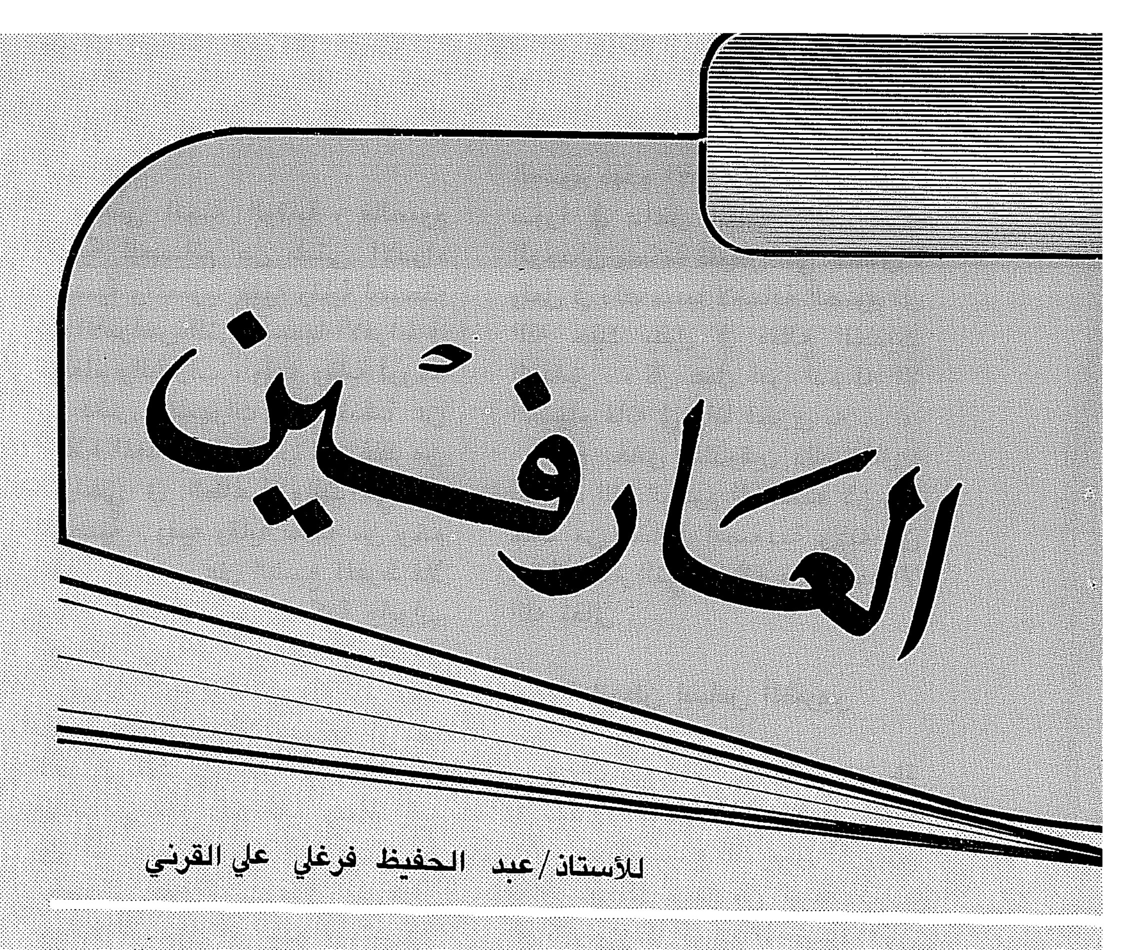


تكمن الحكمة العليا للصيام في قوله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**) البقرة/ ١٨٣ .

فالتقوى هي الهدف من الصيام كما هي الهدف من مختلف الشعائر التي كلفها الله المؤمن وتعبده بها . ولا يخفى أن التقوى هي جماع الفضائل وأساس الكمالات وقمة المثل العليا في الحياة .

لقد تعبدنا الله بالعبادات ليهذب من ضراوة نفوسنا ويرفع من قدرنا حتى نستحق بذلك مقام الخلافة التي من الله بها علينا منذ القدم حين خاطب ملائكته في عليائه : (**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون**) البقرة/ ٣٠ .

ولا يكون الانسان خليفة إلا إذا تخلق بأخلاق الله . بأن يصبح ربانيا . يسمو ببشريته عن أدران الأرض ويرتفع بروحانيته الى آفاق السماء . ويجول بفكره في ملكوت الله فيرتد اليه بغرائب الفكر ودقائق العبر ، هو مع الناس كأحدهم ولكنه مع الله بوجدانه ومشاعره ، ووسيلته



للأستاذ/عبد الحفيظ فرغلي علي القرني

في ذلك .. التقوى التي أمر الله بها عباده في مختلف الظروف والمناسبات، ودعاهم الى أن يتخذوا منها شعارا ودثارا، والصوم وسيلة كبرى من وسائل تحقيق هذه التقوى التي أمر الله بها.

ولئن كانت الصلاة تربط بين الانسان وربه عن طريق المناجاة والتحميد والتسبيح والتكبير والتلاوة والركوع والسجود، فان الصوم يربط بينه وبين ربه عن طريق الا مساك عن الشهوات المختلفة وما يلازم ذلك من آداب وضعها الشارع الحكيم للصوم، ولا يتحقق مفهومه على وجهه الصحيح الا بها، بل لا يتحقق الهدف منه الا بمراعاتها، يبين ذلك الحديث الشريف الذي يرويه صاحب رياض الصالحين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي وأنا أجزى به، والصيام جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب وإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم. والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح واذا لقى ربه فرح بصومه » متفق عليه، وهذا لفظ رواية

البخاري .

ومعنى الجنة الوقاية ، فالصوم وقاية للصائم من شتى الأدواء الحسية والمعنوية ففيه وقاية لصحته من الأمراض التي يسببها الافراط في الطعام والشراب ، وفيه وقاية لروحه من دنس الشهوات التي تنشأ عن امتلاء المعدة وما يترتب على ذلك من التراخي في الطاعة والتداعي الى المعصية ، وفيه وقاية لعقله من وخم الغفلة المترتب على الشبع المفرط فلا تتفتح أمامه مغاليق الحكمة وأبواب الفكرة ، وفيه وقاية لمجتمعه من أمراض الشح والبخل والأثرة ، فلا يحس بألم الجائع الا الجائع ، إن هذا الحديث الشريف من جوامع كلم المصطفى صلى الله عليه وسلم وفيه من المعاني النبيلة ما يجل عن الحصر ، وفيه آداب عليا تهدف الى سعادة الانسان في الدنيا والآخرة .

من آداب الصوم وآثاره :

كما أن في هذا الحديث الشريف إشارة الى آداب الصوم المتمثلة في تجنب الرفث ، من كلام فاحش وبذاء وما الى ذلك من كذب وغش وخداع ونميمة وغيبة ، وغيرها من فلتات اللسان ، وفي تجنب الصخب وهو كثرة اللغط ورفع الصوت ، والضوضاء والتباهي بالباطل والجدال وغير ذلك مما يؤدي الى إحباط الأعمال وفي التسامح وترك المراء ، وفي التجاء الصائم الى الله ، ممن يجره الى ذلك ... فان استمر الصوم بهذه الآداب العليا أثمر ذلك نورا في داخل القلب وتهذيبا في الوجدان وحكمة تفيض على اللسان ، ولعل في ذلك سببا لاضافة الصوم الى الله حيث يقول في مطلع الحديث السابق ..« كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي وأنا أجزى به ... »

فهم بعض المتذوقين ذلك فقال : أضاف الله الصوم الى نفسه لأن فيه خلقا من أخلاق الصمدية ولأنه من أعمال السر التي لا يطلع عليها أحد الا الله تعالى .

شهوة البطن أساس الشرور :

ان جميع أبواب الشر المحيطة بالانسان مفتاحها شهوة البطن الذي إذا شبع استطاع الشيطان أن يفتح أمامه كل باب مغلق من الفتنة ويجره الى كل نوع من أنواع المعصية ، دون أن يستطيع مقاومته ، ولقد عبر عن ذلك الامام يحيى بن معاذ حين قال فيما يورده عنه صاحب كتاب عوارف المعارف « إذا ابتلى المرء بكثرة الأكل بكت عليه الملائكة رحمة له ، ومن ابتلى بمرض الأكل فقد أحرق بنار الشهوة ، وفي نفس ابن آدم ألف عضو من الشر كلها في كف الشيطان ، فاذا جوع بطنه وراض نفسه يبس كل عضو واحترق بنار الجوع وفر الشيطان من ظله ، وإذا أشبع بطنه وترك حلقه في لذائذ الشهوات فقد رطب أعضاءه وأمكن منه الشيطان ، والشبع نهر في النفس يرده الشيطان ، والجوع نهر في الروح ترده الملائكة ، وينهزم

الشيطان من جائع نائم فكيف اذا كان قائما ؟ ويعانق الشيطان شبعان قائما فكيف إذا كان نائما ؟

فالصوم له أثر كبير في تهذيب النفس وترويضها حتى تنقاد لصاحبها وتمرن على أعمال البر وتعتادها وتصبح سجية لها ، ولكن لا يتم ذلك إلا بالمنهج الذي رسمه العارفون بالسير على قدم صاحب الشريعة . صلى الله عليه وسلم .

منهج لا بد منه :

فمن ذلك أن يكون صومه لله ، مؤمنا موقنا بأن ذلك استجابة لأمر الله وتنفيذ لشريعته حيث أمر بالصوم ودعا إليه ، وهذه هي النية المطلوبة التي لا يقبل عمل صالح الا بها : « إنما الأعمال بالنية وانما لامرىء ما نوى » متفق عليه .

وقد ورد في ذلك عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » متفق عليه - رياض الصالحين .

والمقصود بقوله : إيمانا ، أي مصدقا بثوابه عند الله ، وبقوله : احتسابا ، أي قاصدا به وجه الله تعالى ، فقد يكون الصوم بدون نية أو بنية أخرى غير التي أشار إليها الحديث الشريف ، كأن يكون مريضا نصحه الأطباء بتحاشي الطعام أو الاقلال منه أو الاقلاع عن ألوان معينة منه ، أو كأن يكون مقلدا منساقا في صيامه كما يفعل الغافلون عن حكمة الصيام فذلك إذا أثمر صحة في البدن فلن يثمر النور الباطني المطلوب .

ومن ذلك التمسك بالآثار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصوم فان في ذلك إحياء للسنة وتأسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي أمرنا الله تعالى بالاقتداء به والسير على منهجه حيث يقول : (**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**) الأحزاب/ ٢١

ومن الآثار الواردة في ذلك ، الالتزام في صوم رمضان بأيامه فلا يتقدم الصائم عليه بصوم يوم ولا يزيد عليه يوما آخر ، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم صومه فليصم ذلك اليوم . رواه أبو هريرة رضى الله عنه . وقال صاحب رياض الصالحين . متفق عليه .

ومعنى : رجل كان يصوم صومه ، أي رجل تعود أن يصوم يوم الخميس مثلا فصادف أن يوم الخميس كان سابقا على أول رمضان ، والوارد في بدء الصيام ما رواه الترمذي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال عليه الصلاة والسلام : « لا تصوموا قبل رمضان صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان حالت دونه غيابة فأكملوا شعبان ثلاثين يوما » وما رواه أبو داوود والترمذي أيضا عن عمار بن ياسر رضى الله عنهما : « من صام

اليوم الذي يشك فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم » .

والالتزام بصوم الشهر التزام بالأمر الالهي والسنة النبوية ، دون إضافة ، فالاضافة ابتداع ، وما تقرب عبد الى الله بأحب مما افترضه عليه من الفرائض ، فاضافة يوم زائد على رمضان قبله أو بعده يساوي إضافة ركعة الى إحدى الصلوات المكتوبة .. ولا يعني ذلك ألا يصوم الانسان متطوعا ، فالتطوع محبوب ومسنون وله ثوابه الجزيل ولكن ذلك له أوقات أخرى غير يوم الشك السابق على رمضان ويوم العيد الذي يعقبه فالصوم في هذين اليومين وإن حسنت نية الصائم ، فيه مخالفة واضحة .

- والدعاء عند رؤية الهلال من الآداب المرعية عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد ورد عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال : « اللهم أهله علينا بالأمن والايمان والسلامة والاسلام والتوفيق لما يحب ربنا ويرضى » رواه الدارمي ..

إن في هذا الدعاء استشعارا طيبا لآيات الله سبحانه وتعالى واعترافا بنعمة تسخيرها لنا ، وإدراكا لعظمة هذا الرسول « وهو الهلال » الذي آذن الله به بدء الصيام ، ودليلا بينا على الرجوع بالاذن في الشعائر الى موجبها سبحانه وتعالى حيث جعل رؤية الهلال بالعين المجردة إشارة البدء بالصيام ، فلا نلجأ في ذلك الى حسابات فلكية أو اصطلاحات رقمية قد تتعرض لاحتمال ولو طفيف في الخطأ ، وفي مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم للهلال تنزيل له منزلة العاقل ، وكيف لا يكون عاقلا وهو طوع كلمة الله لا يخرج عما كلفه ولا يتعدى حدود ما أمر به : (**الشمس والقمر بحسبان**) الرحمن/ ٥ ، وقديما خاطب الحق تعالى السموات والأرض خطاب العقلاء فقال لهما : (**ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين**) فصلت/ ١١

- ومن الآثار المرعية في الصوم التعجيل بالفطور وتأخير السحور فمن ذلك ما ورد في رياض الصالحين عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا الى الصلاة ، قيل كم كان بينهما ؟ قال خمسون آية .

ذلك أن في تعجيل الفطور وتأخير السحور مراعاة الرفق بالنفس وتقوية لها على العبادة حتى لا تعوقها مشقة الصوم وشدة الجوع عن ذلك ، كما أن في ذلك استمساكا بالسنة المطهرة التي جاء صاحبها رحمة للعالمين ومن الخير أن يتمسك المسلم بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم حتى تنسحب آثارها عليه ، وليكن ذلك مراعى في نيته . فان الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم له أثره الطيب في الانتفاع بالحكمة التي اهتدى اليها صلى الله عليه وسلم فعمل بمقتضاها ، وكل عمل قام به الرسول مستقي من معين أقواله التي قال الحق فيها : (**وما ينطق عن الهوى . إن هو الا وحي يوحى**) النجم/ ٣ ، ٤ ونحن مأمورون بالتزام عمل الرسول حيث

قال الله تعالى : (**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم**) آل عمران/ ٣١ وحيث قال الله لنا : (**وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**) الحشر/٧

الصوم تهذيب للنفس وسمو بالروح :

وليس من التكرار القول بأن الصائم عليه أن يحفظ لسانه وجوارحه عن كل ما يغضب الله ، فان ذلك من أول واجبات الصائم التي يتحقق بها الهدف من الصوم ، وكم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش ، قيل : هو الذي يجوع بالنهار ويفطر على الحرام ، وقيل هو الذي يقتات وهو صائم على أعراض الناس ، وقيل هو الذي لا يكف لسانه عن الفلتات ، ولا بصره عن تتبع العورات ولا سمعه عن الآفات ولا ذهنه وفكره عن التطلع الى الشهوات . فكما يكون الصوم عن الطعام يكون كذلك ما أمكن عن الكلام ، وكلما قل الكلام استيقظ الفكر واستنار الباطن ، وقد ورد في الأخبار : الصمت حكم وقليل فاعله ومما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » . ومما رواه الشعراء المتذوقون في ذلك ما قاله أبوبكر غالب بن عبد الرحمن وجاء في هامش رياض الصالحين .

إذا لم يكن في السمع مني تصاون
وفي بصري غض وفي منطقي صمت
فحظي إذن من صومي الجوع والظمأ
وإن قلت إني صمت يوما فما صمت

لا جرم ، فما حظ الصائم اذن من صومه اذا لم يأت الصوم بثمرته المرجوة في أن يكسب صاحبه نورا ويحقق له التقوى التي جعلها الله تعالى هدفا ساميا للصوم .

والصوم درجات فهناك صوم العامة عن شهوتي البطن والفرج ، وهناك صوم الخاصة عن كل شيء فيه شبهة وهناك صوم العارفين المقربين عن كل شيء سوى الله عز وجل . فلا يخطر على قلوبهم الا هو ولا تتعلق همتهم الا به سبحانه .

الخروج على المنهج وأثره :

والوسيلة الى تحقيق أهداف الصوم - الى جانب مراعاة الآداب السابقة التي أشرنا اليها هي الاقلال من الطعام والشراب ما أمكن ، فلن يكون الصوم صوما إذا عوض الصائم ما فاته من طعام وشراب في وجبتي الفطور والسحور أو في إحداهما بأن يجمع في أكلة واحدة أكلات يستدرك بها ما فات ، وهذا ما نراه ملاحظا في هذه الأيام ، إننا نلاحظ أن استهلاك الطعام يزيد في رمضان وأن هناك ألوانا من الطعام والمشهيات لا تظهر أو لا يكثر ظهورها الا في خلال رمضان ، والمائدة في الافطار والسحور ، نراها حافلة بالكثير الطيب المغري ، الذي يفوت معه كل غرض

من أغراض الصوم دعا اليها الشارع الحكيم .

ولننظر الى تأديب الله لعباده بالصوم ، فكما ألزمهم به مراعاة لأجسامهم وصحتها ، ألزمهم كذلك به تحقيقا لأهداف اجتماعية سامية ، منها الحد من سلطان الترف المودي بالأمم والجماعات فما تسلط الترف على قوم حتى أهلكهم ، قال تعالى : **(وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)** الاسراء/١٦ ، والمترفون هم أسبق الناس عذابا يوم القيامة : **(حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون)** المؤمنون/٦٤ ، والمتتبع لآيات الترف في القرآن الكريم يراها تشير الى وجوب الحذر منه ، والتأبي عليه حتى لا تنجرف النفوس في تياره المفسد والمزين للسوء والفاتح لأبواب الفتنة والشهوة بابا فبابا ، حتى ينسى المرء في خلال ذلك كل دعوة للخير ويغفل عن كل استجابة للحق والنور ، ومن الترف الجمع بين عدة ألوان من الطعام وعدم الاكتفاء بها أحيانا في الوقت الذي يتشهى بعض الناس الكفاف فلا يجدونه . ورد عن بعض الصالحين قوله : لا تجمعوا بين الأدمين فانه من طعام المنافقين فما بالك إذا كان الجمع بين العديد من الأصناف ؟

كان النبي صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه أنس رضى الله عنه ـ يفطر على رطبات أو تميرات فان لم تكن حسا حسوات من الماء ، ثم يقوم الى الصلاة ، فالاقتصاد في الطعام على قدر الضرورة واجب ، وإذا راعى المسلم قدر الضرورة في طعامه اصطحبته هذه العادة في سلوكه فلا يتكلم الا لضرورة ولا ينام الا لضرورة ولا يكون سعيه في الحياة وتقلبه فيها الا لضرورة ، هي ضرورة العمل لوجه الله والاستجابة لأمره مصداقا لقوله تعالى : **(قل إن صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين)** الأنعام/١٦٢ ، وإذا التزم المسلم ذلك أصبح الانسان الرباني الذي تصير جميع حركاته وسكناته لله وبالله ، ولقد أصبح كما يقول بعض العارفين « نوم الصائم عبادة ونفسه تسبيح » وتفسير ذلك أن النوم ضرورة لصحة البدن فيقوى على العبادة وكل ما يعين على العبادة ينسحب عليها حكمها ، فبذلك يصبح النوم عبادة ، ويصبح نفس النائم الصائم تسبيحا ، فمن ضرورة الصوم وأدبه ـ إذن ـ أن يقلل الصائم الطعام الذي كان يتناوله وهو مفطر ، وسيجد لذلك أثره الواضح في نشاطه الجسمي والفكري والروحي وفي استجابته الطيعة السريعة لدوافع الخير . قال لقمان لابنه : إذا ملئت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة . وقال بعض الحكماء : الدنيا بطنك فعلى قدر زهدك في بطنك يكون زهدك في الدنيا ، وقد ورد في الأثر الكريم : ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ، وكان حال

الصحابة الأجلاء ، الزهد في الطيبات ـ لا في شهر رمضان فحسب بل في سائر الأوقات ـ ، وأثر عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يؤثر الجاف من الطعام ، حتى قال أحدهم وكان يخدمه : ما نخلت لعمر دقيقا إلا وأنا له عاص ، وقد سئل عمر عن إيثاره التقشف وفي إمكانه أن ينال من طيبات الدنيا فقال : لقد قرأت قوله تعالى في حق قوم : (**أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها**) الأحقاف/ ٢٠ ، فأحببت أن أدخر طيباتي للآخرة ، وفي أثر أورده السهروردي في عوارف المعارف عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قولها : أديموا قرع باب الملكوت يفتح لكم ، قالوا : كيف نديم ؟ قالت : بالجوع والعطش ، ويمكن تحقيق ذلك بالتربية والتعويد ، فان من شأن النفس أنها تخضع للسياسة الحازمة الحكيمة وتنقهر تحت حكم الارادة الصلبة قال البوصيري في بردته :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

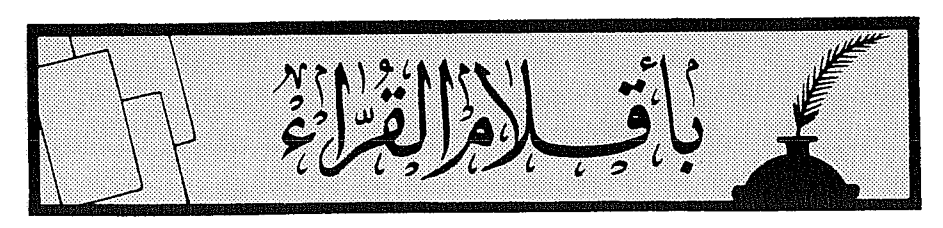
وما أصدق الذي يقول :

والنفس راغبة إذا رغبتها
وإذا ترد الى قليل تقنع

الصوم والقرآن :

ولا تقهر عبادة النفس كما يقهرها الصوم لأن الرياء لا يظهر فيه ، ولأن الجوع الذي يصحبه يذيب الشهوات ويميت التطلعات ، ولكن ذلك لا يتم الا إذا كان الصائم متشوقا الى تحقيق هدف التقوى بمراعاة الآداب المطلوبة وإحياء ليالي الشهر بالطاعات ومداومة تلاوة القرآن الكريم ، فقد ورد في فضل التلاوة آثار طيبة ـ ولا سيما إذا كانت في رمضان ـ ويكفي أن يكون الله قد قرن رمضان بالقرآن حيث قال : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**) البقرة/ ١٨٥ ـ وفي إسناد الصوم لله مع جعل شهره موعدا لنزول كلامه دلالة على ارتفاع منزلة الصوم ووجوب اغتنام فرصته للتقرب الى الله عن طريق كلامه : (**ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور**) فاطر/ ٢٩و٣٠ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة » قال صاحب رياض الصالحين : متفق عليه .

ـ وبعد ، فالصوم كله خيرات وفضائل وله ثمار رائعة يانعة ، ما تنبه لها عاقل الا اغتنم فرصته وحقق آدابه وأداه كما يجب حتى يتحقق له خير هذا الشهر المبارك ، وبذلك يصبح أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتقا من النار .



الرشوة وأثرها في تقويض صرح المجتمع

كثير هم الذين يلجأون الى وسائل غير مشروعة تحقيقا لأهدافهم ومطالبهم

وكثير هم الذين يسمون الأشياء بغير أسمائها ظانين أنهم يخرجون بذلك عن دائرة الاثم .

وكثير هم الذين يغتصبون حقوق الغير .. فيحتلون مواقع ليست لهم .. فيتسلط على مقاليد الأمور من لا يحسن إصلاح شأن نفسه .. وتشيع في المجتمع امراض حذرنا ديننا الحنيف من شرها ..

حول هذا الموضوع كتب الاستاذ عبد المنصف محمود يقول :

الرشوة حرام بالاجماع : سواء أكانت للحاكم أو للقاضي أو للعامل أو لغيرهم لما لها : من آثار سيئة ، وعواقب وخيمة ، وأضرار جسيمة ، قال الله تعالى : « **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون** » البقرة/١٨٨ .. قيل : هو أن يدفع الانسان إلى الحاكم رشوة ليحكم له أو يحمله على تنفيذ رغبته .. والمعنى على هذا التأويل : لا تصانعوا الحكام بأموالكم ولا ترشوهم ، ليقطعوا لكم حق غيركم .. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : الراشي والمرتشي في الحكم » رواه الترمذي وابن ماجة وابن حبان ، واللعن : هو الطرد والابعاد من رحمة الله .. وعن ثوبان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لعن الله الراشي والمرتشي والرائش : يعني الذي يمشي بينهما » وهو السفير بين المعطي والآخذ ، وإن لم يأخذ على سفارته أجرا ، فإن أخذ فهو اشد حرمة .. رواه أحمد والبزار والطبراني ..

والرشوة التي تعطى للقاضي : إن كانت ليحكم له بغير حقه : فهي حرام على الآخذ والمعطي ، لأن الراشي يساعد المرتشي على تضييع الحقوق ، ويغريه بالرشوة على التحكم فيما هو حق لغيره ، فيستمرىء الحصول على المال من هذا الطريق غير المشروع ..

والمرتشي : قد أخذ مال غيره ، ومنع الحق عن صاحبه .. وهو جور وظلم ..
وإن كانت ليحكم له بالحق على غريمه : فهي حرام على الحاكم دون المعطي ، لأنها لاستيفاء حقه .. وقيل : تحرم على المعطي أيضا ، لأنها توقع الحاكم في الاثم ..
وأما الهدية : فان كانت ممن يهاديه ، قبل أن يعهد إليه بهذا المنصب فلا تحرم استدامتها .. وان كانت قد أعطيت له بعد أن ولي هذا الأمر تزلفا أو لقضاء حاجة ، أو كانت ممن بينه وبين غيره خصومة عنده : فهي حرام على الحاكم والمهدي ..
ولعل اشد وعيد ورد في شأن الذين يرتمون بين أحضان الرشوة ذلك الداء الوبيل والمرض الخطير : الذي يودي بحياة الأمة ، ما رواه الطبراني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الراشي والمرتشي في النار » وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ولي عشرة فحكم بينهم بما أحبوا أو بما كرهوا .. جيء به (يوم القيامة) مغلولة يده .. فإن عدل ولم يرتش ولم يحف فك الله عنه ، وان حكم بغير ما أنزل الله وارتشى وحابى فيه ، شدت يساره إلى يمينه ، ثم رمي به في جهنم ، فلم يبلغ قعرها خمسمائة عام » رواه الحاكم .. وروي عن مسروق رضي الله عنه : « أنه كلم ابن زياد في مظلمة فردها ، فأهدى إليه صاحب المظلمة وصيفا فرده ولم يقبله .. وقال : سمعت ابن مسعود يقول : من رد عن مسلم مظلمة فأعطاه على ذلك قليلا أو كثيرا فهو سحت !! فقال رجل : يا أبا عبد الله ما كنا نظن أن السحت الا الرشوة في الحكم ، فقال : ذلك كفر ونعوذ بالله » أي لمن استحل ذلك .. ومصداق هذا ما رواه الطبراني بسند صحيح عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال : « الرشوة في الحكم كفر ، وهي بين الناس سحت » .. وفي رواية اخرى : « هدايا العمال غلول » الامام أحمد عن أبي حميد الساعدي .. وروي ابن سعيد عن طريق فرات بن مسلم قال : « اشتهى عمر بن عبد العزيز التفاح فلم يجد في بيته شيئا يشتري به !! فركبنا معه ، فتلقاه غلمان الدير بأطباق تفاح ، فتناول واحدة فشمها ، ثم رد الأطباق : فقلت له في ذلك ، فقال : لا حاجة لي فيه .. فقلت : ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما : يقبلون الهدية ؟ فقال : إنها لأولئك هدية وللعمال بعدهم رشوة ..
ومضى كاتبنا يقول : قبيح بنا أن نتقدم بالرشوة إلى من بيده إنجاز اعمالنا ، ونحاول أن نميله لأخذها ، فنجني عليه شر جناية ، ونعوده على مخالفة القوانين القاضية بتحريمها ، ونعلمه الطمع والجشع ، ونلفته إلى شيء قد لا يكون في حسبانه ، ولم يتعود عليه من قبل ، وفي هذا إفساد لنفسه ، وتخريب لذمته ، وبيع لضميره بدراهم معدودة ..
وأقبح من هذا وأفظع : أن نحاول بالرشوة أو المحسوبية ، أو المحاباة ،

تخطي ذوي الجدارة والكفاءة في الوظائف والأعمال ؛ أو الحصول على ما ليس من حقنا ، أو إلحاق الضرر بغيرنا ؛ فإن ذلك من الاثم بمكان كبير ..

محاسبة الحكام للولاة والعمال :

ولا يتبادر إلى الذهن : أن تحريم الرشوة قاصر على الحكام أو القضاة فحسب ، بل أنه يشملهم وغيرهم من كل من ولى من أمور الناس شيئا ..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذه بعد ذلك ، فهو غلول » .. عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنه قال : « استعمل النبي صلى الله عليه وسلم ابن اللتبية على صدقات بني سليم ، فلما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وحاسبه ، قال : هذا لكم ، وهذه هدية أهديت لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهلا جلست في بيت أبيك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا ، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب الناس وحمد الله وأثنى عليه : ثم قال : أما بعد فاني استعمل رجالا منكم على أمور مما ولاني الله ، فيأتي احدكم فيقول : هذا لكم ، وهذه هدية أهديت لي ، فهلا جلس بيت أبيه وبيت أمه حتى تأتيه هديته : إن كان صادقا ، فوالله لا يأخذ أحدكم منها شيئا بغير حق ، إلا جاء الله يحمله يوم القيامة ، فلأعرفن أحدا منكم لقي الله يحمل بعيراله رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر .. ثم رفع يديه حتى رؤى بياض أبطيه : ألا هل بلغت » رواه البخاري ومسلم .. فقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على عامله المذكور : أخذه الهدية ، لأنها هدية تهدى لأجل علة ، وفي الحديث دلالة : على أن هدايا العمال يجب أن تجعل في بيت المال ، وأنه ليس لهم منها شيء .

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : بلغه أن عامله على مدينة حمص اشترى دارا بسبعة آلاف درهم ، فاستدعاه إليه وسأله ، كم راتبك في اليوم ؟ قال : ثلاثة دراهم ، فقال عمر : فما تصنع بها ؟ قال : أعود بدرهمين على عيالي واحتفظ بدرهم .. قال : كم لك في عملك ؟ قال : سنتان ، قال عمر : بعد حساب يسير : إن ما يمكنك أن تقتصده فيهما : سبعمائة درهم ، فمن أين جئت بالباقي ؟ قال الوالي : كانت تصلني هدايا من بعض الناس .. قال عمر : لو كنت في بيتك ولم تكن حاكما أكان يهدي إليك ؟ ثم أمر بعزله عن الولاية ، ومصادرة أمواله ، وضمها إلى بيت مال المسلمين ...

هكذا تكون محاسبة الحاكم لعماله وذويهم ، والتشديد عليهم ، والتفطن لأحوالهم ، وعدم الغفلة عنهم ، لئلا يتخذوا من جاههم أداة يبتزون بها أموال الرعية ، ويجمعون الثروات الطائلة عن طريق الهدية ، أو ما يسمى بالكسب غير المشروع .

ـ الأخ عبدالرحمن أحمد شادي ارسل الينا مقالة كريمة عنوانها

(الأعياد الخالدة والبائدة)

نقتطف منها :

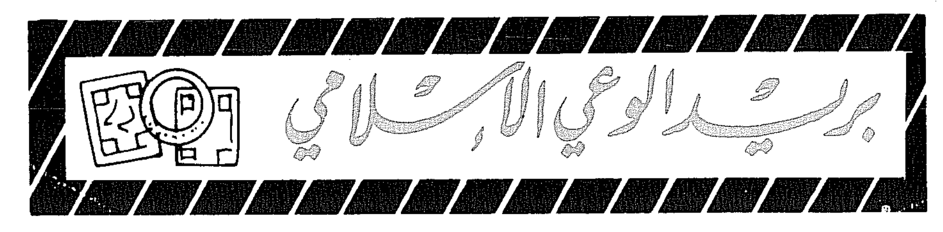
تمتاز الأعياد الدينية في الاسلام وهي عيد الفطر وعيد الاضحى بأنها خالدة تمر عليها ألوف السنين دون ان تفقد جلالتها وروعتها حتى ولو تعرضت للحط من شأنها والنيل من مكانتها في دولة ملحدة ظالمة .. اما الأعياد القومية فانها لا تنبع من القلوب وانما تفرض على الناس فرضا .. تحشد لها الحشود والبنود وعدسات التصوير .. ولولا التذكير الدائم ما احتفل بها احد وهي كثيرة واحصاؤها محتاج الى بحث مستقل .. وهي محلية ، كل بلد له اعياده الخاصة ولا تعرف في البلاد الأخرى .. وقد توضع هذه الأعياد على الرف متى وضع صاحب المقام الرفيع المقامة من اجله على الرف ايضا .

ان الاسلام الحنيف ينكر مثل هذه الأعياد المزيفة ويوجب علينا ان نحتفل فقط بعيدي الفطر والأضحى .

الى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند ارسال مقالاتكم وانتاجكم الفكري والأدبي الينا :

- **كتابة العناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة أو بحث تسهيلا لارسال المكافأة .**
- **موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة أشهر .**
- **الانتاج المرسل لا يقل عن ٥ صفحات فولسكاب مكتوبا بالآلة الكاتبة .**
- **ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة .**
- **لا تقبل البحوث المسلسلة أو المقالات المجزأة .**



مسيحي .. اسلم

حمل الينا البريد هذه الرسالة يقول صاحبها : انا شاب في الخامسة والعشرين من عمري ومن عائلة مسيحية ومتعصبة جدا . وقد شاءت الاقدار ان اهاجر من بلدي طلبا للقمة العيش ، وحتى استطيع ان اعيل اهلي واخواتي ، وحضرت الى الكويت سنة ١٩٧٢ وعملت فيها ، واصبحت اعاشر واتعامل مع الافراد في هذا المجتمع واندمجت معهم ، وقرأت عن مبادىء الدين الاسلامي السمحة ، وعملت مقارنة بين الدين الاسلامي والدين الذي اعتنقه ، فوجدت الفرق الكبير ، واصبح ايماني انه لا دين عند الله الا دين الاسلام ، هذه قناعتي ، ولكني كنت اخفي هذه الحقيقة عن جماعتي واهلي . وقد رفضت عدة طلبات كان من شأنها ان توثق العلاقة بيني وبين الدين المسيحي . فرفضت الزواج متعللا بعدة اسباب . وفي السنة الماضية اكملت الرسالة التي كنت قد حضرت من اجلها الى الكويت حيث ان اخواتي تزوجن ووالدي قد توفي ، واصبحت وحيدا مع الدتي . وبعد هذا سافرت الى بلدي ثم أودعت اهلي الا انني قررت بيني وبين نفسي ان اشهر اعتناقي للدين الاسلامي وبعد رجوعي بيومين فقط وقعت في مشكلة ودخلت السجن . فما زادني هذا الا ايمانا بالله فأشهرت اسلامي علنا ، وعن طريق وزارة الداخلية فوزارة العدل . وقد عرف اهلي وجماعتي باسلامي فاصبحت تنهال علي رسائل التهديد والوعيد ، حيث صدر الحكم علي بالسجن ثم الابعاد بعد تنفيذ عقوبة السجن ومعنى هذا انني انتظر الاعدام بعد فترة السجن حيث انني من بلد تطارد المسلمين أينما وجدوا .

فأرجو حمايتي من أعداء الدين الاسلامي ونصر الحق ، وإزهاق الباطل ، وإنقاذي مما اعاني .

والسلام عليكم ورحمة الله ،

المعذب : شحاته روفائيل جهجاه
السجن المركزي
بعد الاسلام : عمر شحاده جهجاه

المحرر :

اخي عمر قد وفقك الله للخير اذ شرح صدرك للاسلام .. « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه** » .

وفضل الله عليك عظيم اذ وهبك نورا في العقل به اهتديت الى الدين الحق ، فأنقذت نفسك من الهلاك .. وما الأنبياء جميعا الا حملة وحي السماء الى الانسان حتى اكتمل نضج العقل الانساني ، فختمت حلقات الانبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وكل نبي سبقه كان يبشر به ويدعو الى الايمان بدعوته .. وبعد ان صرت مسلما يجب عليك ان تؤدي فرائض الاسلام وتتعامل بأخلاقه فان القول يتبعه العمل .. والعمل يجب ان يكون خالصا لوجه الله ، والايمان : ما وقر في القلب ، وصدقه العمل . وبعد أن اشهرت اسلامك ، واعلنته على الملأ ، فمعنى هذا انك تواجه العالم كله بحقيقة اسلامك ، وتقول له : لقد هداني الله للحق ، وانا ادعوكم اليه .

لقد واجهت العالم كله بحقيقة اسلامك ، ومعنى هذا انك صاحب ارادة وعزيمة قوية ، وأنه لن يصرفك عن الحق صارف ، حتى ولو كان الاهل جميعا ..

انظر الى سعد بن الربيع عندما أسلم في بداية الدعوة الاسلامية ، وكانت آمه تحبه وهو يحبها كثيرا ، غير أنها ارادت ان تصرفه عن الاسلام بشتى الوسائل .. حتى نذرت الا تستظل من شمس ، والا تأكل .. حتى يرجع سعد عن دينه أو تموت ..

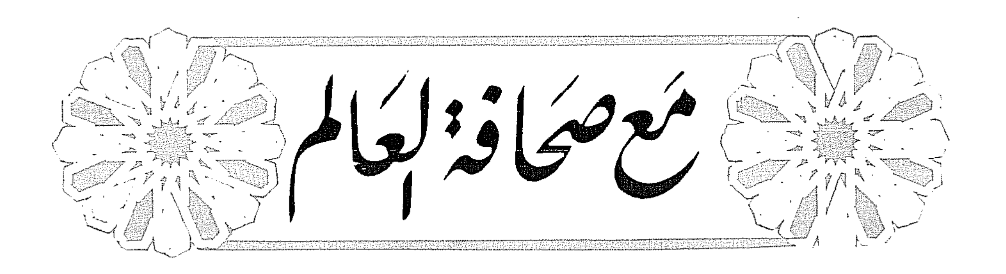
فقال سعد وهو المحب لوالدته : والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا لما تركت ديني فافعلي ما شئت .

وبعد ... لقد واجه صهيب الرومي ، وبلال الحبشي ، من صنوف العذاب ، والوان الاذى ما تقشعر من هوله الأبدان ، ولم يصرفهم ذلك عن دينهم .

بل إن هناك من مات تحت سياط الكفر وجبروت الطغاة ، فكانوا الشهداء الاوائل في الاسلام منهم ياسر ، وسمية . وكان الرسول يمر بهم وهم يعذبون فيقول : صبرا آل ياسر .

فاستمسك بدينك يا اخ عمر ..

والله يحميك من الأعداء ، واتخذ لنفسك كل الحيطة والحذر ، وفوض الأمر لله فلن تموت حتى تستوفي اجلك . ويمكنك ان تبلغ السلطات المختصة بمن يهددك وتطلعهم على الرسائل الواصلة اليك .. وهم يقومون بعمل اللازم ، ثم إن أرض الله واسعة .. وسوف تجد لك مكانا على ظهرها تأمن فيه على نفسك ، وعلى دينك .. فهاجر حيث تجد الأمن والأمان .. وتب الى الله .. والجأ اليه دائما ، يكن في عونك .



نشرت مجلة الدعوة الهندية في عددها الصادر في ١٥/ ٣/ ٨١ كلمة بعنوان : متى ننتبه من سباتنا

تقول فيها :

كثير من الناس يزعمون ان روسيا وامريكا دولتان تختلفان منهجا وهدفا ، ولا تتحدان في امر ما ـ وهم في زعمهم هذا يصيبون الى حد ما . فها هي روسيا دولة ملحدة تعتز بالحادها وتحاول ابراز مجتمع انساني ملحد ، سائرة على درب الدكتاتورية العمالية . واما امريكا فهي دولة مسيحية ديمقراطية رأسمالية تعتز بديمقراطيتها وتحاول ابراز مجتمع انساني سائرة على درب الديمقراطية الرأسمالية . وتمنح مواطنيها حرية العقيدة والعمل ، وتفسح لهم المجال ان يلعب كل دوره في الصعيد الاقتصادي والسياسي والاجتماعي ، بخلاف روسيا فانها لا تعتز بحرية الفرد ، بل تحاول ان تذوب شخصيتهم في الهيكل الاجتماعي البرولتاري ومن اجل ذلك لا توجد في روسيا الاحزاب السياسية المعارضة ولا منظمات عمالية ولا طلابية . وكذلك لا توجد فيها الصحافة الحرة . والنشاطات الثقافية الحرة .

هذه النواحي كلها تدل على ان هاتين الدولتين لا تتحدان في المبادىء والاهداف ولا في السلوك والمنهج وتختلفان حول سائر القضايا الدولية سياسية كانت أم عسكرية ـ اقتصادية كانت او أجتماعية .

وكلتاهما توافقان على هضم حقوق الشعب المسلم في اريتريا وفلسطين وفي المناطق الأخرى من العالم وعلى إثارة الخلافات بين المسلمين . فما هي الحرب الدائرة بين ايران والعراق الا نتيجة لمؤامرة دولية للقضاء على الثورة الاسلامية ولدفع عجلة التقدم للحركات الاسلامية في العالم الى الوراء ، وما حدث ويحدث في افغانستان لا يحتاج إلى الاشارة . كل يعلم أنه مأساة الساعة ، ومؤامرة دولية للقضاء على الكيان الاسلامي في البلد المسلم فالى متى نغتر بهما ـ وإلى متى لا ننتبه إلى واقع الأمر ـ فقد فقدنا الخلافة الاسلامية ، وفقدنا فلسطين الحرة ، وضاقت علينا أرض لبنان ، وتمطر علينا سماء أفغانستان مطرا من النار فهل بقى لنا شيء آخر نريد أن نفقده باسم الرقى والتقدم ، او باسم صداقة روسيا وأمريكا . المسلم لا يلدغ من جحر مرتين .

انتفاضة متوقعة للمسلمين في الاتحــاد السوفيتي

نشرت جريدة الشرق الاوسط بتاريخ ١٩٨١/٤/٢٨ نقلا عن ديلي تلغراف موضوعا تحت هذا العنوان تقول :

في الوقت الذي تواجه فيه القيادة السوفياتية تحدي العمال الذين بدأوا بتفكيك النظام الشيوعي في بولندا هناك مخاوف من أن تتراكم المسببات لانتفاضة المسلمين في جنوب الاتحاد السوفياتي .

وقالت صحيفة « ديلي تلغراف » أن السوفيات من اصل روسي يشكلون الآن اقلية ضمن الشعب السوفياتي فعددهم لا يتجاوز ١٣٧ مليونا من اصل ٢٦٢ مليونا يشكلون مجموع عدد سكان الاتحاد السوفياتي .

ووفقا لاحصائيات رسمية سوفياتية فان عدد السوفيات من اصل روسي لن يتجاوز سنة ٢٠٠٠ ، ١٤٠ مليون نسمة بينما سيصل اجمالي عدد السكان الى ٣٠٠ مليون نسمة ، من بينهم ما لا يقل عن ٧٥ مليون مسلم مقابل ٤٥ مليون مسلم الآن .

وقالت الصحيفة ان نسبة الولادة في اواسط اسيا السوفياتية اكبر من أي نسبة أخرى في بقية انحاء الاتحاد السوفياتي . فبينما تصل هذه النسبة الى ٣ر٧٪ في جمهورية طاجيكستان لا تتجاوز ٩ر١٪ في الاتحاد السوفياتي ككل .

وتابعت الصحيفة القول انه من المحتمل ان تعمل الزيادة في عدد السكان على زيادة البطالة في الجمهوريات السوفياتية الجنوبية الا اذا سمح المخططون الاقتصاديون بنقل بعض السوفيات الآسيويين الى الجزء الأوروبي من الاتحاد السوفياتي او اعادة توزيع المراكز الصناعية بشكل آخر .

وقالت الصحيفة لكن النتيجة الفورية لمثل هذا التغيير الديموغرافي قد بدأت تظهر الآن ، فوفقا لنفس الاحصائيات تبلغ نسبة الشباب من الاصل الروسي الذي يستطيع دخول الجيش اقل من نصف مجموع عدد الشبان الذين يستطيعون دخوله في الاتحاد السوفياتي . ومن الملاحظ ان المسلمين من الاصل التركي والايراني يشكلون حوالي ٢٤٪ من الشباب المؤهل للتجنيد .

وجدير بالذكر ان القليل من المسلمين يصلون الى مراتب الضباط في القوات المسلحة السوفياتية كما أن السوفيات الآسيويين محرومون من أي دورات عسكرية خاصة او مهنية كدورات المظليين واستخدام اجهزة الاتصالات السلكية واللاسلكية .

وقالت الصحيفة أن عدم تعود الناس في الجمهوريات السوفياتية الجنوبية الاسلامية على اللغة الروسية هي مشكلة الجنود المسلمين في الجيش السوفياتي ، ولكن عدم معرفتهم اللغة ليست السبب الوحيد لمعاملتهم كمواطنين من الدرجة الثانية في القوات السوفياتية .

اقرأ في هذا العدد



ألبانيا (بلاد الأرناؤوط)

○ احدى دول البلقان وتعرف باسم (بلاد الأرناؤوط) تجاور كلا من يوغسلافيا واليونان تبلغ مساحتها ٦٢٥٠٠كم^2 وطبيعة البانيا جبلية يصعب العيش فيها تتألف من مثلث غير منتظم الأضلاع بين خطي عرض ١٩ ـ ٢٢ شرقي غرينتش يتأثر مناخها بالبحر الادرياتي وبحر ايجة وهو صحي بوجه عام .

○ يبلغ عدد سكان البانيا ٢,٦٠٠,٠٠٠ نسمة وتبلغ نسبة المسلمين ٧٥٪ والشعب الألباني من العنصر الآري يعرف عند الأوروبيين باسم (الألبان) أي الأرناؤوط ويتألف السكان من مجموعة عناصر متغايرة فالأرناؤوط يبلغ عددهم ١,٥٠٠,٠٠٠ نسمة وهم السكان الحقيقيون أما باقي العناصر فيتألفون من الترك والأفلاق والبلقان واليونان والصرب والغجر .

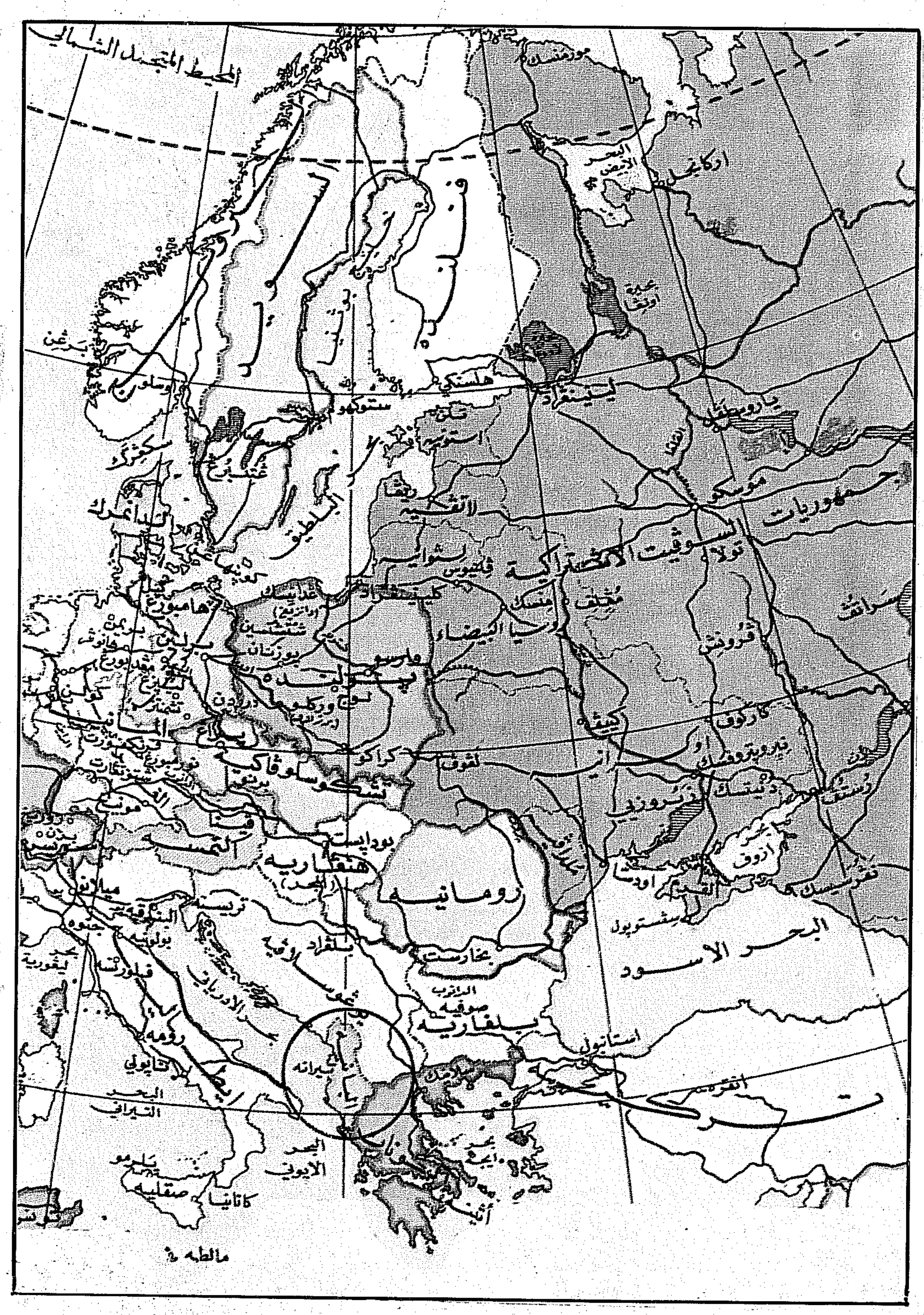
○ يتميز العنصر الألباني بطول القامة واتساع المنكبين وهو ذو جسم مرن ممشوق .

○ دخل الاسلام الى البانيا مع الفتوحات العثمانية في القرن السادس عشر والألبان ينظرون للدين نظرة اعتدال .

○ اللغة الألبانية هي في الأصل لهجة الليرية وهي احدى اللغات الآرية وأقرب اللغات اليها هي مجموعات لغات بحر البلطيق الصقلبية وتنقسم اللغة الألبانية الى لهجتين : لهجة الشمال وتعرف بالتركية باسم (غيفة) ولهجة الجنوب وتعرف بالتركية باسم (توسقة) .

○ عاصمة ألبانيا مدينة (تيرانا) ومن المدن الهامة سكوتاري ، دورازة ، برزرين والبلاد بصورة عامة زراعية وأهم الحاصلات الذرة والزيتون والتبغ والكروم .

○ استقلت البانيا عام ١٩١٢م وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية تمكن الشيوعيون من الاستيلاء على الحكم وطبقوا فيها النظام الماركسي الذي يدور في فلك الصين الشعبية والمعادي للاتحاد السوفييتي لكن الشعب الألباني المسلم يتطلع الى ذلك اليوم الذي يستطيع العودة فيه من جديد الى بوتقة الاسلام العظيم .



طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ